



المونادلوجيـا



جَوْتِفِرْدُ فِيلِرْ هَاكِمْ لِيَبِنْزِرْ

# الموهِّنُ وَلِوْجِيْ

وَالْمَيَادِيْ الْعَقْلِيَّةِ لِلطَّبِيعَةِ وَالْفَضْلِ إِلَيْهِ

نَقْلَهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ  
وَقَدْمَهَا وَعَلَقَ عَلَيْهَا  
دَوْلَمْ كَوَافِرْ

١٩٧٨





# إله دار

إلى أستاذى الدكتور عثمان أمين .  
الذى علمنى كيف أحب نصوص الفلاسفة  
وأتناطف مع أفكارهم ونبضات قلوبهم ٢٠١٣  
عبد الغفار مكاوى



سلسلة النهوض بالفلسفية

تقديم



حين يعمن المرء النظر في فترات النهوض الفلسفى على مر العصور ، يجد بينها جمِيعاً سمة مشتركة تبرز أمامه بوضوح كامل ، هي المعاية بالنصوص الفلسفية . فالنهاية الفلسفية العربية التي أثرت الحضارة الإنسانية بفكرة الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ، سببها وعاصرتها فترة نشطة من الترجمة ، نقلت إلى اللسان العربي ذخائر الفكر اليوناني ، فحدث ذلك الامْزاج بين طريقتين في الفلسفة وأسلوبين في النظر إلى العالم ، كان أحدهما وثنياً عقلياً منطقياً ، وكان الآخر مسقناً إلى إيمان ديني متفقّح ، وأثر تزاوج هاتين الطريقتين في الفلسفة لها طابعها المميز ، وأسلوبها في البحث لا يزال ، حتى اليوم ، يحتل مكانة رفيعة في التراث العالمي .

كذلك كان عهد الحركة الفلسفية الخصبة التي شهدتها أوروبا في القرن السادس عشر ، والتي كان أقطاناً لها «مقالة للفكر من أمثال بي肯 وديكارت واسبيينوزا ، مسبوقة بجهد ضخم يهدف إلى نشر النصوص الفلسفية القديمة» من العصر اليوناني بوجه خاص ، بين أكبر عدد ممكّن من المثقفين وبفضل هذا الجهد ، الذي اضطُلمَت به مجموعة من الباحثين الممتازين فيما يُعرف بحركة «النزعـة الإنسانية» عرفت أوروبا في مطلع العصر الحديث نمادج حقيقة للفكر القديم ، لم تشهدها تحريرات مفكري العصور الوسطى وتآولاتهم ، واكتسب العقل الأوروبي فائدة لا تقدر من الاطلاع على نظري فكري مخالف للنحو الاهوئي الذي ظل مسيطرًا على الأذهان طوال ما يقرب من ألف وخمسة وعشرين عام ، فكانت حصيلة ذلك كله تلك الانطلاقة الرائعة التي أُمرت - بمجموعة مقلحة من المذاهب الفلسفية المممية ، فاقت في تنوعها وخصوصها

ما أنتجه خمسة عشر قرنا سابقة ، وهىأت الأساس المعلى لحضارة تلاميذ تعلمات الإنسان الحديث .

هذا إذن مثلان يقطعان بأن إحياء النصوص الفاسفة الأصلية ونشرها على أوسع نطاق هو شرط ضروري يمهّد لنعمة الفلسفة . وقد يبدو في هذا الفرق نوع من المفارقة ، إذ يخيل إلى المرء لا وحله الأولى أن الرجوع إلى النص الأصلي يقيّد من انطلاقه العمل الخلاق ، إذ يضعه أمام نماذج فسكونية رفيعة يشعر المرء إزاءها بالتضليل ، وبأنه لا يملك أن يضيف المزيد إلى ما قاله المباقرة من أصحاب هذه النصوص . ولكن حقيقة الأمر أن الصحبة المباشرة للمفكرين السκيبار — لا تملك الصحبة التي تتم بقوسط المفسرين والشراح — تعطى العقل الفلسفـي دفعـة هائلـة إلى الأمـام ، إذ تطرح أمامـه الأسئـلة الأصـيلـة فـي الفـلـاسـفة ، وتقدمـ إليه نـماذـج لـاجـابـات عـقـرـية عـنـها ، وتدعـوه إـلى أـنـ يـعيد طـرحـها مـن جـديـد ، وتحـفـزـه إـلى إـنـ يـبحث بـنـفـسـه وـلـنـفـسـه — كـما بـحـث هـؤـلاـه — عـن إـجاـبـات تـقـمـشـيـة وـطـبـيـعـة عـصـرـه وـمـجـمـعـه ، وـتـرـضـى نـزـوـعـه الشـخـصـي إـلـى إـضـفـاء صـبـغـة مـمـوـلة عـلـى الـعـالـم .

إن النص الفلسفى إنما هو دعوة للقارئ إلى التقى-كير الحر ، سواء فى فهم النص وفى تأويله وفى السك�ف عن دلاته ، وهو قبل ذلك كله دعوة له كيما يبعد لما يقرأه مكاناً فى عالمه العقلى الخاصل ، ويدمجها فى تصوره العام لحياة الفكر على المصور . ومن هنا كانت القراءة الخلقة للنص أبعد ما تكون عن حالة التقى السلبى أو الخضوع للمقتول . والدليل الواضح على ذلك تلك الأخلاقات المهاطلة بين الشراح — وبين القراء — في فهم النص الواحد . فمما يشأة الفيلسوف من خلال كثباته تختلاف كل الاختلاف عن قراءة بحث يضم فيه العالم خلاصة كشف-جديد توصل إليه ، فإذا ذاك في

الحالة الأخيرة مدعو إلى أن تقنع بالنتائج التي يمر بها عليك ، وتقابله —  
بعد اقتناعك — قبولا تاما . وإنما يبعد العقل المفتوح هذه المعايشة أقرب  
ما تكون إلى تذوق عمل فى كبير ، يقدم عليك من اليعادات أكثر مما  
يقدم من المانى الشابقة ، ويدعوك ( بل يتحداك ) إلى أن تجرب قدرتك  
على تفسيره واتخاذ موقف منه ، أكثر مما يدعوك إلى تهوشه والتسليم بمعظم  
فسلبية وخسوع .

ولأنى لأرى لزاماً على ، في هذه الكلمة التي أقدم فيها سلسلة من النصوص الفلسفية تقييعاً للقارئ العربي أن يطلع ، بلقته القومية ، على الفكر الحى لعدد من أقطاب الفلسفة ، وأن نشير إلى ما نأمل أن يتحققه نشر النصوص الفلسفية من نهضة فاسفية في بلادنا . فطالما سمعنا من يحدثونا عن افتقار بلادنا إلى القدىكير الفلسفى الأصيل ، الذى يجمع بين الشمول والأصالة ، والذى يفهم من تربتنا لسى يعلو شاهقاً حتى يبلغ سماء الفكر العالمى . وتلك بالفعل حقيقة لا بد من الاعتراف بها ، ومحاولة البحث عن أسبابها . وعلى الرغم من أننى است الآن في معرض الخوض في هذه المسألة ، فإننى مؤمن بأن من أنجع وسائل علاج هذه الظاهرة ، إتاحة الفرصة أمام جمهور المثقفين لسى يمارسوا بأنفسهم ، دون حاجة إلى وسطاء ، تجربة مما ينشأه الفكر الفلسفى في صورته النقية ، ويقاوموا البناء الشامخ الذى شادته عقول جباهرة ، وهو يعلو أمام أنظارهم طابقاً فوق طابق ، فيهذه المعايشة يتتحقق حوار حقيقى بين العقول ، تكتسب بفضلها القدرة على الجدل الخصب للبناء ، وتكشف بذاتها عن زيف المرايا الخادعة التى تقدم إلينا من خلاماً بين الحين والحين ، صورة التيارات الفكرية العالمية ، والذى تكاد تكون هي الزاد الفلسفى الأولى بعد كثيير من المقطعين إلى الثقافة في بلادنا .

ولائي ، إذ أحيى هذه المحاولات الجادة التي يقوم بها مجتمعه من خيرة شبابنا المشغولين بالفلسفة من أجل نشر الفكر العالمي على أوسع نطاق بين قراء العربية ، وأردى فيها بشيراً بنهضة فلسفية حقيقة في بلادنا ، آمل مخلصاً أن يقترب الوفم الذي يزدعي فيه مجتمعنا من طريقه كافة العقبات التي حالت دون تحقيق ذلك الحلم الذي يراود كل محب للثقافة ، وأعني به ظهور فكر فلسفى أصيل يعبر عن شخصييتنا القومية أصدق تعبير مـ

فؤاد زکریا

تمثیل



## أولاً - حياة ليبرنر

يحفل ليبرنر مكانة مرموقة في كل كتاب عن تاريخ الفلسفة . وليس هناك من يشك في قيمة الفلسفية ، أو يتردد في وضعه بين كبار الفلسفة . وهم ذلك فلعله لم يكن ليوافق على هذا أو لم يكن ليكتفى به ! فجموده لم تقصر على الفلسفة ، بل امتدت إلى ميادين السياسة والتاريخ والقانون واللغة والاجتماع والاقتصاد واللاهوت والعلم الطبيعي والرياضي ، كان سياساً بالمعنى الشامل لهذه الكلمة ، وشغله مشروعاته الضخمة في هذا المجال طوال حياته . وشارك في معظم مهادين العلم النظري والتطبيقي ، كما جعلته كشفه الرياضية ( وبالأخص اكتشافه لحساب الامثلية في الصفر أو القفاضل والتكامل ) من أعظم العلماء الرياضيين في كل المصور . أضف إلى هذا أنه طور الآلة الحاسبة التي طوعها « باسكال » للجمع والطرح فأصبحت قادرة على الضرب والقسمة وإستخلاص الجذور مما أتاح له شرف الانضمام إلى عضوية الجمعية الملكية الانجليزية . ولم يقف نشاط ليبرنر في مجال العلوم عند هذا الحد ، فقد شغل بمسائل القعددين والمناجم ومشكلاتها الفنية ، مما أدى إلى اكتشافات هامة في الجيولوجيا وإستغلال الطاقة .. أما أعماله التاريخية فــكان من أهمها الجزء الأول من تاريخ أسرة جوبل (١) ، الذي لم يمكن من إتمامه .

وماذا كان قد شاع بين الناس أن التأمل الفلسفى يجنب بالضرورة على حظ الإنسان من النجاح في الحياة العملية ، فإن ليبرنر يمد دليلاً حياً على

(1) Gnolf

خطأً هذا الظن . وليس معنى هذا أن حياته خلت من المهموم والآلام ، أو نجت من الواقعية والدنس . فقد لقى في أواخر حياته مالقى من الجحود والذكـرـان ، ومات وحيداً كالمونادـة الوحيدة ، ولـكـنهـ ذـالـ على كل حال مالم ينلهـ غيرهـ من المـكـانـةـ والـخـلـوةـ فـأـوـسـاطـ الـعـلـمـ وـالـسـيـاسـةـ وـالـبـلـاطـ . ثم ظـلـ بـعـدـ موـتـهـ مـنـسـيـاـ أوـ شـبـهـ مـنـسـيـاـ حـتـىـ قـدـرـ لـأـغـلـبـ إـنـتـاجـهـ أـنـ يـفـشـرـ ، وـسـطـعـ مـجـدهـ مـنـذـ أـوـاـئـلـ هـذـاـ الـقـرـنـ ، وـعـكـفـ الـبـاحـثـونـ عـلـىـ دـرـسـهـ وـإـقـاءـ الـأـضـوـاءـ عـلـىـ شـخـصـيـةـ الـمـوـسـوـيـةـ الرـائـدةـ .

ولد ليـبـنـقـ فيـ مدـيـنةـ ليـبـزـجـ فـيـ الـوـاحـدـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ شـهـرـ يـونـيـةـ سـنـةـ ١٦٤٦ـ ، قـبـلـ نـهاـيـةـ حـرـبـ الـثـلـاثـيـنـ الـتـيـ أـنـهـ كـتـ أـورـباـ وـدـمـرـتـ أـلمـانـيـاـ بـسـنـقـيـنـ . وـكـانـ أـبـوـهـ مـحـامـيـاـ وـمـوـنـقـاـ وـأـسـقاـذاـ جـامـعـيـاـ . وـظـهـرـ نـبـوـغـهـ الـبـكـرـ فـيـ طـفـولـةـ وـسـنـوـاتـ الـأـوـلـىـ فـيـ الـمـدـرـسـةـ ، فـلـمـ يـكـدـ يـقـمـ الـثـامـنـةـ مـنـ عـمـرـهـ حـقـىـ عـلـمـ نـفـسـهـ الـلـغـةـ الـلـاـنـيـنـيـةـ بـدـوـنـ مـعـلـمـ وـلـاـ كـتـابـ . وـأـنـاحـتـ لـهـ مـكـتبـةـ أـبـيـهـ الضـخـمـةـ أـنـ يـقـومـ بـسـيـاحـاتـ وـاسـعـةـ فـيـ أـرـضـ الـمـعـرـفـةـ ، فـقـمـكـنـ مـنـ الـأـلـامـ بـالـلـغـاتـ الـقـدـيـمةـ إـلـاـمـاـ طـيـبـاـ ، وـاتـجـهـ إـلـىـ قـرـاءـةـ مـؤـلـفـاتـ الشـعـرـاءـ وـالـمـؤـرـخـينـ وـالـكـتـابـ الـقـدـامـيـ وـآـبـاءـ الـكـنـيـسـةـ وـالـفـلـاسـفـةـ الـمـدـرـسـيـنـ ، وـهـرـفـ أـسـماءـ وـأـعـيـالـ شـشـرونـ وـسـيـونـيـكـاـ وـكـوـيـنـقـلـيانـ ، وـهـيـرـودـوتـ وـأـكـرـيزـنـوـفـونـ وـبـلـيـنـيـوـسـ وـأـفـلاـطـونـ . يـقـولـ عـنـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ مـنـ حـيـاتـهـ إـنـهـ لـمـ يـقـوـمـ مـنـهـمـ فـيـ الـبـداـيـةـ شـيـئـاـ ، ولـكـنهـ اـسـقـطـاعـ بـالـقـدـرـ يـرجـعـ أـنـ يـعـرـفـ بـعـضـ الشـيـءـ ، ثـمـ اـنـقـھـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ مـاـ يـكـفـيـهـ . وـلـمـ بـلـغـ الـخـامـسـةـ عـشـرـةـ مـنـ عـمـرـهـ التـحـقـقـ بـالـجـامـعـةـ الـعـرـيقـةـ فـيـ مـوـطنـ رـأـسـهـ ، وـتـرـكـهاـ بـعـدـ ذـالـكـ بـفـقـرـةـ قـصـيـرـةـ للـدـرـاسـةـ فـيـ جـامـعـيـتـيـ «ـيـبـنـاـ»ـ وـ«ـأـنـدـورـفـ»ـ فـيـ (ـبـافـارـيـاـ)ـ . وـقـدـ عـكـفـ فـيـ الـبـداـيـةـ عـلـىـ الـقـفـقـهـ فـيـ الـقـانـونـ ، وـلـكـنـ شـفـقـهـ بـالـمـعـرـفـةـ الشـامـلـهـ لـمـ يـلـبـثـ أـنـ غـلـبـ هـلـيـهـ فـاتـجـهـ إـلـىـ الـفـلـاسـفـةـ وـالـرـياـضـهـ وـالـفـزـيـاءـ وـاـطـلـعـ عـلـىـ أـعـمـالـ بـيـكـونـ

وديكارت وجاسندي وجاييليو . ويبدو أنه جرب السكتة في هذه السن المبكرة ، إذ لم يكتب السادس عشرة من عمره حتى كان قد نشر أول بحثه الفلسفية باللاتينية وهو «*شرح ميكافيزي لمبدأ القدر*»<sup>(۱)</sup> ، مما يدل على اهتمامه بهذا المبدأ الذي سيطبع كل تفكيره وفلسفته .

تلقى ليبلنجز الفلسفة في جامعة أينزج على ياكوب تومازيوس<sup>(٢)</sup> (١٦٣٢ - ١٦٨٥) وكان من أكبر المارفين بالفلسفة اليونانية والمدرسية، والنادين لها والمتذمرين بها يقها على السواء . .

أما في «بيتنا» فقد تعلمذ على العالم الرياضي أرهايد فايجل<sup>(٣)</sup> (١٦٢٥ - ١٦٩٩) الذي لقنه أساس الرياضة وعرفه بالفلسفة الفيماوغورية والعلم الطبيعي والتفسيير الميكانيكى السادس في عصره . ويبدو أن المحاولات التي كان يبذلها «فايجل» للتفريق بين فلسفة أرسطو والفلسفة الميكانيكية وتطبيق المنهج الرياضي على الأخلاق والميقاتيفيزيا قد تزاحت أثراً لا يمحى من نفس ليينتر . وانشغل بالرياضية والميكانيكا ، ولكن لم يستطع أن ينفصل تماماً من الفلسفة المدرسية ، إذ ظل يفكّر في نزهاته الوحيدة في الغابة القرية من ليبرج في «الصور الجوهيرية» التي قال بها المدرسيون ، وهل يتحقق علىه أن يتخلى عنها أو يبقى عليها في مذهبه الم قبل !، وقد ظهرت آثارها في أول بحث دراسى وضعه في حياته عن مبدأ التفرد الذى أشرت إليه ولكنه استطاع على كل حال أن ينتزع نفسه منها ليرجع إلى دراسة القانون الذى أتتها في جامعة أئيدورف في سنة ١٦٦٧ (إذاً أبت عليه جامعة ليبرج أن يحصل على الدكتوراه لصغر سنّه) .

(1) Disputatio Metaphysica de Principio individui

(2) Jacob Thomasius

### (3) Erhard Weigel

وتجذبته طبيعة المقطوعة لـ كل جديـد وغريـب إلـى مدـيـنة نورـمـرجـ ،  
فـقـضـىـ فـيـهـاـ فـتـرـةـ قـصـيـرـةـ أـشـبـعـ فـيـهـاـ شـوـفـةـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ أـسـرـارـ إـلـاحـدـىـ الـجـمـعـيـاتـ  
الـرـوـحـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـسـمـىـ نـفـسـهـاـ جـمـعـيـةـ «ـ أـصـحـابـ الصـلـيـبـ الـوـرـدـيـ »ـ ،ـ  
وـتـمـارـسـ طـاقـوـسـاـ خـفـيـةـ لـاستـجـلاءـ أـسـرـارـ الدـيـنـ وـالـطـبـيـعـةـ وـالـمـادـنـ وـالـغـنـوـرـ  
عـلـىـ حـجـرـ الـفـلـاسـفـةـ ।ـ

وـتـعـرـفـ اـيمـنـقـزـ بـعـدـ ذـلـكـ بـقـلـيلـ —ـ أوـ رـبـعـاـ أـثـنـاءـ إـقـامـةـ القـصـيـرـ فـيـ  
نـوـرـمـرجـ —ـ عـلـىـ الـبـارـونـ يـوهـانـ كـرـسـتوـنـ بـوـنـبرـجـ المسـتـشـارـ السـابـقـ لـأـمـيرـ  
«ـ مـاـينـسـ »ـ وـأـسـقـفـهـاـ يـوهـانـ فـيـلـيـوبـ فـونـ شـوـنـبرـجـ .ـ وـفـطـنـ المسـتـشـارـ إـلـىـ  
مـوـاهـبـ الـمـحـاـمـيـ الشـابـ وـسـعـىـ لـهـ فـيـ الـعـلـمـ لـهـيـ الـأـمـيرـ ،ـ كـاـمـ سـاعـدـهـ عـلـىـ  
الـإـلـاـمـ بـهـشـكـلـاتـ السـيـاسـةـ الـأـوـرـبـيـةـ .ـ رـقـدـ كـانـتـ الـمـشـكـلـةـ الـكـبـرـىـ الـتـيـ  
تـشـفـلـ عـقـولـ السـيـاسـيـيـنـ وـتـرـجـفـ قـلـوـبـهـمـ فـيـ ذـلـكـ الـحـيـنـ هـىـ حـمـاـيـةـ الـإـمـپـرـاطـرـيـةـ  
الـجـرـمـانـيـةـ الـمـزـقـةـ مـنـ مـطـامـعـ فـرـنـسـاـ وـقـوـتـهاـ المـزـايـدةـ .ـ وـسـافـرـ اـيمـنـقـزـ فـيـ شـهـرـ  
مـارـسـ سـنـةـ ١٦٧٢ـ فـيـ مـهـمـةـ دـبـلـوـمـاسـيـةـ إـلـىـ بـارـيسـ ،ـ وـفـيـ جـمـعـةـ مـشـرـوعـ  
مـفـصـلـ لـغـزوـ مـصـرـ ،ـ يـكـشـفـ عـنـ عـلـمـ غـزـيـرـ بـأـحـواـلـ مـصـرـ وـثـرـواـتـهاـ فـيـ ذـلـكـ  
الـحـيـنـ .ـ وـحاـوـلـ أـنـ يـغـرـىـ «ـ الـمـلـكـ الـشـمـسـ »ـ (ـلـوـيـسـ الـرـابـعـ عـشـرـ)ـ عـلـىـ مـخـارـبـةـ  
الـإـمـپـرـاطـرـيـةـ الـعـمـانـيـةـ لـتـحـوـيـلـ نـظـارـهـ عـنـ أـطـمـاءـهـ فـيـ الـحـدـدـوـ الـغـرـبـيـةـ الـمـشـرـكـةـ  
بـيـنـ الـبـلـدـيـنـ .ـ غـيـرـ أـنـ الـمـلـكـ الـشـمـسـ لـمـ يـأـبـهـ بـهـذـاـ الـمـشـرـوعـ ،ـ  
وـأـعـلـمـهـ لـمـ يـسـمـعـ بـهـ عـلـىـ الإـطـلاقـ .ـ وـأـفـهـمـ وـزـرـاؤـهـ الـمـبـعـوثـ أـنـ زـمـنـ الـحـرـوبـ  
الـمـقـدـسـةـ قـدـ فـاتـ ،ـ فـأـخـفـقـتـ الـمـهـمـةـ الدـبـلـوـمـاسـيـةـ إـلـخـفـاقـاـ ذـرـيـعاـ .ـ (ـ وـيـشـاءـ الـقـدـرـ  
أـنـ يـكـشـفـ نـاـبـلـيـونـ هـذـاـ الـمـشـرـوعـ الـمـجـيـعـ أـثـنـاءـ اـحـتـلاـلـ الـمـدـيـنـةـ هـاـنـوـ فـرـ يـعـدـ  
ذـلـكـ بـأـكـثـرـ مـنـ قـرـنـ كـامـلـ !ـ )ـ غـيـرـ أـنـ إـقـامـةـ فـيـ بـارـيسـ عـوـضـهـ عـنـ هـذـاـ  
الـفـشـلـ السـيـاسـيـ ،ـ إـذـ أـتـاحـتـ لـهـ فـرـصـةـ الـأـنـقاـءـ بـعـدـ كـبـيرـ مـنـ رـجـالـ الـدـيـنـ

والفلسفة والعلم الرياضي والطبيعي نذكر منهم على الترتيب : أنطوان آرنو، ومايلر، وكرستيان هيجنز، وأدم ماريوت . بل لقد أسعده الحظ بمشاهدة موليير في إحدى مسرحياته .. ولا بد أنه شعر أثناء وجوده في باريس كأنه يعيش في بيته وبين أهله ، فانطلق اسماعيل باللغة الفرنسية التي لم يلقيت أن تتقنها ، وساعدته هذا على كتابة أهم أعماله بهذه اللغة التي كانت ، إلى جانب اللاتينية ، لغة العلم والعلماء .

وسافر ليمنتز في شهر يناير سنة ١٦٧٣ فيبعثة أرسلها أمير ماينتس إلى لندن ، وكانت إذ ذاك مرکزاً هاماً للبحوث الرياضية والعلمية . وقد اغتنم فرصة إقامته في العاصمة الإنجليزية لكتاب رسائل إلى هوبر الذي كان مهتماً بفلسفته الطبيعية . ولذلكه لم يقلق رداً عليها ، فاتصل بأعضاء الجمعية الملكية، وتوقفت أوامر المودة الروحية والعلمية بيته وبين العالم الكيميائي الشهير روبرت بويل : غير أن إقامته في لندن لم تدم طويلاً ، فلم يلقيت أن غادرها في شهر مارس من نفس السنة عائداً إلى باريس على أثر البناء التي بلغته عن وفاة أمير ماينتس . وأذن له الأمير الجديدة في الاحتفاظ بلقب مستشاره القانوني ، ولذلكه حرم راتبه وجرده من بعثته الدبلوماسية ! ومم ذلك فقد تمكّن من مد فترة إقامته في باريس ثلاث سنوات أخرى ، قضاها متفرغاً للدراسات العلمية ، عاكفاً على البحث والإطلاع وتبادل الأفكار مع العلماء في عاصمة النور ، وكسب عيشه من الاستشارات القانونية (إذ كان خبيراً في شئون الطلاق !) والإشراف على تربية ابن بوينبرج المستشار السابق الذكر .

كانت أهم كتاباته وبحوثه في تلك الفترة في الرياضة وفقرة إلى

أعمال باسكال وتطور الآلة الحاسوبية» وفقيح له هيجنز باب الدراسات الرياضية  
العالية التي سرعان ما تفوق فيها على أستاذه! وكان أعظم ما أدت إليه هو  
اكتشافه الحساب اللامتناهي في الصغر (التفاضل) الذي أتمه سنة ١٦٧٦،  
وكان ذيولن قد سبقه إليه سنة (١٦٦٥) دون أن يعلم. وقد بين البحث  
بعد ذلك أنهما توصلا إليه بطريق مختلف، وفي استقلال تام عن بعضهما البعض،  
وإن كان هذا لم يمنع من نشوء خلافات مؤسفة حول أسبقية أحدهما  
آخر.

وغادر باريس في سنة ١٦٧٦ عائداً إلى بلاده ، بعد زيارته قصيرة للندن وللهاي ، حيث اقى أسبينوزا واستمررت المذاقات الفلسفية بينهما عدة أيام . وقد ظلت هذه الزيارة مثاراً للجدل . كما أحاط الفيلسوف بعلاقة الفيلسوفين . ولكن يبدو أن ليمتز لم يقنع بازاء أسبينوزا ، وعارض نظرية عن الله ونقده للأديان ، وأن لم يكن هناك شك في أنه سعى للاتلاع على مخطوطاته التي جاهد الفيلسوف الهولندي المنطوى على نفسه لتجربتها على يظهر أن ليمتز قد اتجه إلى أسبينوزا والأمل يداعيه في أن يجدد لديه الحل الذي ينقده من أخطاء ديكارت ! فلما لم يجد هذا الحل ينس منه وسخط عليه ! وأسكنه لم يدخل مع ذلك من القبور به إذ أفقده المقابر التي توصل إليهها سبينوزا بأن التفسير الميكانيكي للعالم تفسير غير كاف ، كما تأثر وغير شك بفكرة من الفزع Conatus التي أخذت شكل آخر لديه ، ولعله أن يكون كذلك قد تأثر قليلاً أو كثيراً بفكرة من الجوهر السكلي الذي أصبح لديه قوة دينامية فردية متميزة بعد أن أدار وجهه نحو حية أفلاطون وأرساطو والمشائين ! .

مهما يكن من شيء فقد مات أسبينوزا بعد ذلك بشهر قليلة . وكتب ليبلنقرز رسالة إلى القس جالوا يقول فيها هذه العبارة الموجية « مات أسبينوزا في هذا الشقاء ، إن له ميّة فيزقاً غريبة ، مليئة بالمقاييس .. » .

وصل ليبلنقرز إلى هانوفر في شهر ديسمبر سنة ١٦٧٦ . وقبل وظيفة مسقشار في بلاط الدوق يوهان فريدرش وأمين مكتبه . وأظهر الدوق عطفه الشديد على ليبلنقرز وتفهمه لمشروعياته السياسية والدينية ومنجزاته العلمية . وبقيت العلاقة بينهما أقرب ما تكون إلى العلاقة بين الأصدقاء حتى مات الدوق في سنة ١٦٧٩ فأحس ليبلنقرز بخسارته الفادحة ، التي زاد من وقمه على نفسه أن خلفاء لم يفهموه أو يقدروه . فقد خلف الدوق شقيقه أرنست أوغست ، ثم جاء بعده ابنه جورج لوديج ، ولم يكن لهما نصيب من ذكاء العقل أورقة القلب ، ومع ذلك فقد شافت العناية الآلهية أن تعزى الفيلسوف الوحيد عن خسارته بالقرب من سيدة منفتحة نبيلة لم تدخل عليه هي ولا بنتها هودتها ورعايتها .

وكانـت هذه السيدة هي الدوقة صوفى ، زوجة الدوق أرنست أوغست ، وأما ابنـها فـصـوفـ شـارـلـوتـ الـتـي صـارـتـ بـعـدـ ذـالـكـ مـلـكـةـ بـرـوسـيـاـ ،ـ وـاتـصـلتـ الصـدـاقـةـ العـقـلـيـةـ الـخـالـصـةـ بـيـنـهـمـاـ .ـ فـأـلـمـقـهـ الـكـثـيرـ مـنـ أـفـسـارـ الـأـصـيـلـةـ ،ـ وـمـدـتـ إـلـىـ قـلـبـهـ الـوـجـيدـ أـشـعـةـ دـافـئـةـ أـوـحـتـ إـلـيـهـ بـعـضـ مـؤـلـفـاتـهـ الـفـلـسـفـيـةـ .ـ

قضى ليبلنقرز في بلاط هانوفر أربعين سنة حافلة بالنشاط السياسي والدبلوماسي الذي أتاح له فرصة السفر في رحلات طويلة . وقد ساقته هذه الرحلات بين سنتي ١٦٨٧ - ١٦٩٠ إلى نابولي عن طريق فيينا وروما ، وألقى في فيينا بالإمبراطور ليو بواد الأول ، وتناقش في روما مع دجال

هكذا تشتقت حياة ليونيلز بين واجباته ومهام منصبه العديدة التي وزعت جهوده بين المكتبة وكتابة الغاربخ والتوافق بين الكتبية  
الكانوليمكية والبروتستانتية وتأسيس الأكاديميات وإصدار الفتاوى  
القانونية ! ومع ذلك فقد وجد شيئاً من الفراغ الذى مكنته من المكتوف  
على بناء مذهبة الفلسفى . فكتب في سنة ١٦٨٦ «المقال في الميقاتيزية»<sup>(١)</sup>  
وهو أول تلخيص يحمل فيه أهم أفكاره الفلسفية والدينية كفرته عن  
الجوهر البسيط والاتساق المقدر ، وقدمه للعالم اللاهوتى أرنو الذى ظل  
يراسله أربع سنوات . أما أول عرض منه بعنوان مذهبة ففقد نشره بعد ذلك  
بقسم سنوات (١٦٩٥) في ما لا يزيد عن ثلاث عشرة صفحة في مجلة العلامة<sup>(٢)</sup>  
التي كانت تصدر في باريس تحت عنوان «المذهب الجديد عن الطبيعة  
والاتصال بين الجواهر»<sup>(٣)</sup> .

## (1) Discours de Métaphysique .

(2) Journal de Scavans.

### (3) Système nouveau de la nature et de la Communication des Substances .

#### (4) Nouveaux essais sur l'entendement humain.

كتابه « مقال عن العقل الإنساني ( ١٦٩٠ ) » مذاقة واسعة . ثم شاء الموت أن يماجل لوك قبل الانتهاء من هذه المقالات بقليل ، فأحجم ليبينز عن نشرها ولم تظهر إلا بعد وفاته بخمسين سنة ( سنة ١٧٤٥ ) .

ويبدو أنه تردد في نشر رسالته الشهيرة عن العدل الآلهي أو التهوديسية ، حتى أخذ عليه صوف شارلوته في نشرها ( وكانت قد تزوجت من فرديريك الأول وأصبحت ملكة على بروسيا ) وظهر الكتاب سنة ١٧١٠ ، وسرعان ما ذاع وانشر ذكره وأثره بين الناس . وكان عنوانه الفرعى وحده كافيا للدلالات على موضوعه : طيبة الله ( أو خيرية ) ، وحرمة الإنسان ، وأصل الشر <sup>(١)</sup> كما كان اردوه على الانتقادات التي وجهها إليه الفيلسوف французский

بيير بايل في قاموسه القاريئي والنقدى دور في هذا الأثر الكبير .

واستطاع ليبينز قبل موته بستينين أن يضم رسالتين صغيرتين ، تلخص فيما فلسفته وصاغها في عبارات دقيقة محكمة . كانت أولاهما هي المبادىء العقلية للطبيعة والفضل الآلهى <sup>(٢)</sup> ، أما الثانية فقد تركها بغير عنوان ، ثم عرفت بعد ذلك باسم المونادولوجيا <sup>(٣)</sup> . وأصبحت أشهر أعماله وأكثرها دلالة على مذهبها . وقد أراد لها أن تكون مدخلًا مبسطًا لفلسفته ، وأهدأها ( هي أو المبادىء في رأى بعض الشراج ) للأمير يوجين الذي تعرف به في فيينا وكسب مودته .

كان ليبينز من هواة كتابة الرسائل . وتضم قائمة مراسلاته أكثر

(1) *Essais de Théodicée sur la Bonté de Dieu, la liberté de l'homme et l'origine du Mal* ( 1710 ).

(2) *Principes de la nature et de la Grace fondé en raison.*

(3) *Monadologie.*

من ستمائة إسم ! وقد ضمّنها عدداً كبيراً من آرائه في السياسة والدين والفلسفة ، وبث فيها كثيراً من هموم العالم الوحيد الذي يُستقرُّ الناس بذور عقوله ، ويضيقون عليه بشعاع يدفع قلبه . واعلموا كانت أنساب وسيلة للتعبير عن أفكاره العميقه وخواطره ومحاجاته الأصلية التي حرمه القشت والترحال فرصة تقييد طيورها الشاردة في قفص السكتب المنجمية المنسقة ! ولم يقسن بعد للباحثين أن ينشروا كل هذه الرسائل المبعثرة المكتوبة بخط رديء تصعب قراءته او لا شئ أنها جزء لا يتجزأ من حياته وشخصيته ونشاطه العقلي المدقق .

مات ليبيكزن في هانوفر في الرابع عشر من نوفمبر سنة ١٧٦٦ بعد أن بلغ السبعين : مرض قبل موته بالنقوس ، وامتلاط نفسه مرارة من جحود الأصدقاء والمعارف والزملاء ، وبقيت معظم أعماله الفلسفية والعلمية شذرات ناقصة ، وأخفقت أغلب مشاريعه السياسية والدينية . وكان أمير هانوفر — اعملى عرش إنجلترا قبل وفاة ليبيكزن بستينين وسبعين ذئنه جورج الأول — قد تخلى قبل ذلك عنده . وكانت صديقته وراعيّة النبيلاكان — الأميرة صوفى أم هذا الملك وشقيقة الملكة صوفى شارلوته — قد اخْفَفَها من مسرح حياته التي لم تعد تحتمل بعدهما . وفكّر في أيامه الأخيرة أن يقاد إلى هانوفر ، ولكن صحته كانت قد تحطمـت . وعندما مات لم تمش في جنازته أحد من رجال الدين الذين انضمّوا قبل ذلك بمقاطعة الكنيسة واقبوه «المؤمن بلا شيء» ، ولا من رجال البلاط الذي وُهِبَ أربعين سنة من عمره . وتجاهلت الجمعية الملكية البريطانية نبأ وفاته ، وأهمّلته أكاديمية برلين التي أسسها وكان أول رئيس لها . لم يشيّع إلى قبره سوى تابعه وسكرتيره الأمين إكھارت . وسار نعشـه ، كما قال أحد شهود العيـان — كانه

نعش لص أو قاطع طريق ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ زِيَّةً بِلَدِهِ . وَلَوْلَا الخطبة المليوقة  
التي نعاه بها فونتينيل -- ابن أخ الشاعر المسرحي كورني -- بعد موته  
بسنة كاملة أمام أكاديمية العلوم في باريس لأصابنا اليأس المطبق من  
قسوة الإنسان .

ولتكن أعماله بقيت على الرغم من سوء الحظ الذي صادفه في أواخر  
حياته . وستتضمن له الجد والخلود ، إن كان في هذا العالم الشقى المظلم الذي  
أسرف في حسن الفلن به شيء اسمه الخلود ! .

## ثانياً - فلسفة لينز

العالم كل متخصص :

وقد احتفظ لبنيقز بـ«كرة الجوهر»، هل جعل منها محور فلسفة، وجمع فيها بين عناصر قديمة من التراث الفلسفى إلى جانب أفكاره الخاصة، بحيث انقضى بها إلى تصور أصيل وجديد، واختار لها كذلك اصطلاحاً جديداً هو «المونادة» لم يستخدمه إلا منذ سنة ١٦٩٧.

ويهدأ ليهقز بالأجسام الطبيعية . فهذه الأجسام تقبل القسمة ، وهي

لهذا مركبة ، أو هي على حد تعبيره الذي لم يوفق فيه « جواهر مر كبة » .  
ولما كانت هنالك جواهر مر كبة فلابد في رأيه أن تكون هنالك جواهر  
بسقطة . هذه الجواهر البسيطة هي التي يسمى بها المونادات ، وهي « الذرات  
الحقيقة التي تكون منها الطبيعة » .

ولـكـن وصف المـوـنـادـات بـأـنـهـا ذـرـات لا يـخـلـوـنـ من إـسـاءـةـ الفـهـمـ ، لأنـهـاـ شـيـءـ مـخـتـلـفـ عـمـاـ نـعـرـفـهـ الـيـوـمـ عـنـ الذـرـاتـ ، ذـالـكـ أـنـ لـيـهـنـقـزـ لـاـ يـقـصـدـ مـنـهـاـ أـنـ تـسـكـونـ هـىـ العـمـاـصـرـ الطـبـيـعـيـةـ النـهـائـيـةـ الـتـىـ تـنـحـلـ عـلـيـهـاـ المـادـةـ ، وـمـنـ ثـمـ فـيـلـيـسـتـ هـىـ الذـرـاتـ وـلـاـ الجـسـيـمـاتـ أـوـ الجـزـئـيـاتـ الـأـوـلـيـةـ الـتـىـ تـسـكـونـ مـنـهـاـ الذـرـةـ .ـ بـلـ لـأـنـ لـيـتـرـدـدـ فـيـ وـصـفـ الذـرـاتـ وـالـجـزـئـيـاتـ الـتـىـ تـسـكـونـ عـنـهـاـ الفـزـيـاءــ الـحـدـيـثـةـ بـأـنـهـاـ «ـ جـوـاهـرـ مـرـكـبـةـ »ـ ، لـأـنـ كـلـ الـأـجـسـامـ فـيـ نـظـارـهـ تـقـبـلـ القـسـمـةــ مـهـمـاـ كـانـتـ صـغـيرـةـ ، وـعـمـلـيـةـ القـسـمـةـ هـذـهـ يـمـكـنـ أـنـ تـنـتـصـرـ إـلـىـ مـاـ لـاـ نـهـاـيـةــ .ـ وـاـنـ تـؤـدـيـ مـنـاهـيـجـ الـفـزـيـاءـ الـحـدـيـثـةـ إـلـىـ اـكـفـاشـ المـوـنـادـاتـ الـتـىـ يـقـصـورـهـاـ ،ـ لـأـنـ المـوـنـادـةـ لـاـ يـمـكـنـ تـصـورـهـاـ إـلـاـ عـنـ طـرـيـقـ الـفـكـرـ .ـ وـلـهـذـاـ فـهـىـ كـاـيـدـلـلـ اـسـمـاـ بـسـيـطـةـ ،ـ وـمـعـنـ هـذـاـ فـيـ رـأـيـهـ أـنـهـاـ لـاـ تـقـبـلـ القـسـمـةـ ،ـ وـلـاـ يـسـتـ مـادـيـةــ وـلـاـ شـكـلـ لـهـاـ ،ـ وـهـىـ كـذـالـكـ لـاـ تـسـكـونـ وـلـاـ تـفـنـىـ .ـ وـمـثـلـ هـذـاـ الجـوـهـرــ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ مـوـضـوعـاـ مـنـ مـوـضـوعـاتـ الـعـلـمـ الـطـبـيـعـيـ الـحـدـيـثــ .ـ

وإذا كانت مناهج العلم عاجزة عن الوصول إلى فسحة الموئدة ، فهل يمكن أن تطبق عليها مناهج الرياضة ؟ يتحقق أن تكون بحوث ليهنتز عن السمات المتماثلة في الصغر داخل حساب اللامتناهي الذي أكتشفه قد أثرت على آرائه الميكانيكية . ولكن لا ينبغي أن نبالغ في تقدير هذا الأمر فالحقيقة أن الموئدات ليست سمات متماثلة في الصغر ، بل ليست سمات على الأطلاق . وفسحة الموئدة ليست فسحة رياضية ، لأن ليهنتز يعترض

صراحة على وصف المونادات بأنها نقط رياضية . لقد درس الفلسفة الفيئاغورية بغير شلت ، ولكنه لم يذهب إلى ما ذهب إليه فيئاغورس وأتباعه من تفسير ماهية الواقع تفسيراً رياضياً . فالحقائق الرياضية في رأيه تفتقر إلى كل الخصائص الدينامية . إنها أفكار وليس لها قوى أو طاقات . والمونادات في حقيقتها مراكز حية للقوة أو الطاقة . وقد عبر عن هذه الفكرة الأساسية في تعريفه المشهور للجوهر ، وهو الذي نظر إليه في أول عبارة استهل بها كتابه مبادئ الطبيعة والفضل الالهي : « إن الجوهر كائن قادر على الفعل » .

المونادات إذاً مبادىء دينامية تدخل في الأجسام الواقعية (أو التجربية) كما تنتفع عنها هذه الأجسام . وبعدها يبيّن أن فكرة المونادة تقدم لنا المفهوم الذي نفترسه وضع النباتات والحيوانات والكائنات البشرية ومكانتها من العالم الجسدي في جموعه . ففي كل كائن حتى أفراد توجد مونادة رئيسية تتحكم في سائر المونادات التي يتألف منها . ويطلق ليبينز على هذه المونادة الرئيسية إسماً استعارياً من المصطلح الأرسطي وهو « الأنيموس ». فالمونادات « أنيموس ». ولكل نبات « أنيموس ». والانتوية يخواها الموجدة في الحيوان تسمى « النفس » ، والتي توجد في الإنسان تدعى « العقل » .

و واضح أن فلسفة ليبينز عن المونادات تختلف بالفكرة القديمة عن تسلسل الكون أو تدرجه إلى طبقات يرتفع بعضها فوق بعض . فمونادات الأجسام تتحقق أدنى طبقة ، تعلوها المونادات التي تتحكم في النباتات ، ثم تأتي مونادات الحيوانات التي ترتفع فرقها ، إلى أن تبلغ المونادات التي تتحكم في الكائنات البشرية و تتجاوز سائر الطبقات . ثم نجد أرواحاً أسمى من

الأدوات البشرية تقوس طب بين الإنسان والله ، وأخيراً نجد الموناد المركبة « المطلقة » الس الكاملة التي تعلو فوق سلسلة المونادات الفانية ، ألا وهي الله . ولكن هذه المسوبيات المقددة ليست مناطق مختلطة معزولة لأن العالم لا يتكون من أجزاء منفصلة ، وإنما يتصل فيه كل شيء بكل شيء ، وهذا الاتصال يقوم على أن كل ما هو موجود إنما هو مونادة أو كائن فرد مسقبل . والواقع كله طابع الانتماء بخيا أو صفة الروح . وفكرة الاتصال والترابط بين كل الموجودات تمثل كل محاولة برؤاد بها تفتيت الواقع إلى عناصر متناففة . وتاريخ الفكر البشري مليء بفشل هذه المحاولات . ولا شك أن الهوة السحيقة التي حفرها ديكارت بين « الجوهر المفكّر » و « الجوهر المقدّ » كانت بذاته اذار خطير لم يسقط لم يتحقق أن يتجاهله ولكن لا شك أيضاً أن لم يتحقق عندما أكد القرابط بين جميع الموجودات قد عرض نفسه ومذهبته بخطأ آخر ، ألا وهو إغفال الحدود الفاصلة بين مناطق الوجود المتميزة أو طمسها . وهذه نتيجة تنتهي إليها كل الفلسفات الواحدية التي تعيز عن تفسير الواقع المتتنوع ظرراً لأنها تقع فريسة لإغراء الوحدة التي تنطوي عليها .

وتعبر فلسفة لم يتحقق عن فكرة الاتصال المستمر بين جميع الموجودات عن طريق تطبيق فكرة الموناد اللامادية على كل شيء . ولكن الانصاف يقتضينا القول بأنه يطبق هذه الفكرة بصورة لا تخلي من العمق والاصالة . فهو يقول في الفقرة ٥٦ من المونادولوجيا : « هذا القرابط أو هذا القلائم بين جميع المخلوقات وبين كل منها على حدة ، ثم بين كل واحد منها والجميل يقترب عليه أن يحتوى كل جوهر بسيط على علاقات تعبر عن مجموع الجوادر الأخرى ، وأن يكون تبعاً لذلك مرآة حية دائمة للعالم »

(الموناذلوجيا ٥٦) ولكن بينما تعكس المرأة جزءاً منها من الواقع فحسب، فإن كل مونادة فردية، تعكس الواقع في مجده.

فكرة ساحرة بغير شك، ولكنها تثير القارئ وتدفعه إلى السؤال عن طبيعة ذلك الانعكاس ولا بد أن نذكر ما قلناه من أن المونادات غير مادية، أي أنها شيء عقلي أو فكري خالص. وهذا يفسر لنا أن ما هو في الخارج، يمكن أن يتمثل داخل المونادة. وهذا هو الذي جعل ليهنتز يصف هذه التمثيلات بأنها «إدراكات». وليس من الضروري أن تشعر المونادة الفردية بهذه الإدراكات. فالمونادات العليا - كنفوس الحيوانات والعقل الإنساني - وجه خاص - هي التي تشعر بها شعوراً واعياً. بل إن هذه المونادات العليا لا تشعر إلا بجزء من هذه الإدراكات.

وهكذا يوفق ليهنتز بين المبدأ الأساسي الذي يقول أن كل مونادة مرآة تعكس الكون بأكمله وبين التجربة المباشرة التي تقول بأن عقلنا لا يرى سوى جزء بسيط من العالم. وتصورات المونادات أو إدراكاتها ليست صوراً دائمة باقية، وإنما هي جزء من عملية دينامية يتم فيها الانتقال بصفة مستمرة من ادراك إلى ادراك آخر. والفعل الذي يسبب هذا الانتقال المستمر هو «النزع». وبهذا يكون الإدراك والنزع مظاهرين للحياة التي تقدّيز بها المونادة.

\* \* \*

وتفكر ليهنتز يصل إلى القاليف والتركمب والتقويق بين الآراء والمذاهب والأفكار المتعارضة. ولكن يبدو أنه لا ينجح دائماً في ذلك، فهو إذا كان يقول بقرب ابط جميع المونادات واتصالها بعضها البعض، فهو يقول من ناحية أخرى أن كل مونادة على حدة ذات كيان فردي مستقل

ويؤكّد ليجنرز فكرة التفرد بفكرة أخرى . فهو يرى أن الموناد ليست فريدة وحسب ، وإنما هي كذلك منعزلة تماماً عن سائر المونادات ،

وبحكم علية بالعزلة بحكم ماهيتها . وهو يذهب إلى استحالة التفاعل المباشر بين المونادات الفردية — فليست هناك مونادة تؤثر على الأخرى ، والمونادة عندما تحصل على ادراكتها أو تنتقل من ادراك إلى آخر ، إنما تفعل هذا من داخلها فيحسب . وقد وضع هذه الفكرة بقوله المشهور : « ليس للمونادات نوافذ يمكن من خلالها أن ينفذ إليها شيء أو يخرج منها » (المونادولوجيا ٧) .

ولذا فكل مونادة تعتمد على نفسها في تكوين الصورة التي لديها عن العالم . ولكن كيف نعرف أن هذه الصورة تتفق مع واقع العالم ؟ وإذا تغير العالم فكيف نعرف أن صورته قد تغيرت كذلك بما يتفق معه ؟ وكيف نبين أن كل مونادة في العالم مقلدة بكل المونادات ، وأن كل تغير يتحقق بإحدى المونادات يتحقق في كل مونادة أخرى على نحو واضح أو غامض ؟

يلجأ ليبرنر إلى فكرة الله الاجابة على هذه الأسئلة المسيرة . لقد خلق الله جميع المونادات المتناهية أو الفانية ، وقد خلقها بحيث لو ثبتت ادراكتها وفقاً للقوانين الداخلية السكامنة فيها ، لعكست هذه الادراكات ادراكات المونادات الأخرى ومن ثم العالم كله . وهذا هو ما عبر عنه بهدوء المشهور عن « التناقض المقدر » أو « التجانس المدبر » . فقد حرص الله عند خلق المونادات على تحقيق التجانس بينها جميعاً .

وقد استumar ليبرنر تشبيهما طريقة سبقة إليه غيره عندما صور الله في صورة صانع الساعات الذي أنشأ عدة ساعات تدور في وقت واحد بغیر أن تؤثر إحداها على الأخرى ..

كيف اعتقد ليبرنر إلى هذه الفكرة العجيبة ؟ لا بد أن نبحث عن

جذورها في مذهبه، نفسه ، وسبعينتها في فكرته عن الموئدة كأنجدها في فكرته عن العلية . إن الموئدة بسيطة ، ومعنى هذا أنها غير مادية . والعلية عند ليوبنتز علية آلية لا يمكن أن توجد إلا في عالم من الأجسام . وبترتبط على هذا في نظره استحالة تصور علاقة علية بين جواهر لا مادية .

وهذه الفكرة شأنها شأن أفكار كثيرة غيرها توضح أن ليوبنتز هو ابن عصره الخلاص ، الذي لم يستطع أن يتحرر من التصور على الذي قيده الآلية في أغلامها الثقيلة .

ولعل لليوبنتز بعض المذر في هذا ، فقد اهتم بالفسير الآلي الذي كان من أهم الكشوف العلمية في عصره ، وإن لم يسلم به مع ذلك تسلیماً أعمى . فهو يقبل فكرة الآلية من ناحية ، ولا يريد من ناحية أخرى أن يفرط في فكرة الغائية . ولهذا نجد أنه يحاول التوفيق بينهما ، كما حاول التوفيق بين كثير من الأفكار والأراء المتعارضة . إن كلا الرأيين يفسر أحداث العالم من وجهة نظر مختلفة ، فهذه الأحداث من وجهة النظر الغائية تخدم غرضاً معيناً ، وهي تم من وجهة النظر الآلية لأن الأجسام المادية التي تقوم عليها تحركها ببعضها على أساس القوانين الآلية التي لا تغير . وهو يحاول أن يوفق بين وجهي النظر كما قلنا بغير أن يحدد لكل منها مجالاً يختص به ولا يقدر له . فيسلم بالفكرة الآلية التي تذهب إلى أن كل العمليات الفزيائية بما في ذلك العمليات البيولوجية ، يمكن تفسيرها تفسيراً آلياً . ولذلك يحدد من هذه الفكرة في حين أن جميع الأحداث الفزيائية يمكن تفسيرها كذلك تفسيراً غائياً .

وهو يوضح هذا عن طريق التمييز بين « مملكتتين » مملكة الجواهر المركبة أي الأجسام ، ومملكة الجواهر البسيطة أي الموئدات . والعلية ( م ٣ — الموئدات )

الآلية تحكم مملكتة الأجسام ، أما مملكتة المونادات فتحكمها الغائية و هاتان الممالكان ليسقا مستقلتين عن بعضهما البعض ، ولا توجد أن جنبها إلى جنب ، بل يكونان وحدة واحدة ، وإحداهما هي الصورة التي تظهر بها الأخرى . وهكذا فإن فكرة اتساق العالم التي تحدثنا عنها في سياق الكلام عن « الاتساق المقدر » لا تتأثر عقديماً تتحدث عن عالمين أو مملكتين للعلمية والغائية . يعبر عن هذا قوله : « و مملكتنا الملل الفاصلة والغائية متجانسان » ( المونادولوجيا ٧٩ ) .

هكذا توقف نظرية المونادات بين العلمية والغائية . وهذا سبب فلسفى آخر جعله يتمسك بفكرة الغائية وهو تأكيد أن قوانين الآلية تقوم في الحقيقة على قوانين الغائية وتعتمد عليهما . وتفسير هذا أن القوانين الآلية بطبعها قوانين عرضية حادة ، أى يمكن أن تكون غير ما هي عليه في الواقع - فإذا يمكن من الناحية المنطقية البعثة أن تتصور وجود عالم آخر تحكمها قوانين طبيعية أخرى مختلفة عن القوانين التي تحكم عالمنا . أما أن هناك قوانين معينة تحكم عالمنا فلا يمكن أن نقره إلا إذا سلمنا بحرية المبدأ الذي يقوم عليه العالم ، أى إلا إذا سلمنا بحرية الله تعالى تقبع ، إلى هدف أو غاية شأنها في هذا شأن كل حرية أخرى .

ومن هذا كله نرى أن القوانين الآلية لحركة تشير إلى أساس غائي تسقى إليه ، وأن فكرة الغائية فكرة أساسية في فلسفة ليبرنر الطبيعية وبغيرها لا يمكن تصور هذه الفلسفة .

## (ب) الإنسان مونادة عاقلة

كل ما قبل عن المونادة بوجه عام يمكن أن يقال أيضاً عن العقل الإنساني . فهو بسيط لا يقبل القسمة ، وهو غير مادي ، لا يتكون ولا يفسد بالموت . أنه مبدأ النشاط القيادي ، رأس العالم كله . والذى يميز مونادة العقل الانساني عن سائر المونادات هو طبيعة إدراكاتها . وهناك جزء من هذه الادرakanات يدخل في شعورنا ، ويطلق ليبنتز على هذا الشعور أو وهذه المعرفة التي تحصل لنا من إدراكانا باسم « الوعي » Apperception أضف إلى هذا أن إدراكانا الوعي مختلف في درجة عميقها ووضوحها وتميزها عن الإدراكات التي تقم للنفس الحيوانية . والعقل الإنساني مونادة عالياً تتحكم في المونادات السفلية التي تكون الجسم البشري ، شأنها في هذا شأن النفس في الحيوان ، ومبدأ الحياة في النباتات ، وبمدادي الحياة التي تسود على الأجزاء المضوية المختلفة في الكائنات الحية . ويفترض ليبنتز في كل كائن حتى عدداً لا نهاية له من مبادئ الحياة المرتبة ترتيباً مقلسلاً ، أي من مبادئ تتحكم في مبادئ أخرى أدنى منها كتحكمها في نفس الوقت مبادئ فوقها .

العقل إذا هو المبدأ الأعلى لحياة الإنسان ، وكثيراً ما يقارن الباحثون بين ليبنتز وأفلاطون حول هذه النقطة التي تتصل بالنفس العاقلة . ولنكتنهم نسوا في أغلب الأحيان أن فلسفة ليبنتز عن الإنسان فلسفة غير أفلاطونية بالمرة . فالمعروف أن أفلاطون يعد النفس مسؤولة عن البدن الذي حل فيه ، وهي تقضي فيه زماناً يتقهقى بانتهاء الأجل فتتخرّد منه وتتفصل عنه . فالبدن

هو سجين النفس ، أو هو قبرها على حد تعبيره المشهور في محاورة فايدون (سو مايسيا) . ولكن ليجتاز ينظر للعلاقة بين النفس والجسم نظرة مختلفة كل الاختلاف فوجود العقل الانساني في رأيه يعتمد بالضرورة على وجود الجسد . وهو إن وجد فلابد أن يكون موذنة رئيسية متحكمه في مجموعة من المؤنادات الدنيا ، أعني في جسد عضوي ، وبتحول عليه أن يكون غير ذلك . ولهذا يجده يصف رأى أفلاطون في وجود منفصل للنفس عن الأجساد بأنه « دعوى مدرسية » (الموذنة ولو جها ١٤) واضح أن نظرة ليجتاز هذه إلى العلاقة بين النفس والجسد — وهي تختلف كما رأينا كل الاختلاف عن نظرة أفلاطون . هي النتيجة الضرورية المترتبة على مذهبها المية افيريقي . فإذا كانت المادة عند أفلاطون شيئاً غريباً على العقل ، بل شيئاً معادياً له ، فإن المادة عند ليجتاز هي المظاهر الذي تتبع في المؤنادات اللامادية ومعنى هذا أن المادة متعلقة بالعقل تماماً أساسياً ، بل أنها توشك أن تكون ذات طبيعة عقائية . وعملاً أيضاً أن ليجتاز يشترك مع غيره من المتأثرين على النظرية اليونانية التي تنتهي من شأن المادة وتنقل من قيمة الأشياء المادية . صحيح أن الفراغ بين أنصار المادة وأنصار الروح لم ينته بعد ، وأن الحرب بينهما لم تتحسم حتى اليوم ولا نظن أنها ستتحسم بشكل نهائي . إذ يبدو أنه ليس من السهل أن نعطي العالم المادي المحسوس حقه بغير أن نهايته بغير حق في شأن الجانب السكيمى من الواقع على حساب الجانب السكيفي . وهذا هو الذي حاوله ليجتاز وترك أمره على فلسفة الإنسانية . لقد فسر المادة من خلال المبادئ اللامادية السكامنة فيها وأتاح له هذا التفسير أن يصور العلاقة بين النفس والجسم أو بين العقل والمادة في صورة المحاكم والمحكوم لافي صورة السجان والمسجون .

كثيراً يُعرف حكاية البراهين التي ساقها أفلاطون لاتهامات خلود النفس. لقد أجهد نفسه في صياغتها ووفق في بعضها و خانه التوفيق في بعضها الآخر، ولكنها جميعاً لم تسلم من النقد . أما ليبيونتز فهو يرى أن الخلود لا يحتاج إلى براهين معتقدة ولا بسوطه . إنه مترب على مفهوم الموナدة (المواناة) كما علمنا لا تقبل القسمة ، وهي لهذا خالدة . ولا شك أن هذا يسرى على مواناة العقل . وقد يسأل سائل : كيف يوفق ليبيونتز بين مبدأ خلود العقل (أو الروح) ومبدأ الارتباط الفضوري الدائم بين العقل والجسد ؟

ينفي ليبيونتز أن يكون الترابط بين الجسد والنفس من النوع السكوني (أو الاستئتيكي) لأنه في الحقيقة يعبر عن علاقة حية إلى أبعد حد . فكل الأجسام في حالة تغير وتحول دائمين ، وحتى الأجسام المعنوية تفقد باستمرار بعض الأجزاء وتكتسب أجزاء غيرها . وما نسميه « الموت » لا يمدو أن يكون حالة خاصة من أحوال التغير الدائم والصيروحة المتجدد . والنفس تفقد جزءاً من المواناة التي تتحكم فيها ، ولكنها تحافظ بأجزاء أو تكتسب أجزاء أخرى . ولهذا فليس هناك موت بالمعنى الطبيعي الدقيق لهذه الكلمة .

وهذا هو ما يعبر عنه ليبيونتز في الموانا دلوجيا (٧٢ - ٧٣) بقوله :

« وهكذا فإن النفس لا تغير جسمها إلا ببطء وبالقدر يجع ، بحيث لا تجرد أبداً من جميع أعضائها دفة واحدة ، وكثيراً ما يتم التحول بين الحيوانات ولكن تقمص الأرواح أو تناسخها لا وجود له على الإطلاق : كذلك لا توجد نفوس قافية بنفسها أو مسقفلة عام الاستقلال (عن الأجسام) ولا أرواح بغير أجسام . إن الله وحده ممزوج عن الجسمانية كل القنزيه . ولهذا السبب لا يوجد أبداً تولد كامل ولا موت كامل بالمعنى الدقيق ، أي

يعنى انفصال النفس عن الجسد . وما نسميه بالقول الد إنما هو نوع من القطور والنمو ، أما ما نسميه بالموت فهو اونـكلاش وتناقص « .

وهكذا يحاول ليجنونز أن يقلل مخالب الموت ويجعل منه حالة خاصة من العمليات البيولوجية العادية . ولا شك أن هذا شيء يقتصر سلطاناً ودهشتنا . فالموت يحيط بنا في كل لحظة ، وليس مجرد ضيف ثقيل نلقاه في نهاية الطريق . انه مأساة تخيم على وجودنا كله ، ولو لا تحديه الدائم ما كان فن ولا أدب ولا فلسفة . هو الصخرة الخالدة التي تدمي أجسادنا وأرواحنا على مر العصور . من قلل من خطوره أو أخذه مأخذنا هيئنا حرم نفسه أعمق ينابيع التأمل الفلسفى ، ومن واجبه بالكلمات الفتحمة والبطولات الطنانة أضاع سره العظيم الخفيف ، (فالفلسفة تأمل دائم للموت كما يقول أفلاطون) وكلام ليجنونز عن الموت يوحى بأنه لم يفهم شيئاً عن هذا الجانب المظلم من وجود الإنسان وقدره . ولعله أيضاً أن يحملنا على مواجهة تفاؤله المقليل بالابتسام المرير ، بدلاً من أن يشجعنا على الفرح والبهجة بالحياة في أفضل عالم ممكن ! » .

إذا كانت العلاقة بين العقل والجسدعضوى شرطا لا غنى عنه لوجود العقل نفسه ، فما هي طبيعة هذه العلاقة ؟ هل يمكن أن تكوزن نوعا من التفاعل المشترك بينهما ؟ وهل يسقىم هذا مع ف Skinnerه عن انعزال المونادات التي لا توافق لها ؟ ألا يكون قد خان هذه الفكرة الأساسية في مذهبه ؟ الحق إنه ظلل على وفائه لهذه الفكرة . ولهمذا نجد عزده في النهاية نوعا غريبا من ثباتية النفس والجسم . وهي ثباتية لم تنشأ عن اختلاف طبيعة الطرفين وما هموما ، كما هو الحال مثلا عند ديكارت ، بل جاءت من ان كل يوم ما له طبيعة المونادة ، وهذه الطبيعة تحيط عليهمما الانعزال والا كفاف

الذاتي . ولتكن هذا لم يمنعه من القول بوحدة النفس والجسم - وهو يفسر هذه الوحدة بنفس الطريقة التي يفسر بها وحدة العالم في مجموعه ، أعني بالرجوع إلى فكرته عن الاتساق المقدر أو التجانس والقوافم السابق في علم الله . اسقمع إليه وهو يقول : « وقد اتاحت لي هذه المبادئ وسيلة تفسير إتحاد النفس مع الجسم المعنوي أو بالأحرى اتساقها معه تفسيرا طبيعيا . أن النفس تطبع قوازيمها الخاصة ، كما يخضع الجسم لقوازمه الخاصة ، وهذا يقوافقان بفضل الاتساق المقدر بين جسم الجواهر ، لأنها جميعا تمثلات عالم واحد بعيونه » ( المؤناد ولو جوا ٧٨ ) .

\* \* \*

إذا كانت هذه هي طبيعة العلاقة بين العقل الإنساني والجسم ، فما هو القول في نشاط العقل وفاعليته ؟

يرى ليهنتز أن معرفة الإنسان ونشاطه العقلي هي التي تحديد طبيعته . يقول في الفقرة القياسية والعشرين من المؤناد ولو جوا : « ييد أن المعرفة بالحائق الضرورية والأبدية هي التي تميزنا عن الحيوانات الخاصة ، وبها نحصل على العقل ونقتزد بالعلوم ، حين ترتفع بنا إلى المعرفة بأنفسنا وبالله . وهذا هو الذي يسمى فيما بالنفس العاقلة أو العقل » ( ٢٩ ) .

ولتكن عملية الإدراك ليست مقصورة على الإنسان . فالحيوانات تدرك أيضا ، وهي قادرة على الربط بين المدركات عن طريق الخبرة والذاكرة . والمثال الذي يذكره ليهنتز يو شلت بالإلهام والحدس الصائب أن يصدق تجربة بافلوف الشهيرة ، إذ يكفي كما يقول أن يرى الكلب المصا التي ضربه بها سيده لكي يعود ويتجه بحمله ، لأنه تذكر الألم الذي سببه له في المرة السابقة ! وإذا كنا لانسقطيم أن نصف ليهنتز بأنه تجرببي ، فإن هذا

لابد من الإشادة بمحسنه الواقعى السليم . فمعظم إدراكات الإنسان تترابط في رأيه بطريقة تجريبية مشابهة لطريقة ترابطها عند الكلاب ! بل إنه ليؤكّد — بنفسه لاتخفي مراتتها — أن البشر تجربيون في ثلاثة أرباع أفعالهم وتصرفاً لهم ، ولهم ذافهم في هذا الجانب السلوكي لا يختلفون في شيء عن الحيوانات . غير أن الربع الباقى من أفعالهم هو الذي يميزهم حقاً عن سائر الحيوانات . فمعرفة الإنسان لاتتفق عند حقائق التجربة أو حقائق الواقع ، لأنها بطبيعتهما حقائق عرضية يمكن أن توجد ويمكن أن لا توجد — بل تتجعداها إلى المعرفة بالعمل والأسباب ، ولهم ذايمكنه أن يبصّر العلاقات الضرورية بين الأفكار ، ويدرك حقيقة العقل الضرورية الخالدة التي تتوفر في المنطق والرياضية بوجه خاص .

بهذا يقف لميتشز في وجه النزعة التجريبية السائدة في عصره ، على نحو ما نجدها في فلسفة توماس هو بن ( ١٥٨٨ - ١٦٧٩ ) وجون لوثر ( ١٦٣٢ - ١٧٠٤ ) . ولكن يتبعني علمينا الانسي ، فهم النقد الذي وجهه للنزعة التجريبية ، أو نتصور أنه يقل من قيمة الحقائق التجريبية . فالواقع إنه كان يقدر قيمة التجربة الحسية كل التقدير ، كما كان يتابع نتائج البحث التجاري باهتمام لا مزيد عليه ولم يكن هذا مجرد حب اصطلاح أو رغبة في الاحاطة الموسوعية بكل جديد . فالواقع يشهد بأنه استفاد في بناء مذهبته بكثير من الدراسات العلمية التي تمت في عصره ، كما كان له فضل الأسهام فيها . ويكتفى أنه تنبأ إلى نتائج البحوث التي قام بها العالم الهولندي فان لويفن هووك ( ١٦٢٢ - ١٧٢٣ ) الذي اكتشف عدداً كبيراً من الكائنات الحية الدقيقة عن طريق الميكروسكوب ، كما استعمل بهذه الكشفوف في تدعيم نظرته الحيوية — (المنادولوجيا من ٦٩ - ٦٦ ) .

وإذا كانت التجربة الحسية تمثل عنصرًا هاماً من عناصر المعرفة البشرية، فإن قيمتها في رأيه محدودة ولا يمكنها أن تسقى بامكانيات المعرفة وقد أشرنا إلى نقده للنزعه التجريبية وقلنا إنه لا يريد من هذا النزد أن يقلل من شأن الواقع التجريبية أو يحيط من قيمتها . فالواقع أنه يهدف من ورائه إلى ضمان الحقيقة ، الحقيقة التي لا تتعين على الواقع التجريبية بل تتطلع محققة بصدقها وقيمتها ولو تغيرت كل هذه الواقع عما هي عليه . إنه يدافع عن هذه الحقيقة المطلقة بكل ما يملك من قوة واحلاص ، ويحاول أن يدفع عنها أخطار النسبية والشك . وهو لا يكتفى بذلك كيد إستقلالها القائم عن المصالح البشرية ، والواقع القاريئية ، بل يذهب إلى حد القول بأنها مسؤولة عن إرادة الله لأنها ثابتة ومطلقة وخالدة خلود الله نفسه . ولاريب في أن هذا الموقف يستحق منها كل إعجاب وتقدير .

\* \* \*

ليست كل الحقائق ضرورية ولا أبدية . فلابد في رأي ليهـ: قـزـمـنـ التـيـيـزـ  
بين حقائق العقل الضرورية الخالدة وحقائق الواقع العرضية العادلة . فال الأولى  
هي التي لا يمكن تصور ضدـها ، وإلا كانت متناهية مع نفسها ، ومنها  
مبادئـ الرياضـةـ والمـنـطـقـ . أما الثانيةـ فيـمـكـنـ تـصـورـ ضدـهاـ ، وـمـنـهاـ الحقـائقـ  
التـارـيـخـيـةـ وـقـوـانـينـ الفـزـيـاءـ ( مثلـ قـانـونـ الـحـرـكـةـ )ـ وـالـقـدـرـةـ عـلـىـ تـصـورـ نـقـوصـ  
الـحـقـيقـةـ أوـ عـدـمـ تـصـورـهـ هوـ المـيـارـ المـنـطـقـيـ الذـىـ اـعـقـدـ عـلـيـهـ لـوـبـقـزـ فـيـ التـيـيـزـ  
بيـنـ حـقـائقـ المـقـلـ وـحـقـائقـ الـوـاقـعـ .

بيد أن هذه الفرقـةـ لاـتـلزمـ العـقـلـ البـشـرـىـ وـحدـهـ . فـقـدـ تـصـورـ أنهاـ  
تـرـجـمـ إـلـىـ تـصـورـ المـعـرـفـةـ البـشـرـيـةـ ، وـتـقـيـدـ العـقـلـ بـعـدـودـ لاـيمـكـنـهـ أنـ

يقطنطاها ، ب بحيث لو اتسم نطاق هذا العقل و زادت قدرته وأصبح في قوة العقل الإلهي لأنقلبت الحقائق الواقعية إلى حقائق عقلية . وقد نجد في بعض كتابات ليونيل ما يوحى بهذا القصور . ولكنه في الحقيقة تصور خاطئ . فالفارق الفاصل بين النورين قائم بالقياس إلى الله ، بل أن ليونيل يحاول أن يوضحه من وجهة النظر الإلهية نفسها . لقد تكونت حقائق العقل في العقل الإلهي المطلق ، ومنه استمدت ضرورتها المطلقة . أما حقائق الواقع فترجم إلى إرادة الله ، وتسقى قيمتها من إرادة الخالق الذي شاء أن يختار هذا العالم من بين عدد لا حصر له من العوالم الممكنة . بيد أن اختيار هذا العالم ليس فلاتعفيها من جانب الله . إذ لا يمكن أن يفويض الله نعمة الوجود إلا على عالم واحد . لكن ، ألا وهو هذا العالم الذي هو أصلح وأفضل عالم ممكن . ومعنى هذا أنه يمكن تصور عوالم أخرى ممكنة ، ولكنهما من الناحية التاريخية والواقعية مستحيلة التحقيق . كذلك يمكن تصور الصد المقابل للحقائق الواقعية ، ولكنه من الناحية التاريخية والواقعية مستحيل . وهكذا يمكن أن نقول ، بغير افتراض على تفسيز ، أن الحقائق الخادعة تتطوى أيضاً على نوع من الضرورة يمكن إذا جاز الوصف أن نسميتها الضرورة المشروطة أو النسبية . والواقع أن الوعي بالضرورة المطلقة التي تميز حقائق العقل ، والضرورة النسبية التي تميز حقائق الواقع هو أعم ما أجهذه العقل البشري ، وهو كذلك أوضح ما يجهذه عن سائر الحيوانات . إنه لا يقف عند تشحيل الواقع التجريبية بل يكشف الحقيقة وبسعي إليها ، وهذا هو سر عظمته وكرامته . وهو المخلوق الواحد الذي استطاع أن يؤصلها وينهيها ، لأنه المخلوق الواحد الذي أسس العلوم وعمل على تقدمها وإذهارها . وأسمى هذه العلوم هو

العلم الرياضى الذى بلغت فيه حقائق المقل المخالدة أعلى صورها وأنقاها . فمهادىء الرياضة بغير استثناء تندمى للحقائق الضرورية التى لا يرقى لها فيها الشك . والرياضية هى المثل الأعلى للعام الثابت . ولهذا فليس عجيبة أن يعدها ليهنئ النموذج الذى ينبعى على سائر العلوم — بما فى ذلك الميزة الفريدة ! — أن تقصدى به وتحققى مناهجه . وليهنئ عالم رياضى ، بل هو من أعظم علماء الرياضة فى كل المصور . ولاشك أنه تأثر فى كل هذه الآراء بتعصبه للنزعات الرياضية والمقلانية . ولكن تاريخ الرياضة أثبت صوابية تحقيق آماله ، كما دلت البحوث والخلافات التى نارت فى المحدود الأولى من القرن العشرين حول أصول الرياضة أنها ليست من الثبات واليقين بالقدر الذى تتصوره .

ومن ذلك فقد أدى اهتمام ليهنتز بالمناهج الرياضية إلى اكتشاف عظائم نشهد اليوم آثاره في الأجهزة الحاسبة والسيورنوطقيا والمنطق الرمزي .. الخ، ولا يمكننا أن نقدر أبعاده في المستقبل . وهو في صنيمه اكتشاف بسيط مؤدّاه أن الإنسان يضطر في أذناء اللغة-كثير إلى إستخدام الرموز والعلامات . والعلوم الرياضية توضح هذه الخاصية التي تميز اللغة-كثير البشري في أعلى صوره . فالرياضي يستخدم في حساباته رموزاً وعلامات معينة تختصر عمليات رياضية طويلة ، واسعد للالات عقلية معقدة . وهو لا يتوصل إلى نتائجه الرياضية إلا لأن لغة الرياضة هي لغة العلامات . ولما كان اللغة-كثير الرياضي في رأى ليهنتز هو النموذج الأسمى للغة-كثير البشري عامة ، فقد كان من اليسير عليه أن يخطو خطوة أخرى قصيرة لكي ينتهي إلى أن اللغة-كثير البشري كله . باستثناء الأفكار الأولية التي يبدأ الإنسان منها — هو تفكير بالعلامات ، بل إن اللغة العادبة التي نستخدمها



## (1) Ars Combinatoria

## (2) Characteristica universalis

بنا إلى القول بأن القعرف على الطابع الرمزي لقصورانا والانتباه إلى مزاياه وعيوبه يمكن أن يعيينا على الدقة في التفكير ، والوعي بحدود اللغة والأخطار الناجمة عن سوء استخدام الكلمات والكلام بها دون تمحيص وتحقيق بل دون وازع من ضمير . أضف إلى هذا أن البحث عن نظام كفء من الرموز والعلامات لا يزال مسؤولاً إلى اليوم ، كما أن تطبيق المذاهب الرياضية على العلوم المختلفة قد تزايد نطاقه في العصر الحديث وأدى إلى نتائج جديرة بالاهتمام والإعجاب ، وخصوصاً في النطق الرمزي أو «اللوجيستيك» الذي بعد ليبرنتز أباء الشرعي دون جدال ! وهم بذلك فلابد من القول بأن المحاولات التي تبذل لصياغة كل تفكير علمي صياغة رمزية رياضية وإخضاعه للمذاهب الرياضية هي في الحقيقة محاولات تبدأ ببداية خطأ لا تخفي من القطرف والشطط . ولا يرجع هذا إلى قدرة التفكير الإنساني على تجاوز حدود العلم الرياضي إلى آفاق أوسع منه وحسب ، بل يرجم كذلك إلى وجود مجالات من الواقع لا تعرف الرياضة عنها شيئاً . وهذه حقيقة تصدق على عصر ليبرنتز كما تصدق على عصرنا سواء . وما أصدق قول هاملت لصديقه هوراشيو : أن في العالم يا هوراشيو ما لا يبلغه حكمك المدرسية ! .

\* \* \*

يوصف مذهب ليبرنتز في كتب تاريخ الفلسفة بأنه مذهب «عقلاني» . ولاشك أن هذا الوصف صحيح بوجه عام . ولكن الفلسفة العظيمة ، شأنها شأن الأدب العظيم ، أكبر من الإسم الذي يطلق عليها ، وأعمق من الشعار الذي يلخص إينما أو التصنيف الذي تحبس في خاناته ! والدليل على هذا إننا

أن أصول المعرفة موجودة في كل موناداة فردية ، أي في كل عقل على  
حدة . وهي تنشأ وتنمو عن طريق النشاط الباطن ، بمحبت تقدّم من إدراك  
إلى إدراك وتعمل إلى أكبر قدر من الوضوح والتميز .  
ولا يتردد ليبينتز في وصف النشاط العقلي للإنسان بأنه نشاط مبدع ،  
فليست العلوم في رأيه مجرد انه-كاس للمعلم ، وإنما هي نتيجة نشاط تلقائي

خلق يقى في نفس الإنسان وعقله ، وليس العالم مجرد حيوان مثقف ،  
وأيما هو في الحقيقة إله صغير . ولنسمع في النهاية إلى ما يقتضيه تمجيد  
الإنسان المبدع ، صورة الله وخلائقه على الأرض .

« إن النفس على وجه الأجمال مرأيا حية أو صور من عالم المخلوقات ،  
أما العقول فهى بالإضافة إلى ذلك صور من الالوهية أو من مبدع الطبيعة  
ذاته ، أنها تملك القدرة على معرفة نظام العالم ومحاكاة شىء منه في عينات  
(أو نماذج ) معمارية خاصة ، إذ أن كل عقل في مجاله أشبه « بالله أشبهه صغيرة » — (الموناد والوجيا ٨٣) .

(ج) العالم والآنسان والله :

لازالت مشكلة الله من أهم المشكلات التي شغلت الفلسفه وسوف تشغله على الدوام . جعلها البعض تاج البحث الانساني عن المعرفة ، وعدها البعض الآخر خطاً يهدى الفلسفه في الصيم . ولــكلا الفريقين وجهه نظره التي تستحق مثواً وقفة فصيرة . فقد يتفق للعقل البشري ، بعد رحلة شاقة في مجال الفكر ، أن ينفذ لامنطق ( وهو ما نسميه الله ) فيرى فيه الهدف الأخير ، وتبدو له الرحلة وكل ما وجده على الطريق في ضوء غامر جديد . ولعل هذا أن يكون هو السبيل إلى بلوغ الوحدة العليا لــكل ما هو كائن . فقد كانت الوحدة منذ البداية هي موضوع الفلسفه الأخير ، إن لم تكن هي موضوعها الوحيد - غير أن هناك من يحتم على الفلسفه أن تبحث في مشكلة الله ، ويفكر على الفلسفه أن يضعوا نظرية عنه أو دائمًا على وجوده . فالفلسفه في رأيهم يخرجون بذلك عن وظيفتهم ، أو يقدرون من مواجهة المشكلات الفلسفية الحقيقية ، أو يدارون كسلفهم المقللي ، أو يتحاشون الاعتراف بأنهم ساروا في طريق مسدود .

ولا شك أن القبرة واجبة بين إنسان ينطلق من دوافع جادة فيصل إلى معرفة الله عن طريق البحث النزيه ، وبين إنسان بسيء استخدام فكره الله للتخلص من المشكلات التي تواجهه ، أو يسلك إليه طريق الفلسفة مدفوعاً بدوافع غير فلسفية .

وقد عاصر ليهنتز فلاسفة أسماء وآلة مخدام فكرة الله ، أو أستندوا  
عليها وظيفة لا تسلم من النقد والاعتراض . فها هو ذا ديكارت يعتقد أن  
وجود العالم الخارجي رهن بوجود إله صادق لا يمكن أن يخدعنا . وهذا هم  
(م٤ - المونادولوجيا )

أصحاب مذهب المنسوبة Occasionalists وفي مقدمتهم أرنولد جيلنكس<sup>(١)</sup>، وقد جلأوا إلى الله لكي يفسروا العلاقة بين النفس والجسم - التي لم يستطع ديكارت أن يقدم لها تفسيراً مرضياً . قالوا إن النفس كلها أرادت أن تحرك جسدها عالم الله بقصدها فسبب الحركة على الفور . وقد عجز مالبرانش عن تفسير معرفة المقل البشري بالحقائق الأزلية ، لمجرد أنه لا يدرك القوى الشفائية للإرادة التي تسكن في العقل نفسه ، ولهذا جلأ أيضاً إلى الله -- فالله ، وهو الحقيقة المطلقة ، مائل للعقل ، وهذا العقل يدرك الحقائق الأزلية في الله مباشرة .

وقد وقف ليبينز في وجه ديكارت وأصحاب مذهب المنسوبة ولم يقبل رأي مالبرانش بغير نقد وتحقيق . ولكن هذا لا يعني أنه كثيراً ما جلب لفكرة الله ليقلب على المصاعد التي تواجه مذهبهم . ويكتفى أن نذكر كفر فكرته عن الاتساق المقدر . فالمونادات يستحيل عليها أن تؤثر على بعضها البعض تأثيراً سهلاً ، والتفاعل بين الأجسام والمونادات - وهي عقول هذه الأجسام وأرواحها - شيء لا يمكن تصوره . ومن ثم فلا يمكن تفسير الاتساق الظاهر في العالم إلا بالرجوع إلى الله الذي خلق المونادات وأوجد الاتساق بينها منذ البداية . وقد رأى ليبينز في ذلك دليلاً جديداً على وجود الله لم يسبق أحد إليه . ولكنه كما ترى دليل ضعف لا يسلم من النقد ، فقد استخدم فكرة الله أو بالأحرى أسماء استخدامها ليجد مخرجاً من طريق فلسفى مسدود .

قد نستطع أن نذكر أدلة ليبينز على وجود الله أو نشكك فيها من

---

(١) A. Geulincx . وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل .

وجهة نظر مذهبية ، ولستكنا لا نستطيع أن نذكر الجهود المخلصة التي بذلها في حديثه عن الله ونذكره فيه تقديرًا منطقيا . وبتعميل هذا في نظره الدائم الديكارتي على وجود الله فقد استنتج ديكارت وجود الله من فكرة الـكـامـنـ المطلقـ الـكـامـالـ ، لأنـ الـكـامـنـ الـكـامـلـ إذا افقر إلى الوجود فلن يكون مطلقـ الـكـامـالـ . ويمترض ليهـنـقـزـ علىـ هذاـ فيـقـولـ إـنـ دـيـكارـتـ لمـ يـبـثـ إـمـكـانـ هـذـهـ فـكـرـةـ . فـرـبـماـ كـاتـ فـكـرـةـ «ـ الـكـامـنـ المـطـلـقـ الـكـامـالـ »ـ فـكـرـةـ مـقـنـاقـضـةـ فـيـ ذـاـتـهـاـ ، مـثـلـهـاـ مـثـلـ فـكـرـةـ «ـ الـعـدـدـ الـأـكـبـرـ »ـ . غـيرـ أـنـ ليـهـنـقـزـ يـعـقـدـ أـنـهـاـ فـكـرـةـ يـمـكـنـ إـنـبـاتـ خـلـوـهـاـ مـنـ القـنـاقـضـ ، وـعـنـدـ أـنـ يـكـونـ الدـاـيمـ الـدـيـكارـتـيـ مـقـنـعـاـ وـحـاسـمـاـ . فـمـنـ إـمـكـانـ وـجـودـ كـامـنـ مـطـلـقـ الـكـامـالـ يـمـكـنـ اـسـتـنـقاـجـ وـاقـعـيـةـ هـذـاـ الـوـجـودـ بـالـفـعـلـ إـنـ وـجـودـ اللهـ ، (ـ كـاـ تـقـولـ الـمـوـنـادـوـلـوـجـيـاـ ٤٠ـ)ـ — نـقـيـعـةـ بـسـيـطـةـ مـتـرـتـبةـ عـلـىـ إـمـكـانـ وـجـودـهـ . وـهـكـذـاـ فـانـ اللهـ وـحـدهـ (ـ أـيـ الـوـجـودـ الـغـرـوريـ)ـ يـقـيـمـ يـأـنـهـ يـجـبـ أـنـ يـوـجـدـ إـذـاـ كـانـ مـكـنـاـ . وـلـمـ اـمـ يـكـنـ هـنـاكـ شـيـءـ يـعـكـنـهـ أـنـ يـدـنـمـ إـمـكـانـ ذـاـكـ الذـىـ لـاـ حدـودـ لـهـ ، وـلـاـ يـقـضـمـ سـلـبـاـ وـلـاـ تـنـاقـضـاـ فـانـ هـذـاـ يـجـعـلـنـاـ بـالـضـرـورـةـ قـادـرـينـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ اللهـ مـعـرـفـةـ قـبـلـيـةـ Aprioriـ (ـ الـمـوـنـادـوـلـوـجـيـاـ ٤٥ـ)ـ وـمـنـذـ أـنـ صـاغـ الـقـدـيـسـ أـنـسـيـلـ (ـ ١٠٢٣ـ - ١١٠٩ـ)ـ هـذـاـ الدـاـيمـ الشـهـيرـ فـيـ بـدـاـيـةـ الـعـصـرـ الـوـسـيـطـ وـالـفـلـسـفـةـ الـمـدـرـسـيـةـ وـالـآـرـاءـ تـخـلـفـ حـوـلـهـ بـيـنـ الإـعـجـابـ وـالـإـنـكـارـ — وـقـدـ كـانـ الـقـدـيـسـ تـوـمـاسـ الـاـكـوـينـيـ كـاـ كـانـ كـاتـ مـنـ أـهـمـ مـعـارـضـيـهـ . وـمـمـاـ تـكـنـ وـجـاهـةـ الـأـسـبـابـ الـتـىـ يـقـدـمـهـاـ مـعـارـضـوـهـ فـسـوـفـ يـعـتـرـفـونـ بـغـيـرـ شـكـ بـأنـ الـحـجـجـ الـتـىـ يـقـدـمـهـاـ مـؤـيـدـوـهـ لـاـ تـخـلـوـ مـنـ الـقـوـةـ — وـلـاـ بـدـ عـلـىـ كـلـ حـالـ مـنـ فـهـمـ الدـاـيمـ فـمـاـ يـقـومـ عـلـىـ اـعـقـبـاـرـ الـإـطـارـ الـفـلـسـفـيـ الـذـىـ نـشـأـ ثـمـ تـجـددـ فـيـهـ . وـقـدـ كـانـ هـذـاـ الـإـطـارـ دـائـماـ هـوـ الـفـلـسـفـةـ الـمـثـالـيـةـ الـتـىـ تـطـمـعـ أـنـ تـكـوـنـ فـيـ نـفـسـ الـوـقـتـ فـلـسـفـةـ

واقمية ، ومن ثم سميت بحق المآلية الواقعية . يصدق هذا على آية يبيّنون كما يصدق على القائلين به قبله .

ومع هذا فليس الدليل الانطولوجي في نظر آية يبيّنون بالدليل الوحيد على وجود الله ولا هو الدليل القاطع عليه <sup>أ</sup> . فهو يقول بدليل « بعدي » آخر يقوم على الحدوث أو على إمكان الأحداث في العالم ، فـ كل ما يحدث في العالم ، وكل ما يوجد فيه ، يمكن ، أي أن عدم وجوده أمر يمكن من الناحية المنطقية . فإذا وجد في الواقع شيء كان من الممكن لا يوجد ، فلابد أن يكون هناك سبب كاف جعله يوجد بدلاً من أن يكون عدماً — فما هو هذا السبب ؟ سواء فسرنا الأحداث الممكنة بأسباب مقتناهية ، أو رحنا نبحث عن تفسير لها في مجال الامتناعي ، فلن فزيد في الحالين على تقديم أسباب أو عمل هي بدورها أسباب ممكنة . وإن يتمنى لنا بهذه الطريقة أن نفتر على سبب كاف للممكنتات أو الحادثات . لابد إذاً أن يوجد هذا السبب السكاف خارج سلسلة العمل والأسباب الممكنة ، ولا بد أيضاً لا يكون هو نفسه ممكناً ولا حادثاً ، أي لا بد أن يكون جوهرآ ضرورياً . هذا الجوهر الضروري هو الذي نسميه الله . ولاشك أن تفسير آية يبيّنون هنا مختلف كل الاختلاف عن تفكير أولئك الذين يلجأون إلى الله ويصطليونه اصطلاحاً لمجازهم عن المضى بتفكيرهم إلى غاية مقنعة ، أو يأسهم من قصور العقل البشري الذي تعب من عباءة السفر فالقى مراسيمه عند أقرب مرفاً ؟ ولعلم الله في هذه الحالة أن يكون أشبهه « بالإله الآلة » <sup>(١)</sup> الذي كان كتاب المسرح اليوناني والروماني يلتجأون إليه لانهاء المسرحية

وحل الأزمة الدرامية التي عجزوا عن السير بها إلى حل طبيعي نابع من تطور الأحداث نفسها . لم يفعل ليبينتز شيئاً من هذا ، بل ظل على إخلاصه للحقيقة مهما طال الطريق . ولم يكن الله عنده مجرد فرض يرضى مطالب الفكر الذي يريد الراحة والرضا في المطلق ، ولا كان حلقة أخيرة في سلسلة من الأسباب الممكنة . وإنما هو « السبب الكاف » الذي يجعل كل حلقة من حلقات السلسلة ممكنة ، بحيث يستطيع الفكر أن يصل إليه إذا انطلق من أية حلقة منها .

ويقيم ليبينتز دليلاً على وجود الله على الحقيقة ، مثله في هذا مثل أفلاطون والقديس أوغسطين . فإذا كانت الحقائق خالدة وثابتة ، فإن ليبينتز لا يستنتج من ذلك وجود الله يكون هو المبدأ الخالد الثابت لهذه الحقائق . وإنما ينبع طريقاً آخر يدل على طابع تفكيره . فهو يستنتج من واقعية الأفكار ( أو المثل ) الخالدة والحقائق الأبدية التي نعمد عليها ضرورة وجود علة أو سبب لهذه الواقعية . إن امكان الأفكار - اي إمكان تصورها - وضرورة الحقائق الأبدية ليسا إلا صورة من صور الواقع ، ولا بد أن يكون مصدر هذا الواقع موجوداً بالفعل ، ولا بد أن يكون ضرورة الأفكار والحقائق نفسها . ويعبر ليبينتز عن هذا الدليل في الفقرتين رقم ٤٣ و ٤٤ من المونادولوجي . ولو قرأنا هاتين الفقرتين وتأملنا الدليل جيداً لأدركنا أن وصف فلسفة بالمتالية الواقعية أو المثالية الموضوعية لم يكن وصفاً بعيداً عن الصواب . فاتهات وجود الله على أساس الحقيقة هو الوجه المقابل لإنهات وجوده على أساس الحدوث أو الإمكان ، وبينما ينطلق الدليل الأخير من الطابع الفعلى والواقعي للممكنا ، نجد الدليل الأول ينطلق من واقعية الغروري . ويؤمن ليبينتز بأن وجود الله فوق كل شك إن الله هو مصدر الحقائق

الأبدية الخالدة ، وهو كذلك ذات العالٰم الممكن . والإمكان الذى هو صفة العالم لا يعني أن هذا العالم يمكن ألا يوجد فحسب ، بل يعني أيضاً أن العالم يمكن أن يكون مختلفاً عما هو عليه بالفعل . ويعتقد ليبينتز أن هناك عدداً لا نهاية له من العوالم الممكنة ( والمكان هنا ينصرف كما قدمنا إلى إمكان التصور ) ولو سأله سائل : لماذا اختار الله هذا العالم بالذات من بين العوالم الممكنة التي لا جسر لها لـ كان سؤاله في حاجة إلى جواب . إذ لا بد أن يكون هناك سبب كاف لهذا الاختيار ، شأنه في ذلك شأن كل شيء آخر . ويعتقد ليبينتز أنه يستطيع أن يقدم الجواب . فالعقل الإلهي في رأيه قد تحقق من أن عالماً واحداً من بين العوالم الممكنة ، وعالماً واحداً قحسب ، هو أفضليها جميعاً ، لهذا شاءت ارادة الله أن تختار هذا العالم الأفضل ، تمشياً منها مع قانون الأصلح والأفضل .

هكذا يصل ليبينتز إلى فكرته المشهورة عن أفضلي عالم ممكن . وهي الفكرة التي طالما انى عليها البعض وسخر بها البعض الآخر من السخرية ! ولقد كانت الفكرة ملائمة لذوق العصر الذي نشأت فيه من بداية القرن الثامن عشر . فقد نسي الناس حرب الثلاثين وما جرت على أوروبا من كوارث وويلات ، واستوى « الملك الشمس » لويس الرابع عشر على عرش فرنسا المترفة المزدهرة ، وشاع تفاؤل عصر التنوير في شرایین الحياة العقلية والروحية . غير أن كارثة رهيبة كانت تتفاقم لهذا التفاؤل بالمرصاد . فقد فوجىء الناس في سنة ١٧٥٥ بزلزال اشبورن المشهور الذي قتل فيه أكثر من ثلاثة ألف إنسان . ولا بد أن هذه الكارثة قد حفرت آثارها العميقه في الروح الاوروبية ، وزعزعت تفاؤلها وإيمانها . الأعمى بانتصار العقل . وقد استوحى فولتير روايته الفلسفية « كاذيد » ( ١٧٥٩ ) من هذا الحادث

فـكـانـت سـيـخـرـيـة عـضـت تـفـاـوـل لـيـهـنـقـز بـأـنـهاـبـها الـحـادـة ١ وـالـوـاقـع أـن شـعـار « التـفـاـوـل الـمـيـقـاـفـيـزـيـقـى » الـذـى أـطـافـ عـلـى نـظـرـيـة لـيـهـنـقـز عـن أـفـضـلـ الـعـوـالـمـ الـمـكـنـةـ قـدـ يـبـرـرـ الـبـوـاعـثـ الـنـفـسـيـةـ الـتـىـ أـدـتـ إـلـيـهـاـ ، وـلـكـنـهـ لـاـ يـصـلـ إـلـىـ جـذـورـهـاـ . لـمـ يـكـنـ لـيـهـنـقـزـ بـطـبـيـعـةـ الـحـالـ مـعـصـوبـ الـعـيـنـيـنـ عـاـيـجـتـاحـ الـعـالـمـ مـنـ شـرـ وـبـؤـسـ وـعـذـابـ وـمـوـتـ ، وـلـكـنـهـ كـانـ يـعـقـدـ أـنـنـاـ لـنـ نـسـطـطـعـ أـنـ نـقـيمـ سـبـبـاـ كـافـيـاـ يـبـرـرـ وـجـودـ هـذـاـ الـعـالـمـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ هـوـ أـفـضـلـ عـالـمـ عـمـكـنـ . وـقـدـ يـسـأـلـ سـائـلـ : وـلـمـاـ لـاـ تـبـحـثـ عـنـ هـذـاـ السـبـبـ السـكـافـ فـإـرـادـةـ اللـهـ الـحـرـةـ ؟ـ وـحـرـيـةـ الـإـرـادـةـ فـكـرـةـ رـحـبـةـ مـقـمـدـةـ الـجـوـانـيـنـ وـالـأـبعـادـ . وـلـأـشـكـ أـنـ أـحـسـاسـ لـيـهـنـقـزـ بـهـاـ — كـأـحـسـاسـهـ بـالـمـوـتـ وـالـشـقـاءـ الـبـشـرـىـ — كـانـ يـفـقـرـ إـلـىـ النـبـضـ الـإـنـسـانـىـ . وـلـكـنـهـ ظـلـ عـلـىـ كـلـ حـالـ مـقـسـقاـ مـعـ فـكـرـةـ وـمـنـطـقـ مـذـهـبـهـ . فـهـوـ يـعـيـلـ إـلـىـ جـانـبـ الـقـانـونـ وـالـرـياـضـةـ وـالـمـنـطـقـ . وـإـذـاـ بـدـأـ لـأـحـدـ أـنـ يـضـعـ الـحـرـيـةـ فـمـقـابـلـ الـخـلـصـوـعـ لـلـقـانـونـ وـجـدـنـاهـ يـعـيـلـ لـهـذـاـ الـجـانـبـ الـأـخـيـرـ . وـمـاـمـنـ شـكـ فـأـنـهـ سـيـرـفـضـ أـنـ يـقـرـكـ الـأـمـرـ فـخـلـقـ الـعـالـمـ أـوـ عـدـمـ خـلـقـهـ لـإـرـادـةـ اللـهـ ، وـسـيـرـفـضـ كـذـاكـ أـنـ يـتـرـكـ لـهـاـ الشـأـنـ فـخـلـقـهـ عـلـىـ هـذـاـ النـجـوـ أـوـ ذـاكـ . وـمـنـ رـأـيـهـ أـنـ اللـهـ لـمـ يـكـنـ لـيـهـنـقـزـ غـيـرـ هـذـاـ الـعـالـمـ الـذـىـ خـلـقـهـ بـالـفـعـلـ . صـحـيـحـ أـنـ هـذـاكـ عـدـدـاـ لـاـ يـنـتـهـىـ مـنـ الـعـوـالـمـ الـمـخـلـقـةـ الـمـكـنـةـ . وـلـكـنـ يـجـبـ أـلـاـ نـنسـىـ مـاـقـلـنـاهـ مـنـ أـنـ الـإـمـكـانـ هـذـاـ يـعـنـىـ إـمـكـانـ تـصـورـهـاـ مـنـ النـاحـيـةـ الـمـنـطـقـيـةـ ، لـامـنـ نـاحـيـةـ الـقـعـدـةـ الـفـعـلـىـ . فـالـعـالـمـ الـمـوـجـودـ بـالـفـعـلـ هـوـ الـعـالـمـ الـوـحـيدـ الـذـىـ يـمـكـنـ تـحـقـقـهـ فـالـوـاقـعـ ، بـحـيـثـ لـاـ يـخـتـلـفـ عـمـاـ هـوـ عـلـيـهـ بـالـفـعـلـ ، وـبـحـيـثـ يـشـقـمـ عـلـىـ كـلـ مـاـنـعـرـفـهـ فـيـهـ مـنـ أـفـرـادـ وـأـحـدـاثـ . فـلـيـهـنـقـزـ إـذـاـ يـهـارـكـ كـلـ مـاـهـوـ مـوـجـودـ وـكـلـ مـاـهـوـ وـاقـعـ ، لـاـسـبـبـ إـلـاـ لـأـنـهـ ضـرـورـىـ ، وـلـأـنـهـ كـانـ حـقـمـاـ أـنـ يـوـجـدـ عـلـىـ الصـورـةـ الـتـىـ وـجـدـ عـلـيـهـاـ . وـلـابـدـ أـنـ الـفـارـىـءـ قـدـ لـاحـظـ فـهـذـاـ

الرأى شيئاً من التمجيد للجانب القارئي من الوجود . ولا بد أنه لاحظ أيضاً أن الشر والألم والموت لن تكون إلا خيوطاً غريبة على نسيج التجانس والأنساق والانسجام السكري ، أو أنفاماً قليلة نادرة في سياق المحن الأذلي الرائئ .. وربما يسأل : ألا تكون حرية الفرد مهددة في هذا العالم الذي هو أفضل عالم ممكن ؟ الحق أن ليهنتز يتحدث عن الحرية البشرية حديثاً ما ذُر الدفء والأخلاص ، ولتكننا لو نظرنا إلى هذا الحديث في إطار المذهب العام لفقد كثيراً من قدرته على الاقناع . ومن يدرى ؟ فربما يعزينا قليلاً أن حرية الله والإنسان كلّيهما مهدد بالخصوص الشامل للقانون ! .

رأينا من قبل أن ليهنتز ينظر للعقل الإنساني نظرته «الصورة الأووهية» ، بل أنه ليعده «الها صغيراً» . وقد دفعه على هذا الرأى المثالي النبيل ما وجده في هذا العقل من نشاط يتمثل في تقدم العلوم وازدهارها . ولتكن هذا الرأى دفعه من ناحية أخرى إلى إقامة علاقة خاصة بين الله والعالم . وهذا هو ذا يرجع إلى فكرة القديس أو غسطين المشهورة عن «مدينة الله» لتوبيخ هذه العلاقة . ويكتفى أن نقرأ ما يقوله عن ذلك في المونادولوجيا (٨٤-٨٦) : « وهذا هو الذي يجعل العقول قادرة على الدخول من الله في نوع من الحياة الجماعية ، بحيث لا يكون الله بالنسبة إليه كالمحترع بالنسبة لآلهة فحسب (كما هو الحال بالقياس إلى علاقة الله بسائر المخلوقات) وإنما يكون كذلك كالأمير بالنسبة لرعاياه ، بل كالأب بالنسبة لأبنائه . من هذا نستنتج بسهولة أن مجموع العقول يؤلف بالضرورة مدينة الله ، أي أكمل مدينة ممكنة في ظل أكمل الحكم . أن مدينة الله هذه ، هذه المملكة السكردية بحق ، هي عالم أخلاقي داخل العالم الطبيعي ، وهي أسمى أعمال . الله وأكثيرها أووهية » .

الإنسان إذا هو شريك الله في «مدينة الله»، أو في «ملائكة العناية». ليس مجرد كائن طبيعي، بل هو شخص قادر على الحب وجدير به . وليس أجمل من كلام ليبيان نفسيه تعبيراً عن هذه الصلة الحميمة بين الله والإنسان، فقد كتب إلى صديقه ورائعته الأميرة صوفى في الرابع من نوفمبر سنة ١٩٩٦ رسالة يقول فيها إن العقل الإنساني قادر على معرفة الله ، وهذه المعرفة هي الأساس الذى تقوم عليه رسالتنا الأخلاقية والحضارية : أن أسمى العقول (الأرواح) جميعاً هى التي تملك القدرة على فهم الحقائق السرمدية، ولا تسكت فى بقى العالم تمنلا غامضنا بل تفهمه وتحصل على أفكار واضحة عن خيرية الجوهر الأسمى وعظمته . ومعنى هذا ألا تكون مزايا العالم وحسب (فكل الأرواح كذلك) وإنما تزيد على هذا فتكون مزايا تمكّس خير ما فيه ، أى الله ذاته . وهذه هي ميزة العقول ، وهى التى تعينها على حكم الموجودات الأخرى - باعتبارها صورة الله .

##### (٥) ملامح عامة :

كل فلسفة تستحق هذا الاسم أشبه بكلأن عضوى حى ، منها فى هذا مثل كل عمل باق فى الأدب والفن والعلم والحياة .

وقد حاولنا جهد الطاقة أن نتعرف على الخطوط العامة التى يقرأها منها نسيج هذا السكان ، والأعمدة الذى يقوم عليها هيكله . وعلينا الان أن ننظر من الخارج ، امل الرؤية الكلية أن تكشف عن أبرز قصاته وملامحه .

ربما كانت « الوحدة » هي أول ما يلفت النظر في فلسفة ليوبونز . فهى فلسفة تحاول أن تضم الكلمة في مركز واحد أو بذرة واحد . صحيح أن التجربة تعلمنا كل لحظة أن الأشياء متعددة ومتعددة . ولكن الفلسفة يتساءلون منذ القدم : هناك وحدة تضم هذه الكلمة المائة من الأشياء ، وعلى أي نحو تتم ؟ أم أن هذه الوحدة شيء من صنع العقل الذي يفرضها على الموجودات المتعددة بطبعيتها ؟ .

أجاب أفلاطون على هذا السؤال فافتراض وجود « أيدوس » أو مثال أو نموذج تشارك فيه أشياء مختلفة ، ثم حاول بعد ذلك أن يوجد بين هذه المثل والنماذج العديدة في مثال أعلى ونموذج أشرف وأسمى ، سماء « الله » حينا ، والخير في معظم الأحيان . وقد تابع ليوبونز خطى أفلاطون في بحثه عن الوحدة التي تجمع الكلمة ، واستكمل سلك منهجا مختلفا عن منهج أفلاطون . فهو يتحدث مثلا عن أفكار أبدية خالدة ، أو عن مثال أو نماذج أولى لكل الخلوقات وهذه المثل والنماذج كائنة في عقل الله . إن جميع الأشياء المتناهية على علاقة ببعضها البعض ، وهذه العلاقة تتوافر بينها في وحدة حقيقة . ولهذه العلاقة نفسها وجهان ، فهي تعبر من ناحية عن

أن جمِيع الأشياء المعنوية إما هي في نهاية الأمر مونادات، أو كائنات واحدة أو «أحادات»، كما تعبَر من ناحية أخرى عن أن كل مونادة منها تعكس العالم كله، أي تعكس جمِيع المونادات الأخرى على صفةٍ منها. وهكذا لا يرى ليهنتز أننا يمكن أن نتكلَّم عن وحدة العالم دون أن نحضر في نفس الوقت لـكلام عن مبدأ لهذه الوحدة من خارج العالم، سواءً أكان هذا المبدأ هو الله أم الأذكار. ولذلك يرى من ناحية أخرى أنه لا يمكن تفسير هذه الوحدة القائمة داخل العالم إلا بالرجوع إلى الله، لأن الله هو أصل جمِيع المونادات الخلوقة أو المعنوية، وعلة تجانسها وإتساقها مع بعضها البعض.

لقد قيل بحق إن ليهنتز قد ازْلَقَ أثناء محثته عن الوحدة التي تضم كثرة الموجودات إلى نوع من الوحدية النفسية أو الروحية التي تعبَر عنها هذه الجملة: كل ما هو موجود، فهو من جوهر الروح أو العقل (المونادة). وقيل أيضاً إن فكرته الصحيحة عن تعلق كل موجود له طابع الجسم بكل موجود له طابع الروح أو العقل قد بولغ فيها مبالغة كبيرة في فكرة أخرى خاطئة تقول بأن العقل أو الروح كما نجربها في أنفسنا هي الموجود والوحيد الممكن. ومع ذلك فقد نستطيع أن نرد على هذا الزعم فنقول إنه إذا صرَح ليهنتز بأنه أقام نوعاً من الوحدية فيما يحصل بعالم التجربة والخبرة، فإن من الخطأ البالغ أن تنسب إليه تلك الوحدية المطلقة التي ينتفى فيها الفارق بين الله والعالم. ذلك لأن ليهنتز يذهب بوضوح إلى أن الله متعال على العالم، وهو يعبر عن هذا الرأي على النحو التالي: أما أن كل مونادة تؤافِ مع مونادات أخرى الجسم الذي تحكمه مونادة مركبة، وأما أن تكون هي نفسها مونادة ذلك الجسم، كأن المونادة المركزية التي تقوم

بوظيفة النفس أو الروح يسكنها ، بالاشتراك مع مونادات أخرى ، أن تؤلف الجسم المتعلق بشكل أعلى للروح . وبهذا نعتبر الله ، وهو المونادة الأصلية ، بمنابة الروح العليا كما نعتبر عالم المونادات المعنوية بمنابة جسم الله . ولكن هذا كله أبعد ما يكون عن تفسير كبير ليمنقز الذي يرى أن الله لا يدخل في تكوب النسيج الذي يؤلف عالم المونادات المعنوية . فهو بهذه المونادات المعنوية جميما ، حتى أسمى العقول وأعلى الأرواح ، تعمد دائمًا وبالضرورة على مونادات أخرى تكون الجسم الذي تتعلق به ، أما الله ، والله وحده ، فهو مبدأ من الجسمية ، منه عنها كل القنزيه (العوناد ولوجيها ٧٢) هكذا يصل تفسير ليمنقز في سعيه إلى الوحدة إلى الحد الذي يقتضيه . ومهمًا أغراه مذهبه بتحطى هذا الحد أو أوحى به إليه ، فإنه يظل على تمسكه به ولا يقعداه .

هذا البحث عن الوحدة وراء التنوع ، وهذا الاقتناع بأن الفكر والوجود في صميمها شيء واحد ، يعملاً بغير شك من ليبيونيز فيلسوفاً أفلاطونيا (٤) . والواقع أنه كان يميل إلى هذا الوصف ولا ينكره . غير أن هناك من الأسباب ما يدعونا في نفس الوقت إلى وصفه بالفيلاسوف الأرسطي . صحيح أنه لم يكن ليرضى عن هذا الوصف الذي ربما أثار في نفسه ذكرى الفلسفة المدرسية الجافة التي شاعت في أيامه ، وتبعدت فيها

(\*) يقرر هذا في مقدمة كتابه «المقالات الجديدة عن العقل الإنساني» الذي خصصه للرد على كتاب لوك المشهور، فنجده يقول صراحة: «إن مذهبه (أى مذهب لوك) أقرب إلى أرسطو ومذهبى أقرب إلى أفلاطون، وإن كان كلامنا قد انطلق في أمور كثيرة من مذهب هذين الكتابيين». (ترجمة لاتا، ص

أفكار أرسطو الحية في صيغ مماثلة . غير أن إحساس ليبينتز بقيمة الفرد يسough لها إطلاق الصفة المموجة عليه ! فهو يتفق مع أرسطو في أننا نلتقي بالوجود الحقيقي في الموجودات المقددة أو في الجوهر المفردة . والتنوع العجيب الذي نشاهده من تنوع الأفراد و اختلافها وكثورتها يعد من أهم خصائص العالم وأجلها قيمة . وهو لا يوااق أرسطو على هذا كله فحسب ، بل يذهب إلى أن النظام الذي نراه في العالم لا ينبعى أن يزيد مما هو عليه حتى لا يؤثر على التنوع الحاصل فيه . إن الفرد المتميز المفهود يحيط بقيمة ذاته . وقيمة في تفرده وأصالته التي تجعله موجودا فسيح وحده ، لا ثانى له في الوجود كله . ومن الواضح أن ليبينتز يذهب إلى أبعد مما ذهب إليه أرسطو . فلم يكن في وسم مفكر يوناني أن يقدر فكرة القفرد كل التقدير ، لأن هذا يعمد إلى حد كبير على النظرة المسيحية إلى الشخصية والتاريخ . ولهذا يمكننا أن نقول إن ليبينتز يواصل السير على طريق التراث الفلسفى المسيحى حين يمقترن القفرد قيمة وحين ينظر إلى العقل بوصفه أعلى صورة من صوره . وهو في الواقع لا يكتفى بتكرار هذه الفكرة القديمة ، وإنما يعبر عنها تعبيراً جديداً يكشف بدوره عن أصالته . فهو يرى أن تفرد الموナدة الفردية يمكن تفسيره من خلال علاقتها بالشكل ، أعني من خلال المظاور الذى تطل منه كل موナدة على العالم وتمكشه على طريقتها ومن وجهة نظرها . فإذا طبقنا هذا على الإنسان أمكن القول بأن تفرده يعتمد على تفرد الصورة التى يلقطها عن العالم وتميزه عن غيره من الناس . إن وجود الفرد يعتمد على وجود الجموع . وقد رأى ليبينتز هذا رؤية مثالية واضحة . ولكن ظاهرة لم تتجاوز هذه الرؤية الهندسية المقجنة . ولم تؤثر عليها فكرة العلاقة الشخصية بين الأفراد ، ولا فكرة التأثير والتأثير المتبادل بينهم في الواقع .

والجتمع . ولهذا ظلت الفردية والفرد عزمه بعيداً عن كل ما تحملاته اليوم من المعانى الروحية والطاقات الانفعالية والبوتاعث الاجتماعية والنفسية .

ولهذا فقد يكون من الخير ألا تتعمل فــفكرة التفرد عنده باــكثير مما تقتمل  
ولا نستخرج منها نتائج لم يكن من المــمــكن أن ينتبهــ لها . ومن يدرى؟  
فــلهــ كان يرىــ بها تــأــكــيدــ فــفــكــرــةــ «ــالــواــحــدــيــةــ»ــ ،ــ أــىــ تــأــكــيدــ القــوــلــ أــنــ كــلــ  
مــوــجــودــ وــاــحــدــ ،ــ وــأــنــاــ مــمــاــ جــرــدــنــاهــ مــنــ كــلــ صــفــاتــهــ فــلــانــ فــســقــطــيــعــ أــنــ فــجــرــدــهــ  
مــنــ صــفــةــ أــنــهــ وــاــحــدــ إــلــىــ جــانــبــ أــنــهــ مــوــجــودــ ..ــ وــهــىــ فــكــرــةــ الــىــ أــكــدــهــ  
أــفــلــوــطــيــفــ مــنــ قــبــلــهــ عــنــ «ــالــواــحــدــ»ــ الــمــخــالــفــ عــنــ كــلــ مــاــ يــصــدــرــ عــنــهــ .ــ ثــمــ  
أــكــدــهــ هــوــ مــنــ نــاحــيــةــ الصــفــاتــ وــاــنــصــائــصــ الــقــىــ يــنــفــرــدــ بــهــ كــلــ مــوــجــودــ  
عــنــ كــلــ مــاــعــدــاهــ .ــ وــلــاــ يــجــبــ بــطــبــيــيــةــ الــحــالــ أــنــ نــفــهــ هــذــاــ مــنــ النــاحــيــةــ الــعــدــدــيــةــ  
فــحــســبــ ،ــ إــذــ أــنــ هــذــاــ بــعــيــدــ كــلــ الــبــعــدــ عــنــ فــكــرــيــهــ .ــ بــلــ يــجــبــ أــنــ نــفــهــ مــنــهــ  
أــنــهــ يــؤــكــدــ أــنــ الــفــرــدــ لــيــســ فــرــدــاــ مــنــ نــاحــيــةــ الــعــدــ فــحــســبــ ،ــ وــإــنــاــ هــوــ فــرــدــ مــنــ  
نــاحــيــةــ الــفــاعــلــيــةــ وــالــطــاــقــةــ وــالــطــابــعــ الشــخــصــىــ الــذــىــ يــةــمــيزــ بــهــ عــنــ كــلــ فــرــدــ (ــ أــوــ  
جوــهــرــ)ــ ســوــاــهــ .ــ وــهــىــ فــكــرــةــ أــســاســيــةــ فــيــ مــذــهــبــهــ فــيــ الــوــجــودــ وــالــدــيــنــ وــالــأــحــلــاقــ  
جــيــهــاــ ،ــ إــذــ بــغــيــرــ هــذــاــ الطــابــعــ الشــخــصــىــ وــالــفــرــدــ لــاــ يــكــوــنــ ثــمــةــ مــيــجــالــ لــالــنــوــاــبــ  
وــالــعــقــابــ بــعــدــ الــمــوــتــ .ــ

2

هكذا حرص ليونيز على تأكيد فكرة الفرد والتنوع حرمه على تأكيد فكرة الوحدة والشمول . وهذا يكشف لنا عن سمة أخرى من أبرز سمات فكره ، وأعني بها ميله الدائم إلى التوفيق بين الآراء المتعارضة والتأليف بين الاتجاهات المتباعدة في مركب واحد . تشهد على هذا محاولةه التوفيق

بين النظرة المأثية والنظرة الميكانيكية للعالم ، أى بين أفلاطون وأرسطو من ناحية وبين ديكارت والعلماء الطبيعيين في عصره من ناحية أخرى .

وقد لمنا هذه المسألة من قبل ، ورأينا كيف قبل ليهنة الفزعة الميكانيكية المحدودة وأصر في نفس الوقت على رفض الفزعة الميكانيكية المطلقة ! فهو يوافق على أن جميع العمليات الفزيائية يمكن تفسيرها ميكانيكيًا ، ولكن يرى أيضًا أن من الممكن الإبقاء على التفسير الغائي الذي وصل إلينا عن الفلسفة القديمة ، بل إن هذا التفسير الأخير لا غنى عنه حتى يقوم التفسير الأول على أساس وطيد .

فإذا أردنا بالغائية والميكانيكية أن يكونا تفسيرين مترافقين لا واقع ، فإن فلسفة ليهنة الفزعة تخرج عنهما جمیعا ! وقد يكون من الصواب أن نصف تفاسيره بأنه تفاسير تركيبي أو تأميمي . ومهما قيل عن مآخذاته في الوصول إلى هذا التأليف ، فإن ذلك لا يقلل من تأثير فلسفته ولا ينفع من أصالتها واتساقها .

\* \* \*

كان ليهنة عالمًا في الرياضة ، وكان لهذا أثره على فلسفته . فالطابع الذي يسودها طابع رياضي ، والمثل الأعلى الذي تهودى به مثل رياضي ، والأحكام والدقة المذان يمسكان حلقاتها مستمدان من روح التفاسير الرياضي . كتب في السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٦٩٤ رسالة إلى الماركيز دي لوسيتال Marquis de l' Hospital يقول فيها هذه العبارة : « أن الميكانيكا فيزيقيا عندى رياضية خاصة » .

لقد كان يعتقد أن جميع العلوم التي تقابله حقائق العقل يمكن أن

تطور على نسق العلوم الرياضية، كما كان يتوقع للعلوم التي تتصبّع على حفاظ الواقع أن تتجه إلى المناهج الرياضية وتفيد منها إلى أقصى حد ممكّن ( وقد حققت العلوم التجريبية نبوءتها وقطعت معظم العلوم الإنسانية شوطاً كبيراً في هذا السبيل ) .

وجريدة بالذكّر أنه أتى على أرسطو لأنه كان في منطقه أول من كتب بإسلوب رياضي خارج حدود العلوم الرياضية، كما تمنى أن يعتقد هذا الأسلوب إلى سائر العلوم . بل إنه لم يعبر عن افتقاده بأن تطبيق المنهج الرياضي على العلوم الفلسفية سيضمّ حداً للخلافات فتقع في تماها من على مسرح الفلسفة ! ولا شك أن تمحّس لي Bennet لرياضية قد أدى به — كما أشرنا من قبل — إلى إغفال الحدود التي لا بد أن يقف عندّها المنهج الرياضي ، كما أن طريقة الرياضية في القفكير قد دفعته في كثير من الأحيان إلى محاولة الإجابة على بعض المشكلات الفلسفية بنفس الدقة التي يلقي بها الرياضيون ، مع أنها في الغالب مشكلات لا حل لها على الاطلاق : وإن وجد هذا الحل فلا يمكن التوصل إليه عن طريق المنهج الرياضي !

كان لي Bennet مقتضاً بأن جميع العلوم يمكن أن تطبق منهج الرياضة بدرجات مقبولة . ولعل هذا الاقتضاء أن يكون دليلاً على النزعة العامة التي تطبع تفكيره كله ، إلا وهي نزعة التفاؤل التي سخر منها فولتير . ولا شك أنه كان مؤثراً بالمناخ العام الذي ساد عصر التنوير الأوروبي ، وإن كان الانصاف يقتضي هنا القول بأنه لم يقع فريسة ضيق الأفق والجفاف والفقر الروحي والوجданى الذي غالب على معظم إنتاج هذا العصر . ولكن ثقته المطلقة في قوة العقل الإنساني تدل على تفاؤله . إنه يؤمن بقدوم الفن

والفلاسفة في الماضي والمستقبل على السواء . وقد ينكسر هذا التقدم المستمر من وقت آخر . ولتكن النظرية الشاملة تثبت أن العقل قد تقدم أكثر مما انكسر ، وأن المعرفة البشرية يزداد حظها من الكمال على مر التاريخ . وظهور النزعة المقاولة أيضاً في نظرته إلى العالم والمصير . فهذا العالم هو أفضل عالم يمكن . والظلم الذي يخيم عليه ليس إلا الوجه الشاحب للنور . والشر والبؤس والقساوة التي تلقاها فيه ليست شيئاً بجاف الخير والرحمة والعدل الذي أفاده هذى الله علينا . إن أذى المأساة يضيّع وسط أنفاس التجانس الشامل .. والموت نفسه يفقد ثراه وجهاته ، ويصبح الشر هو الضريبة الفضورية التي لا بد من أدائها للحرية البشرية ، كما تصبح الحرية نفسها جزءاً من نظام العالم الراسخ .

لا شك أن التفاؤل العقلي منبع غنى تقدّم منه الأفكار الحية ، وتربيّة خصبة تنمو عليها المعرفة البشرية . ولتكن الخطأ كل الخطأ في اضفاء زوب المثالية على جسد الواقع ، والنظر إلى القبح والبؤس والشر بعين الجمال والرقي والبهجة والقسامح . ذلك شيء يعجز الإنسان الذي يصطدم كل لحظة بصخرة الواقع الداميك . وهو على التحقيق شيء لا يقدر عليه إلا كائن فوق الإنسان أو كائن غير إنساني ! وهو في النهاية خطأ لم ينجح أيمن قز في تلقيه ، ومزاق لم ينج من الواقع فيه . ولا نزاع في أن تفكيره يكشف من بعض الوجوه عن أحادية النظرة أو إنقل عن شيء من ضيق الأفق . وثقته المطلقة في المنهج الرياضي وتفاؤله المسرف يشهدان على هذا . فتحن نعلم اليوم أن المنهج الرياضي له حدود لا يستطيع أن يتجاوزها ، وأن الواقع مستويات وأبعاداً لا يمكنه أن يصل إليها . كما تعلمنا الحياة أن الاسراف في التفاؤل ( مهـ - المونادولوجيا )

قد يكون نوعاً من الغفلة أو السذاجة وحسن النية . ومم ذلك فإن الانصاف يقتضيـنا في هذا المجال أن نقول أن النظرة الأحادية ليست بالطبع الغالب على تفـكير ليبيـنـز . فالواقع أن تفـكـيرـه بعيد عن القـطـرـف . وهو يسعـى عـلـى الدوام إـلـى التـقـوـفـيقـ بينـ الأـضـدـادـ فـي مـرـكـبـ يـؤـلـفـ بـيـنـهـماـ وـيـقـدـىـ فـيـ كـلـ آرـائـهـ بـالـحـكـمـةـ الـعـرـيـقةـ : الـحـقـيـقـةـ فـيـ التـقـوـسـطـ (\*). إنه يقدر الجـديـدـ بـغـيـرـ أنـ يـرـفـضـ الـقـدـيمـ ، وـيـفـقـشـ عـنـ الـحـقـيـقـةـ بـيـنـ الـآرـاءـ الـمـعـارـضـةـ لـيـقـومـ بـدـورـ حـامـةـ السـلـامـ بـيـنـهـماـ ! وـلـاـ يـتـحرـجـ أـحـيـاناـ مـنـ تـدوـينـ أـفـكـارـ فـلـسـفـيـةـ شـائـعـةـ لـإـيـمانـهـ بـأـنـ الـحـقـيـقـةـ غـالـبـاـ مـاـ تـكـوـنـ بـسيـطـةـ وـمـشـرـكـةـ بـيـنـ النـاسـ ، عـلـىـ حـينـ يـبـدوـ الزـيفـ فـيـ مـعـظـمـ الـأـحـيـانـ فـيـ ثـوـبـ خـدـاعـ وـضـوءـ خـلـابـ . وـهـوـ لـاـ يـبـقـعـدـ عـنـ النـظـرـةـ الـأـحـادـيـةـ فـيـ الـقـضـاـيـاـ الـقـىـ يـدـعـوـ إـلـيـهـاـ فـخـسـبـ ، بـلـ يـتـجـنـبـهـ أـيـضاـ فـيـ اـخـتـيـارـ الـمـوـضـوعـاتـ الـعـلـمـيـةـ الـتـىـ يـتـنـاـولـهـاـ بـالـبـحـثـ . وـيـكـفـىـ أـنـ طـمـوـحـهـ لـمـ يـقـفـ عـنـدـ حدـ ، وـأـنـ حـبـهـ الـمـعـرـفـةـ قـدـ تـنـقـلـ بـيـنـ مـوـاـئـدـ الـمـعـرـفـةـ مـنـ الـقـانـونـ ، وـالـرـيـاضـةـ ، وـالـفـزـيـاءـ ، وـالـجـيـوـلـوـجـيـاـ إـلـىـ الـمـوـسـيـقـىـ ، وـالـفـلـسـفـةـ ، وـالـلـاهـوتـ ، وـالـقـارـيـخـ وـالـسـيـاسـةـ دـوـنـ أـنـ يـحـيـيـدـ عـنـ النـظـرـةـ الشـامـلـةـ أـوـ يـنـحـرـفـ إـلـىـ الـقـظـاـهـرـ وـالـفـرـورـ .

وـاـهـذاـ كـانـ تـفـكـيرـهـ تـفـكـيرـاـ شـامـلاـ ، بـأـوـسـعـ وـأـعـقـمـ مـعـانـيـ هـذـهـ الـكـلـامـةـ . وـمـاـ أـصـدـقـ قولـ دـيدـروـ ( فـيـ الـجـهـادـ الـخـامـسـ عـشـرـ مـنـ الـانـسـيـكـلـوـبـيـدـيـاـ ، طـبـعةـ أـسـيـزاـ ، صـ ٤٤٠ ) : « عـنـدـمـاـ يـنـظـرـ الـواـحـدـ مـنـهـ فـيـ نـفـسـهـ وـيـقـارـنـ مـوـاهـبـهـ بـهـوـاهـبـ لـيـبـنـزـ يـمـسـ بـمـيـلـ قـوىـ يـغـرـيـهـ بـأـنـ يـقـذـفـ بـالـكـثـبـ بـعـيـداـ وـيـبـحـثـ لـفـسـهـ عـنـ رـكـنـ خـفـيـ منـ الـعـالـمـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـمـوتـ فـيـهـ بـسـلامـ .. كـانـ

عقل هذا الرجل عدوا للفوضى، وكانت أعقد المسائل تقصى وتنقظم عندما تدخل فيه . لقد جمع صفتين عظيمتين يندر أن تتفق إحداهما مع الأخرى : روح الكشف وروح المنهج ، إلى جانب الدرس الدئوب المقنوع الذي أتاح له معرفة مقندة الأنواع والأشكال ، ولم يضعف هذه الصفة أو تلك . لقد كان فيلسوفاً ورياضياً ، بأعمق ما تحمله هاتان الكلمتان من معنى »(\*).

---

(\*) النص مأخوذ عن طبعة روبرت لاتا ، ص ١٧ .

\*(\*) الفلسفة الحالية

(\*) النص مأخوذ عن طبعة روبرت لاتا ، ص ١٧ .

( \* ) *Philosophia perennis.*

وأولى بالباحث أن يقتفي آثار الحقيقة في نظرية ما من أن يقسرع بادانتها على أساس الأخطاء التي وجدتها فيها . وما من شيء يمكن أن يعبر عن هذه النزعة الحكيمه المقواضة ، كما تعبّر عنه الفلسفة الخالدة » . فهـى تحدد موقف الإنسان من فاسفات الغير ، وتحثه على أن يتعلّم منها قبل أن يحاوـل هدمـها .

ويصور ليهـنـزـ هذا الاتجاه الذي آمن به بصدق وتواضع في عبارات تسـتـحقـ أن نقرأـها ونـقـفـ عندـها (٤) : « ان مؤلفاتـ الاعـلامـ منـ رـجـالـ المـصـورـ الـقـدـيـرـ وـالـحـدـيـرـ بـغـضـ النـظـارـ عـنـ خـصـومـاـتـهـمـ الجـدـيـرـةـ الحـسـادـةـ معـ مـخـالـفةـهـمـ فـالـرـأـيـ ،ـ تـنـطـوـيـ فـمـظـمـهـاـ عـلـىـ كـثـيـرـ مـنـ الـحـقـ وـالـخـيـرـ ،ـ مـاـ يـسـتـحقـ أـنـ يـقـبـسـ وـيـوـدـعـ كـفـزـ الـعـرـفـ الـبـشـرـيـةـ .ـ وـلـوـ اـهـتمـ النـاسـ بـالـنـهـوضـ بـهـذـهـ الـمـهـمـ بـدـلـاـ مـنـ تـهـيـيدـ وـقـيـمـهـمـ فـيـ الـقـمـاسـ الـمـآـخـذـ وـالـعـيـوبـ ،ـ لـمـ ضـحـوـاـ فـهـذـهـ اـحـتـالـ إـلـاـ بـغـرـورـهـمـ وـزـهـوـهـمـ !ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـعـدـيدـ مـنـ الـكـشـوفـ الـجـدـيـدـةـ الـتـيـ توـصـلـتـ إـلـيـهـاـ ،ـ وـبـلـغـتـ مـنـ النـجـاحـ مـيـلـفـاـ جـعـلـ أـصـدـقـائـيـ يـنـصـحـوـنـيـ بـتـكـرـيـسـ جـهـودـيـ لـمـلـئـ هـذـهـ الـبـحـوثـ ،ـ فـإـنـيـ مـنـ جـانـيـ عـلـىـ الـأـقـلـ أـقـدـرـ آـرـاءـ الغـيـرـ وـاعـرـفـ كـيـفـ أـقـيـمـ كـلـ رـأـيـ بـهـاـ يـسـتـحقـ ،ـ وـإـنـ كـنـتـ أـفـلـ هـذـاـ بـدـرـجـاتـ مـقـاـوـةـ ،ـ وـرـبـماـ كـانـ السـبـبـ فـهـذـاـ أـنـيـ تـعـلـمـتـ مـنـ فـشـاطـيـ الـمـقـدـدـ الـجـوـانـبـ إـلـاـ أـحـقـرـ شـيـئـاـ عـلـىـ الـاـطـلـاقـ » .

هذه عبارات تذكرنا بـصـيـحةـ بـارـمنـيدـزـ لـسـتـراـطـ -ـ فـمـحـاـوـرـةـ بـارـمنـيدـزـ

---

(٤) يقول هذا في بحثه Specimen dynamicum (١٩٦٥) عن نص ترجمة في كتاب Leibniz, selections Plilip P. Wiener نيويورك، سكريبر

لأفلاطون — بآلا يحقر الفيلسوف شيئاً، ولو بلغ من ضآلة الشأن مبلغ الشعر والطين ! وهن تكشف عن طبيعة ليمونز وشخوصية وزعقة العقلية والنفسية التي وجهت نشاطه الفلسفى والعلمى — كما تكشف عن تواعض أصيل ينهى الحكم من نبأه على اختلاف البلاد والمصور ، ويتعلم مع كل قطرة منه حقائق الحكمة ؟ تفكير الانسان المحدود ، تقدير جهود الغير ، الایمان بسلطان الحقيقة الذى لا تزال منه قوى الزيف والكذب مهما كان عقادها وعدتها ! وليس من الفرورى أن تكون من الحكيماء لنعرف هذا كله . يكفى أن ننظر في تاريخ الفكر البشري نظرة مقاصحة واسعة الأفق لكي نصحح أفكارنا ونعرف أن الحقيقة تكمن في البحث الدائب عنها والجهد المبذول للسير على طريقها ، إذ لم يقتات لى وإن يقتاتى له أن يعقلك الحقيقة الكاملة ! ومن لم يفعل هذا فسيظل أسير ذاته وسبعين عصره ، وإن يتمنى له الارتفاع بفكره فوق الضحالة والتجاهز وضيق الأفق .

وما أجمل ما يقوله الأديب الناقد والفيلسوف المربى العظيم لويسنج ( ١٧٢٩ — ١٧٨١ ) الذى عبر عن عصر التنوير وتجاوزه في وقت واحد ، ودافع عن روح التسامح والأخوة البشرية والصدق في المسرح والفن والحياة أبلغ دفاع وأخلصه :

« ليست الحقيقة التي يملكونها انسان أو يتصور أنه يملكونها هي التي تجعل له قيمة ، بل الجهد الصادق الذي يذله في القMASها والسعى وراءها . فليس تملك الحقيقة هو الذى ينمى طاقاته وقواته ، بل إن البحث عنها هو الذى يعمل على تفتقدها ، وفيه وحده تكمن قدرته على الاستفادة من الكمال . إن التملك ليجعل الانسان كسولاً ، ساكيناً ، مغروداً .. ولو أن الله وضع

الحقيقة كلها في يمناه . وجعل الدافع الوحيد الذي يحرك الإنسان إلى طلبها في يسراء — ولو كان في نيته أن يضلأ ضلالاً أبداً — ومد نحوه يديه المضمومتين وهو يقول « اختر بينهما الركعت أمامـه في خشوع وهـفت به وأنا أشير إلى يسراء : رب ا أعطـي هذه ا فالحقيقة الخالدة ملـكك أنت وحدك !

\* \* \*

إن الفلسفة الخالدة كثرة عظيمة وفكرة خصبة . ولكن ما من كثرة لم يساً استخدمـها ، ولا من فكرة لم يساً فهمـها . وما أكثر الذين يتصورون ان « الفلسفة الخالدة » معطف يدفعـ فـكراً كـسولاً غير ملتزم ، أو نزعة محافظة تفتقر إلى الجدة والقدرة على النقد والتمحيص . صحيحـ أن الفكرة التي تسـكن وراء الفلسفة الخالدة لا تخـلو من الأخطار والمـزالق ، ولكن من الخطأ الفـلنـ بأن الـيمـانـ بها لا بدـ أن يكونـ عـلامـةـ على ضـفـفـ القـفـكـيرـ وجودـهـ ، أو القـاـهلـ معـ الغـيرـ — من بـابـ حـسـنـ النـيةـ ! — أو القـشـبـثـ بأـكـفـانـ المـاضـيـ الغـابرـ . وفلـسـفـةـ لـويـقةـ نـفـسـها خـيرـ دـاـيمـ على خطـأـ هـذـاـ الـفـلنـ . فـلـقـدـ كـافـحـ طـوـيـلاـ في سـبـيلـ الـعـرـفـ إـلـىـ الـحـقـيـقـةـ الشـامـلـةـ وـلـمـ يـجـفـلـ منـ السـيـرـ عـلـىـ الدـرـوـبـ الـجـدـيـدـةـ الـحـفـوـنـةـ بـالـخـاطـرـ . وـجـمـعـ الـمـقـلـ النـاقـدـ إـلـىـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ تـقـبـلـ آرـاءـ الـغـيرـ وـاحـتـرـامـ جـهـودـهـ وـكـشـوـفـهـ . وـيـكـفـيـ أنـ نـشـيرـ لـلـاتـقـادـاتـ الـعـدـيـدـةـ الـقـىـ وـجـهـهـاـ إـلـىـ دـيـكـارـتـ وـلـوكـ وـبـاـيـلـ ، وـانـ نـشـيرـ أـيـضاـ إـلـىـ اـهـمـاـهـ باـفـكـارـ عـصـرـهـ وـالـبـحـوثـ الـتـىـ تـمـتـ عـلـىـ عـمـدـهـ فـيـ مـخـيـلـتـ الـمـيـادـينـ ، حتىـ لـقـدـ وـصـلـ هـذـاـ الـاـهـمـاـمـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـاـنـ إـلـىـ حـدـ الـوـلـمـ بـكـلـ جـدـيدـ مـبـقـكـرـ ! وـلـاـ شـكـ أـنـ كـانـ يـقـفـ فـيـ جـانـبـ الـقـدـمـ وـالـطـوـرـ ، فـضـلـاـ عـنـ وـقـوفـهـ فـيـ

صف المحافظين — بالمعنى السكريم الذى يدل عليه الأصل اللاطينى لهـذه الكلمة — (هـ) أي يعنى الحفاظ على كل ما يستحق البقاء ويدفع تيار التطور إلى الأمام ، ويضيف لـكنز المعرفة البشرية حجرًا واحداً ثميناً ! ومن الغلـم أن نأخذ ليـدنا بالفلسفة الخالدة مأخذ السكـلـل الروحـى ، أو العـجز عن ارتـيـاد بـجـاهـلـ المـسـقـبـيلـ ، أو قـلةـ الاـصـالـةـ والـاـبـكـارـ . فـلـسـفـقـهـ كـاـهاـ تـشـهدـ عـلـىـ شـجـاعـقـهـ وـتـفـتـحـ عـقـلـهـ وـعـرـفـاـنـهـ بـمـاـ قـدـمـتـهـ فـلـسـفـةـ مـنـ قـدـيمـ وجـدـيدـ . وـلـوـ أـحـسـنـاـ فـهـمـ فـلـسـفـهـ لـتـعـلـمـنـاـ مـنـهـ دـرـوـسـاـ تـنـفـعـ الـمـؤـمـنـينـ بـالـفـلـسـفـةـ الخـالـدـةـ وـالـجـاهـدـيـنـ لـهـاـ عـلـىـ السـوـاءـ !

## ثالثاً - ليينتنز في مرآة الأجيال

ما الذي بقى حيا من فيلسوف غاب شبحه الفانى منذ مائتين وسبعين  
وسبعين عاماً؟

سؤال عسير ، من تلك الأسئلة التي لا يجاب عليها إلا بأسئلة أخرى ا  
يصدق هذا على ليينتنز ، كما يصدق على كل فيلسوف أو أديب عظيم ترك  
تراثه وديعة بين يدي الأجيال . ومن يدرى ؟ فقد توقف الإجابة علينا  
نحن ؟ على رغبتنا في الحياة أو قدرتنا عليها ، على مدى ما نملك من شجاعة  
البحث عن كنوز الماضي والارتفاع إلى قممها والاغتراف من هنا بها  
وبث الحياة فيها وفي أنفسنا . وكل من مذكر أو أديب مات في ذاكرا  
الأجيال وشبع موتها . ثم جاءت اللحظة التي أحسست فيها بحاجتها الملحة  
إليه ففرزت نحوه كما يفرز الابن القائب إلى صدر أبيه ، وأزاحت التراب  
والأكفان عنه ، وأنقذت صورته من عناكب النسيان التي تعشش عليها  
في المقابر والخازن !

يمكننا أن نسأل عن أثر ليينتنز على التاريخ الأوروبي والثقافة الأوروبية  
من بعده ، فنعرف فضله الذي لا ينكر على العديد من الأكاديميات العلمية  
التي تأسست في أو آخر حياته أو بعد موته وكان له دور مباشر أو غير مباشر  
في قيامها (١) .

وي يمكننا أن ننظر إلى العلوم العديدة التي ازدهرت في عصرنا الحديث  
قنتين بضمات أصحابه عليهم ، ونرى إلى أي حد أفادت من توجيهاته

---

(١) تأسست بفضل جهوده أكاديميات العلوم في برلين ( ١٧٠٠ ) وفيينا  
وبطربورج ( ١٧١١ ) .

ولمحاته ، فـكان أحد الرواد القلائل الذين دلواها على الطريق الصحيح الذي توصل السير فيه . وبـكفى أن نذكر علوم الرياضة والفزياء والبيولوجيا والجيولوجيا واللغة والتاريخ والاقتصاد والمناطق الرياضى وعلم النفس التحليلي وغيرها من العلوم التي تعرف اليوم بفضلـه . ولـكـفـنا ان نـعـنى في هذه الأسئلة التي تـحـتـاج إلى بـحـوث مـقـيـصـصـة ليس هـذـا مـجـالـهـا ، ولـنـرـجـع لـلـخـيـطـ الـذـي لـمـسـنـاهـ عن تـأـيـيرـ ليـبـنـقـزـ عـلـىـ التـرـاثـ الـفـلـسـفـيـ الـحـدـيـثـ .

لم يكن ليـبـنـقـزـ منـ الفـلـاسـفـةـ الـذـينـ يـجـمـعـونـ حـوـاهـمـ الـمـرـيدـيـنـ وـالـاتـبـاعـ ، وـيـنـشـئـونـ مـدـرـسـةـ تـقـولـ نـشـرـ أـفـكـارـهـمـ وـرـعـاـيـتهاـ بـعـدـ موـتـهـ ، لـقـدـ تـرـكـ وـرـاءـهـ تـرـائـاـ ضـنـخـمـاـ منـ الـبـحـوثـ وـالـرـسـائـلـ الـمـخـطـوـطـةـ الـتـيـ لمـ يـنـشـرـ مـنـهـاـ فـيـ أـنـنـاءـ حـيـاتـهـ سـوـىـ قـدـرـ ضـئـيلـ . وـمـاتـ وـحـيـوـنـداـ مـنـسـيـاـ مـكـرـوـهـاـ مـنـ أـغـابـ مـعـاصـرـيـهـ ، وـظـلـ الـسـكـرـ وـالـأـهـمـالـ وـالـجـمـعـودـ يـلاـحـقـهـ حـتـىـ عـهـدـ قـرـيبـ. وـلـاشـكـ أـنـ كـشـفـهـ الـهـامـةـ فـيـ الـرـياـضـةـ وـالـعـلـومـ ، وـصـلـاتـهـ الـقوـيـةـ بـعـلـمـاءـ عـصـرـهـ وـمـفـكـريـهـ ، وـمـذـهـبـهـ الـذـيـ أـنـارـ الـأـعـجـابـ بـاتـسـاقـهـ بـقـدـرـ ماـأـنـارـ السـخـطـ عـلـىـ تـفـاؤـلـهـ الشـدـيدـ ، وـشـخـصـيـتـهـ الـمـوسـوعـيـةـ الـفـرـيـدـةـ الـتـيـ جـمـعـتـ الـمـقـنـاـقـضـاتـ فـيـ مـرـكـبـ عـجـيـبـ، لـاشـكـ أـنـ هـذـاـ كـلـهـ لـمـ يـسـعـ بـأـنـ يـقـسـرـ بـإـلـيـهـ الـفـسـيـانـ ، وـأـنـ سـعـ بعضـ الـوقـتـ بـالـجـمـعـودـ وـالـسـكـرـانـ ! .

ولـلـهـمـ أـنـ أـعـمـالـهـ نـجـتـ مـنـ الـقـدـرـ الـذـيـ لـمـ يـقـرـفـقـ بـهـ فـيـ حـيـاتـهـ . وـبـدـأـتـ أـجـيـالـ الـبـاحـثـيـنـ فـيـ نـشـرـ مـخـطـوـطـاتـهـ الـمـدـيـدـةـ الـمـبـعـثـرـةـ بـيـنـ الـسـكـبـاتـ ، وـفـكـ طـلـاسـمـ مـسـوـدـاتـهـ الـلـمـيـئـةـ بـالـقـصـوـيـاتـ وـالـزـيـادـاتـ وـالـمـراـجـعـاتـ ! وـلـمـ تـسـكـدـ تـورـ عـشـرـونـ سـنـةـ عـلـىـ وـفـاتـهـ حـتـىـ ظـهـرـتـ أـوـلـ مـحاـولةـ لـدـرـاسـةـ فـلـسـفـةـ درـاسـةـ شـامـلـةـ. فـكـتبـ لـوـدـوـفـيـجـيـ فـيـ سـنـةـ ١٧٣٧ـ كـتـابـاـ بـعنـوانـ : مـشـرـوعـ تـفـصـيـلـ اـقـارـيـخـ

كامل الفلسفة ليبنونز . (\*)

غير أن الفضل الأكبر في نشر فلسفة ليبنونز والترويج لها بين جموع المثقفين يرجع لـ كرسياً فواف ( ١٦٧٩ - ١٧٥٤ ) زعيم حركة القدوير في ألمانيا في القرن الثامن عشر ، وأمير النزعة العقلانية ، و « الممثل الجبار » للفلسفة الدجاطية أو القطعية كما قال عنه كانت بحق !

ول لكن فواف وتلاميذه اساوا إلى ليبنونز بقدر ما احسنو إليه ، فحضرروا فكره الأصيل الحى في قالب مذهبى ضيق غالب عليه الطابع المدرسى ، وتحكمت فيه آفة التلفيق والتوفيق . وقد كان فواف أول من غامر بكتابه معظم مؤلفاته باللغة الألمانية ، وهى في أغلبها لا تخرج عن عرض فلسفة ليبنونز مع مزجها بعناصر أرسطوية ورواقية ومدرسية . ولهذا يمكن القول أن ليبنونز — الذى كان يكتب أساسا بالفرنسية واللاتينية — كان له أثر غير مباشر على تكوين المصطلح الفلسفى في اللغة الألمانية التي لم يكتب بها كثيراً .

وقد كانت فلسفة القدوير — التي عبر فيها فواف وأتباعه عن إيمانهم المفرط بالعقل واهتموا فيها قبل كل شيء بفلسفة ليبنونز — التربة التي نمت عليها فلسفة كانت ، واستمدت منها عصارة حياتها الأولى . والواقع أنه يتعذر علينا بتغير ليبنونز أن تتصور كانت وفلسفته . صحيح أنه تصدى في مرحلةه القدبية للمجوم على النزعة العقلانية القطعية ، و هدم صروحها الميتافيزيقية الشامخة . ولكن هذا لا ينفي تأثيره الشديد في بداية نشاطه الفكري بفلسفة ليبنونز التي قامت عليها تلك النزعة أو بالأحرى على صورة معدلة منها —

ولا يقف الأور عند القبور المحجوم بين الخصوم - فالمفقود يعيش دائماً في ناقده ! - بل يقعداه إلى مسائل هامة تصل بشقاط اللقاء والافتراق بينهما. وللتأمل لفلسفة كانت النظرية والعمامية لن ينطلي سماع اصداء عديدة من ليبيونتز : القضايا التحليلية والقضايا التركيبية ، مملكة الطبيعة ومملكة الغايات ، حقائق الواقع التجربية الحادثة وحقائق العقل الابدية الضرورية ، الاهتمام بالمناهج الرياضية والعلمية لاحكام المنهج الفلسفية والميقات فيزيقية ..

الآن ، ويكتفى أن كانت قد تأثر إلى ابلغ حد بكل كتاب ليبيونتز « مقالات جديدة عن العقل الانساني » الذي لم ينشر إلا في سنة ١٧٦٥ ، وذلك في كتابه الصغير الذي يحمل بذور نظريته في الاستقطيفية الترسانة قائله أو الزمان والمكان ، ويدرك ارهاصه حقيقة بتحوله إلى الفلسفة النقدية ، وعلامة بارزة على طريق تطوره العقل (١) » ويقصد به رسالته اللانينية الهرامة : - « صور ومبادئ العالمين الحسي والمعقول » ( ١٧٧٠ ) . فقد عبرت هذه الرسالة الصغيرة عن تخلصه النهائي من تأثير النزعة العقلانية الفطيمية - التي توصف عادة بفلسفة فولفوليبيونتز - ومزاعمهما الطموحة المقوجلة عن قدرة العقل البشري على معرفة الوجود كما هو في ذاته ، كما عبرت عن الارتباط الوثيق بين الحساسية وطبيعة الإنسان المقاومة المحدودة ، وكلها أشارات هامة إلى « التحول الكوبرنيقي » والثورة النقدية التي أعلنتها في كتابه « نقد العقل الخالص » بعد ذلك بأحد عشر عاماً .

لا ينفي هذا كله بطبيعة الحال أن كانتوليبيونتز مختلفةان في تقديرهما أعمق الاختلاف ، على الرغم من أوجه الاتصال بينهما . وكل ما ذكره من ورائه هو تأكيد أن وصف ليبيونتز بأنه محمد إمكانات وصف ينطوي على

---

(1) *De mundi sensibilis atque intelligibilie forma et principiis.*

اجحاف شديد به . ويزيد من وقム هذا الاجحاف ليبيهنتز أن عدداً كبيراً من الباحثين قد دأبوا على وصفه بفيلسوف عصر الباروك . وهم بهذا لا يكادون يخفون رغبتهم في إظهار الجانب الضعيف من فلسفته ( وإن كان ذلك الوصف لا يقلل من أهميته ولا يجعله مبتور الصلة بعمرنا ) ، ولا ينكرون ميلهم إلى التهوين من شأن ميّة افيريقا « غير النقدية » بالقياس إلى ميّة افيريقا كانت النقدية ، وأبراز خطأها وبعدها عن الروح العلمية إذا قورنت بالفلسفات العلمية المعاصرة التي تسقرشد بمناهج العلم الرياضي والطبيعي ونتائجها . ومن الواضح أن مثل هذا النقد لا ينبع « كانت » ولا « ليبيهنتز » ، ولا يسلم عند النظر المتأني من الظلم والتشخيص . أثر ليبيهنتز على عدد كبير من المفكرين والأدباء الذين تقدّم قائلة أسمائهم إلى يومنا الراهن . ولن يقسم المجال للحديث عن هذا القائم الخصب العميق ، وإنما نكتفى بتناول لمحات بازرة منه .

\* \* \*

كان الأديب الناقد العالم ، باعث حركة « العصف والدفع » الأدبية في ألمانيا ومؤسس فلسفة التاريخ بها وهو يوهان جوتفرييد ( ١٧٤٤ - ١٨٠٣ ) من أهم المفكرين الذين تأثروا بليبيهنتز . فقد اعتمد على فلسفته في « جوهر المريخ على فلسفة كانت المتأخرة » ( وحاول فيه دون نجاح يذكر أن يتتجاوز نقد كانت بما بعد النقد ) وقدم كثيراً من أفكار فيلسوفنا في كتابه « رسائل لرهاية الإنسانية »<sup>(١)</sup> . وفي مجموعة مقالاته السماة *Adrastea* ، كما عرف أصحاب حركة العصف والدفع بكثير من خواطره ولمحاته التي

---

(1) J. G. Herder , Briefe zur Beförderung der Humanität ( 1793 — 1797 )

أفاد منها جوته<sup>(١)</sup> وشير وأعلام الفلسفة المتألية الألمانية ، وفي مقدمة مقدمهم هييجل . ومن الصعب أن نحدد طبيعة العلاقة بين هييجل وليبنقز ، فبينهما من أوجه الخلاف والاتفاق ما يجعل كفتي مقنعين . ويكفى أن نذكر عبارة قصيرة لهييجل وضع بها أصبعه على الفارق بينهما حيث قال : « إن القفرد هو المبدأ الأساسي عند ليبنقز » ، وطبيعي أن يصدر هذا القول من هييجل . فإن يكن هو نبي « السكل العايم » فإن ليبنقز هو المبشر « بالفرد » والقفرد ! .

إن اتجاه اليسار الهييجلي إلى ليبنقز وفسر أفكاره تفسيراً قد لا يرضي عنه الفيلسوف نفسه .. فقد نشر لو ديفيج فويرباخ ( ١٨٠٤ - ١٨٧٢ ) في سنة ١٨٣٧ كتاباً به : عرض وتطور ونقد فلسفة ليبنقز<sup>(٢)</sup> « وقد كان لهذا العرض الانثروبولوجي والمادي لفلسفة ليبنقز أثره الكبير على المادة الجدائية . وجدير بالذكر أن هذا الكتاب كان من السكتب التي عكف ليينين على دراستها واقتباس أجزاء منها أثناء الفترة التي قضتها منها في سويسرا .

---

(١) سجل يوهانيس فالك في أحد أحاديثه مع جوته ( في ٢٥ يناير ١٨١٣ ) عشية وفاة الأديب فيلاند الذي كان يحبه ويقدره ) سجل إيمان جوته بحلود الروح بعد الموت ، على أساس إيمانه بفكرة ليبتنت عن الموئنة التي هي في النهاية نفس أو روح ، فكل ماف الكون مونادات ، سواء في ذلك النباتات والحيوانات والبشر والنجوم .. الخ . وهي تتحول بعد تحللها عن المادة إلى كيان آخر ، ولا يتحقق منها إلا ما يستحق البقاء والموئنات التي قضت حياتها في تهذيب نفسها وتربيتها بالفن والمعرفة أحق من غيرها بالبقاء والخلود .

(٢) Feuerbach, L. : Darstellung. Entwicklung und Kritik der Leibnizschen Philosophie ( 1837 ) .

وامتد هذا التأثير حتى بلغ ذروته في كتاب صدر حديثاً لها نز هيمنس «واس» حاول فيه أن يفسر ليهنة تفسيراً مادياً ملحداً<sup>(١)</sup>، وأن يثبت بكل وسيلة مشروعة وغير مشروعة أن فلسفة فلسفية مادية تقسّر وراء المثالية ، وأن إيمانه بالله ليس إلا الحادى مفهوماً ! بل لقد أصبح ليهنة في رأى المؤلف هو نموذج الملحد ، كاً أصبح حديثه عن الله مجرد رواسب من تدين شخصي غريب على مذهبة الحقيقة ! وإذا كان المارفون ليهنة قد حققاً أشد الحقق على هذا التفسير المتمسّف ، فإنه قد لفت الانظار على أية حال إلى مسألتين هامتين : أما المسألة الأولى فهي أن الحدود التي توضع عادة بين الوحدية الروحية والوحدة المادية ليست حدوداً واضحة ولا فاصلة بالقدر الكافي ، أما الثانية فهي أن نظرية ليهنة عن الله لا تزال في حاجة إلى مزيد من النقد والتحقيق والتفسير : ولعل الغاضبين على هذا التفسير أن يكونوا على حق في غضبهم ، فمثل هذا التفسير ليهنة أو غيره — وإن استحق الاعجاب بجرأته أو تهوره ! لا يقيم إلا على حساب المذهب نفسه ، ولا يتناسب فيه الربح مع الخسارة . وإذا أردنا أن نحافظ على اتساقه فلابد من القضاية بجوانب رئيسية من مذهب الفيلسوف على أساس أنها « غريبة عنه » . ومن يدرى ؟ فقد يؤدي هذا بصورة ضمنية إلى إدانة الفيلسوف وإثبات نفاقه وتعدد وجهاته . وهو خطر لا يمكن المغامرة به في كل الأحوال .. فقد يرضي زهر المفسر صاحب الرأى الجديد العنيـد ، ولكنه سيضل الباحث المتواضع الذي يسعى إلى وضع المذهب في إطاره التاريخي الصحيح .

وربما كانت الفلسفة الألمانية في القرن التاسع عشر أكثر من ذلك

---

(1) Holz; Heinz Heing. Leibniz. Stuttgart, W. Kohlhammer, 1958, 164 pp. ( Urban Bucher. 34 ).

إنصافاً لروح الفيلسوف وحروفه — فهـام أولـاء يوهـان فـريـدرـيش هـرـبارـت (١٧٧٦ - ١٨٤١) وبرنهـارـد بـولـزاـنو (١٧٨١ - ١٨٤٨) وهرـمان لوـتزـه (١٨١٧ - ١٨٨١) يـقـاتـلـون بـلـيـبـنـقـزـ في مـذـاهـبـهـمـ المـيقـافـيـزـيـةـ وـالـمـنـطـقـيـةـ، وـيـفـسـرـونـ كـلـاـكـانـ يـحـبـ لـفـسـهـ أـنـ يـفـسـرـ — أـعـنـ كـفـيـلـاسـوـفـ إـلـهـىـ وـمـنـطـقـىـ يـبـحـثـ عـنـ الـحـقـائـقـ الـخـالـدـةـ فـعـلـ اللـهـ وـعـقـلـ الـإـنـسـانـ خـلـيـفـهـ وـصـورـتـهـ الـمـصـغـرـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ . وـلـمـ يـكـنـفـ هـؤـلـاءـ الـفـلـاسـفـةـ الـثـلـاثـةـ بـاـنـصـافـ لـيـبـنـقـزـ ، بلـ بـنـواـ الـحـيـاةـ فـفـلـسـفـةـ ، وـبـخـاصـةـ نـظـرـيـةـ فـيـ الـمـوـنـادـاتـ أوـ الـكـائـنـاتـ الـبـسيـطـةـ غـيرـ الـمـادـيـةـ ، أوـ عـنـاصـرـ الـوـاقـعـ الـخـالـدـةـ بـالـطـاـقةـ الـتـيـ بـنـىـ عـلـيـهـاـ هـرـبارـتـ مـيقـافـيـزـ يـقـاهـ . وـقـدـ كـانـ لـلـوـتزـهـ وـبـولـزاـنوـ فـضـلـ كـبـيرـ فـيـ نـقـلـ مـذـهـبـ لـيـبـنـقـزـ فـيـ صـورـتـهـ الـنـقـيـةـ إـلـىـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ .

بدأـ الـحـوارـ الـحـيـ الـعـمـيقـ مـعـ أـفـكـارـ لـيـبـنـقـزـ مـمـ بـداـيـةـ هـذـاـ القـرـنـ ، فـيـ سـنةـ ١٩٠٠ـ نـشـرـ بـرـترـانـدـ رـسـلـ كـتـابـاـ بـهـ الـعـظـيمـ «ـ عـرـضـ نـقـدـيـ لـفـلـسـفـةـ لـيـبـنـقـزـ (١)ـ»ـ الـذـىـ الـذـهـبـ ذـهـبـ فـيـهـ ، إـلـىـ أـنـ الـرـيـاضـةـ وـالـمـنـطـقـ هـمـ مـحـورـ فـلـسـفـةـ ، وـأـنـ قـضـيـةـ «ـ تـضـمـنـ الـمـوـضـوعـ الـمـحـمـولـ»ـ هـىـ أـسـاسـ مـذـهـبـهـ الـمـيقـافـيـزـيـقـىـ عـنـ الـجـواـهـرـ الـبـسيـطـةـ أـوـ الـمـوـنـادـاتـ . وـنـشـرـ الـفـيـلـاسـفـ الـفـرـنـسـىـ لـوىـ كـوتـيرـاـ كـتـابـاـ بـهـ : «ـ مـنـطـقـ لـيـبـنـقـزـ»ـ سـنةـ ١٩٠١ـ وـضـمـنـهـ وـثـائـقـ لـمـ يـسـبـقـ نـشـرـهـاـ ، فـلـفـتـ الـأـنـظـارـ إـلـىـ أـنـ هـذـاـ الـمـنـطـقـ «ـ لـيـسـ قـلـبـ الـذـهـبـ وـرـوـحـهـ فـحـسـبـ ، إـنـهـاـ هـوـ كـذـاكـ مـحـورـ نـشـاطـ لـيـبـنـقـزـ الـعـقـلـىـ .»ـ ثـمـ تـوـالـتـ الـبـحـوـثـ الـتـىـ تـؤـكـدـ أـبـوـةـ لـيـبـنـقـزـةـ

(1) Bertrand Russell ; A critical exposition of the philosophy of Leibniz .

راجع تلخيصاً وعرضـاـ لهـ فـيـ مـقـالـ لـأـسـتـاذـنـاـ الدـكـتـورـ عـمـانـ أـمـينـ فـيـ مجلـةـ الـفـكـرـ الـمـهـاـصـرـ ، العـدـدـ ٣٤ـ ، دـيـسـمـبـرـ ١٩٦٧ـ ، تـحـتـ عنـوانـ رسـلـ وـفـلـسـفـةـ لـيـبـنـقـزـ ، صـ ١٦ـ

للمنطق الرياضي الحديث ، ومن أهمها بحوث هينريش شولس الذي بلغ به الحب والتقدير للفيلسوف أن سمي لغة الحساب المنطقي «لغة ليپنقر». ولا شك أن فضل ليپنقر على المنطق الحديث لا ينكر ، فقد وجده إلى الطريق الذي يسير فيه بما كتبه فيه ودعا إليه من «تريبيض» المعرف المختلفة — بما في ذلك المعرفة الفيزيقا ! — وإنشاء لغة تصورية حسابية تقضى على الخلافات والمعادلات الدائرة على مسرح الفلسفة والمعرفة جهينا ! والواقع أن من الصعب تحديد أثره على ازدهار المنطق الرياضي الحديث بعد سنة ١٨٥٠، وإن كان أثراه عليه قد اتضح بصورة قاطعة بعد بداية القرن ، بفضل بحوث رسلن وكوتيرا التي أشرت إليها منذ قليل <sup>(١)</sup>. ولعل أهم ما في هذا كله هو أن ليپنقر قد جعلنا أقدر على فهم العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والرياضيات . ولما لم يكن من الممكن ولا من العقل أن تتخلى الفلسفة عن شخصيتها وروحها ومتربعها على فرق في الرياضيات ، فإنها تسقط طبعاً مع ذلك أن تغدو من نتائج الرياضيات والعلوم الطبيعية . وهذا هو الدرس الحق الذي أخذته معظم الفلسفات العلمية المعاصرة من ليپنقر . هذا إلى جانب درس آخر لا يقل عنه أهمية : وهو أن يتعلم الفلسفه كيف يرتفعون فوق حدود التخصص الضيق ، ويغدو عيونهم وقلوبهم على النظرة السكلية المتمالية ، والحكم المترافق النزيه . وهذه النظرة السكلية التي لا يغفل لها طرف عن مكان الفرد من المجموع . والجزء من السكل هي التي تسقط طبعاً أن تصحيح أخطاء التخصص العلمي الضيق والضروري في آن واحد . بيد أن تأثير ليپنقر لم يتغير على المنطق الحديث . ويبعدو من

---

(١) راجع الفصل القيم عن منطق ليپنقر في كتاب المنطق الرمزي نشأته وتطوره ، للدكتور محمود فهمي زيدان ، ص ٥١ — ٦٣ — بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ .

المسير أن نحصر أفضاله على مختلف جوانب المعرفة قبل أن نزود بالفاراء الكلية المتكاملة للفكر. كغير هذا الرجل الموسوعي المعجب . فحيثما تلقينا عشرنا على آثاره هنا أو هناك . قد يكتفى أن نتبين بضماته الواضحة على التجارب اللغوية والمنطقية للأوضاعين الجدد ، وكثابات علماء النفس التحليلي عن اللاشعور (وبكفى أن نذكر نظرية يونج عن اللاشعور الجماعي) و « فلاسفة الحياة » من فرنسيين وألمان عن الطاقة الحيوية ، وفلسفة العلم عن الطاقة والقوى الدینامية . وامل تأثيره أن يكون قد اتضح بأجل صورة على فلسفة وايميد (١٨٦١ - ١٩٤٧) الذي بدأ من الرياضة والفيزياء ليصل بعذره إلى الفلسفة الفكريه الإنسانية العميقه إلى مذهب ميتافيزى اعتقد فيه بأفلاطون وأينشتين على السواء !

وإذا كان السؤال عن تأثير ليبرنر على فروع المعرفة المختلفة سؤال لا يزال ملحا ولا يزال في حاجة إلى دراسات مستفيضة ، فإن السؤال بما بقى حيا من فلسفة أو بالأحرى بما ينهى أن يبقى منها مؤثرا فعلا - هو سؤال أشد إلحاحا : وقد أشرنا إلى رأيه في الفلسفة الخالدة ، ودعوه للرجوع إلى الرواد الأعلام من مفكري الماضي الذين ذعنوا لحقيقة المعرفة المتكاملة في كل فكر عظيم ، ونوسخ من نظارتنا المحدودة بتصورنا وعيوننا البشري . ونحن اليوم في أشد الحاجة إلى تلبية هذا المطلب والانصات لهذا الصوت . فما أكثر الدروس التي يمكن أن تعلمنا منه . وامل من أهمها أن تكون رغبتنا في التلقى والتعلم أكبر من شهورتنا للهدم والتجھيز . وقد عبر ليبرنر بنفسه عن هذا المعنى الجميل الجليل في رسالة كتبها إلى زيون Remond في اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٧١ و قال فيها : « ولو كان لدى القراء الكاف لعندت مقارنة بين مذهب القدماء وغيرهم من الرجال

القادرين . أن الحقيقة لا ترسم إلزاماً شاراً مما يظن الناس ، ولــ لكنها كثيرةً ما تكون مزينة مصبوغة الوجه ، وكثيراً ما تضعف وتفسد بفعل الشوائب التي تضر بها أو تقلل من نفعها . ولو تبيينا آثار الحقيقة عند المقدمين لاستخلاصنا القبر من الوحل ، والماس من المنجم ، والنور من الظلام ، ولــ كانت هذه في الواقع هي الفلسفة الخالدة » .

هذه الكلمات هي خير ما أنتقم به حديثنا عن أبيهنتز .

فهل ماتزال هذه الفلسفة الخالدة ممكنة ؟

إن الإجابة تتجه إلى الحكمة والشجاعة . ولــ هو خير مثل على الحكمة والشجاعة .



المونادولوجيا

و

المبادىء العقلية للطبيعة والفضل الالهى



تقديم



كتب ليبرنتز المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الالهى في سنة ١٧١٤ ، أى قبل وفاته بستين اثنين . وتمد هاتان الرسائلتان من أهم ما كتب وأعممه دلالة على مذهب الفلاسفي وأكثره توفيقا في صياغة والعبارة عنه .

والرسائلتان متفقتان في الهدف والقصد ، ويحتمل أن يكونا قد كتبتا في وقت واحد أو في فترتين متقاربتين ، ويختلف الشراح في ترتيبهما الزمني ، وان كان المترجم والشارح الانجليزى القدير روبرت لاتا يؤكدا أن المبادىء وضعت قبل المونادولوجيا <sup>(١)</sup> .

ولعل اندريل روبينه <sup>(٢)</sup> الذى نشر أعمال ليبرنتز وحققتها وصدرت في باريس سنة ١٩٥٤ أن يكون محقا في قوله في مقدمة هذه النشرة أنها أشبه شيء بالوصية <sup>(٣)</sup> ولعل أحد مؤرخى الفلسفة الأعلام — وهو كورت هيلد برانت <sup>(٤)</sup> — في كتابه عن ليبرنتز وملكته النعمة أو الفضل الالهى ، أن يكون على حق كذلك في إشارته إلى منزلة هذين السكتتين بين الصغيرين من مذهب ليبرنتز العام . فهو يقول انهمما يعبران عن أكمل صيغة وصل إليهم ليبرنتز في ذروة نضجه الفكري ، كما يتوjan هذا الفكر من ناحية

(1) The Monadology & other philosophical writings. Translated with introduction & notes by Robert Latta, Oxford University Press, 1. Edition 1898. Reparinted 1965. p. 216.

(2) A. Robinet.

(3) Presque un testament.

(4) Kurt Hildebrandt; Leibniz und das Reich der Gnade, Haag. 1953. S. 222.

المضمون ، ولذلك فهم ما يختلفان عن معظم أعماله التي تقناول مجالات أخرى وتعبر عن وجهات نظر جزئية .

ولا يقتصر الأمر في شأن هذين الكتابتين - أو ان شئت الكتابتين - على زمن التأليف أو شكله ، وإنما يتجاوزه إلى ما يبيهـما من صلة عميقة من ناحية المحتوى والمضمون . فالفيالسوف يمرض فيها أولاً كاره الأساسية ، وإن كان قد توشـى في المبادىء أن تخرج إلى الناس بأسلوب أبسط ولغة أيسـر ، لأنـه لم يتووجه بها إلى زملائه الفلسفـة كما فعل في المونادلوجيا (١) وـمع ذلكـفـانـمنـاخـيرـدائـماـأنـتـقـرأـالمـبـادـىـءـمـعـالـوـنـادـلـوـجـيـاـأـوـبـالـأـحـرـىـ قـبـلـهـاـ.ـأـتـكـونـتـمـهـدـأـلـهـاـأـوـتـعـلـيـقـهـاـعـلـيـهـاـ.ـوـمـنـاخـيرـأـيـضاـأـلـاـنـقـلـلـمـنـقـوـمةـهـذـهـالمـبـادـىـءـالـتـيـيـشـيرـصـاحـبـهـاـفـيـرـسـالـتـهـالـذـكـورـةـإـلـىـأـهـمـيـقـهـاـ وـمـكـانـقـهـاـمـنـمـذـهـبـهـكـاهـ.

ليـستـالـمـوـنـادـلـوـجـيـاـمـجـرـدـتـمـهـيدـلـفـلـسـفـةـلـيـبنـقـزـ،ـوـإـنـماـهـىـعـرـضـمـرـكـزـ لـمـبـادـىـهـالـأـسـاسـيـةـالـتـيـعـرـعـهـاـفـيـسـائـرـجـهـوـهـ،ـوـبـسـطـهـاـبـوـجـهـخـاصـبـصـورـةـ لـاتـغـلـوـمـنـاـضـطـرـابـوـاـسـتـطـرـادـفـيـرـسـالـتـهـعـنـالـعـدـلـالـإـلـهـيـ(ـالـقـيـودـيـسـيـهـ).ـ وـلـمـتـغـبـهـذـهـالـحـقـيـقـةـعـنـبـالـفـيـلـسـوفـ،ـإـذـنـجـدـهـيـشـيرـبـنـفـسـهـعـلـىـهـوـامـشـ مـخـطـوـطـةـالـمـوـنـادـلـوـجـيـاـإـشـارـاتـعـدـيـدةـإـلـىـفـصـولـتـلـكـالـرـسـالـةـالـتـيـتـوـسـعـتـ فـيـشـرـحـبعـضـالـمـسـائـلـالـتـيـتـقـنـاـوـلـهـاـالـخـطـوـطـةـالـصـفـيـرـةـ.ـوـرـبـماـجـازـلـنـاـأـنـ تـقـولـمـمـؤـرـخـالـفـلـسـفـةـالـمـرـوـفـيـوـحـنـاـاـرـدـمـانـإـنـالـمـوـنـادـلـوـجـيـاـمـوـسـوعـةـ صـفـيـرـةـالـحـجـمـتـضـمـكـلـفـلـسـفـةـلـيـبنـقـزـ،ـوـلـيـسـمـنـالـسـهـلـبـطـيـعـةـالـحـالـأـنـ

(١) راجـعـ الرـسـالـتـهـالـتـيـيـشـيرـهـاـلـيـبنـقـزـإـلـىـنـيـقولـلـاـرـيمـونـN~ Remondـ فـيـ

تقييم هذه الموسوعة الصغيرة - غير الميسرة ! - بعد أول قراءة . إذ لا غنى للقارئ عن الإمام بمحو انب عامته من تفكير ليبينز ، ولا غنى له أيضاً عن النظر فيها مرة بعد مرة !

تقنال المونادولوجيا فلسفة ليبينز في الجوهر . وييمكن القول بأنها تتألف من قسمين ، يشرح الفيلسوف في أولهما طبيعة الجوادر عامته ، ما خلق منها وما لم يخلق ، التي تكون منها العالم في مجموعه ، ويفسر ثانيةً ما طبيعة العلاقات المتبادلة بينها على سبيل التأثير والتأثير ، بحيث تكون عالم واحداً بمفرده ، هو — في رأيه — أصلح وأفضل عالم ممكن . وييمكن أن تدرج الفقرات من ١ إلى ٤٨ تحت القسم الأول ، أما القسم الثاني فيضم الفقرات الباقية (من ٤٩ إلى ٩٠) ويمكن أن نذهب إلى أبعد من هذا فنقسام القسم الأول إلى ثلاثة أجزاء رئيسية يفسر ليبينز في أولها (من الفقرة ١٠ - ١٨) طبيعة المونادات المخلوقة ، ويزمّن في ثانيةً ما (من ١٩ إلى ٣٠) الأنواع الثلاثة الكبرى من المونادات المخلوقة ، كما يشرح في الجزء الثالث (٣١ - ٤٨) كيف يتم الانتقال من أعلى أنواع المونادات المخلوقة (وهي الوعي أو الفهم) إلى المونادة الوحيدة التي لم تخلق (وهي الله) عن طريق المبدئين المقلعين الأساسيين ، ونعني بهما مبدأ عدم الاقتراض ومبدأ السبب السكاف . وبهذا يقدم لنا زاوية لا تكون بوجه عام ، ويكشف تدرج الكائنات الفردية التي يختلف منها ظيفة فوق طبقة .

أما القسم الثاني فيه يمكن بدوزه أن يتفرع إلى ثلاثة أجزاء ، تبين : كما قدّمت طبيعة العلاقات بين الجوادر بصورة أولى وأتم ، فالجزء الأول (من ٤٩ إلى ٦٦) يعرض للمبادئ العامة التي تقوم عليها العلاقة بين الجوادر من خلال التجانس المذكور أو الاتساق المقدر ومذهب ليبينز المشهور —

والشيوه أيضاً - عن أفضل الم世人 الممكنة ١ وشرح الجزء الثاني ( من ٦١ إلى ٨٢ ) العلاقات القائمة بين أنواع معينة من الجوادر شرحاً مسقفاً خصاً كبا يعالج مسائل متعلقة بالكون الحي وطبيعة العلاقة بين النفس والجسم ، بما في ذلك الحياة والموت والخلق والفناء . أما الجزء الثالث ( من ٨٣ إلى ٩٠ ) فيضم النسق السكامل للعلاقات في وحدة واحدة هي الله ، ويقتضى اول التفرقة بين العامل الفاعلة والعامل الغافية والتباين بينهما في نهاية المطاف - وهو التجانس الذي يقوم عليه التمييز بين النفس والجسم - ثم يضيق إليه تفرقة أخرى وتجانساً آخرين « الملكة الفيزيائية للطبيعة والملائكة الأخلاقية لفضل الالهي » ، أي بين الله بوصفه البناء الأعظم والمهندس المدير الالاه السكونية الهاشمة ، وبين الله بوصفه الحاكم المهيمن على مدينة الأرواح ، والراعي الحكيم والأب الرحيم .

ولابد من القول بأن هذا التحليل — الذي اقبسناه عن العالم الانجليزي لاتا - ليس إلا مدخلًا مبسطاً لقراءة هذا النص الرائع العسير . وهو لا يخلو بطبيعة الحال من القصف والتسر ، ولا يغنى عن بذل الجهد والصبر .

وقد وضمن ليبنوز المونادولوجيا تذكرة إلقاءه في باريس ( التي قطعها افتراة أمضت من أوائل سنة ١٦٧٢ حتى أوائل ١٦٧٦ ) وأهدتها في المقام الأول لنيكولا ريمون وطائفة من العلماء وال فلاسفة الفرنسيين تذكرة من بينهم أرنو ، دريمون ، ومايرانش ، وهيجنز ، وهويد ، وفوشيه ، وماربوت<sup>(١)</sup>

(١) الأسماء على الترتيب :

Foucher — Arnauld — Nicholas Remond — Moziotte — Malebranche — Huygen — Huet.

ولم يكن ليهندقز هو الذي وضع لها العنوان الذي تعرّف به اليوم ، فقد وجدت المخطوطات التي تركها في مكتبة هانوفر الملكية ، التي قضى فيها الجانب الأكبر من حياته ، بغير عنوان محدد ، وكانت تشتمل على مشروع الكتاب ونسختين معدّتين بخط يده ، فضلاً عن نسخة رابعة موجودة بالمكتبة الأهلية بفوينا تحت عنوان « مبادئ الفلسفة للسيد ليهندقز ». والعنوان الحالى الذى اشتهرت به يرجع إلى عالم القانون الإمامى هينريش كولر<sup>(١)</sup> الذى ترجم الكتاب للألمانية ونشره في سنة ١٧٢٠ تحت عنوان مرهق طويل : « مبادئ السيد جوتفريد فيلهلم ليهندقز عن المونادولوجيا وكذلك عن الله وجوده وصفاته والنفس الإنسانية ، إلى جانب دفاعه الأخير عن مذهبة في الاتساق المدبر في وجه اعترافات السيد بايل<sup>(٢)</sup> » .

وقد شاع فترة طويلة من الزمن أن ليهندقز أهدى المونادولوجيا للأمير يوجين أمير سافوى ، وذلك منذ أن ترجمهاج ، كوتن<sup>(٣)</sup> إلى اللاتينية سنة ١٧٣٧ ( وقد ضمّها بوحنا أدوارد أردمان إلى طبعته الكتابة لأعمال ليهندقز في سنة ١٨٤٠ ) تحت عنوان « رسائل ميغافيزية مهدّاة لسمو الأمير يوجين<sup>(٤)</sup> » .

ومن طريف ما يحكي في هذا الصدد أن الأمير سُمّ عن كتاب ليهندقز عن العدل الإلهى ( الشيوديسية الذى ظهر سنة ١٧١٠ ) ، ولم يلمه قد سمع عنه

(1) Heinrich Köhler .

(2) Bayle .

(3) J. Koethen .

(4) *Theses metaphysicae in gratiam serenissimi principis Eugenii.*

من فم صوف شارلوته ملكة بروسيا وراعية ليوبنتز وصديقةه . ويبدو أن الأمير اطلع على « الشيوديسية » ورجا الفيلسوف أن يقدم له موجزاً مبسطاً لمذهبة الفلسفي . ويبدو أيضاً أن النسوة أخذته بهذا المذهب حتى لقد أحفظت به كاجلوجة في صندوق مغلق ، مما جعل صديقه الدوق دي بونيفال<sup>(١)</sup> يكتب لليوبنتز مداعبها : « أن الأمير يحفظ بكلماتك كما يحفظ الرهبان في مدينة نابولي بعد القدس ياغواروس . إنه يسمع لي بتقبيله ثم يسارع بإغلاق الصندوق عليه ! ». .

ولكن لم تثبت الأيام أن كشفت عن خطأ هذا الرأي . إذ بين جرhardt<sup>(٢)</sup> سنة ١٨٨٥ في الجزء السادس من طبعته الكاملة لأعمال ليوبنتز أن ليوبنتز لم يهد الأمير غير كتابه عن المبادىء ، بعد أن طلب منه هذا الأخير أن يقدم له تعريفاً مبسطاً بمذهبة . تويد هذا الرسائل التي تبادلها ليوبنتز مع نيكولا ريمون والدوق النمساوي الكسندر دي بونيفال الذي كان صديقاً حرياً للأمير بوجين وتوسط في تقديم ليوبنتز له أثناء إقامته فيينا من خريف سنة ١٧١٢ إلى خريف سنة ١٧١٤ .

وقد ظهرت المبادىء مطبوعة لأول مرة في شهر نوفمبر سنة ١٧٢٨ في مجلة العلماء التي كانت تصدر في باريس بعنوان « أوربا العالمة » وذلك اعتماداً على المخطوطات الأربع المحفوظة في مكتبة هانوفر وعلى نسختين منها في المكتبة الأهلية بباريس والمكتبة الأهلية بفيينا .

وتشير المبادىء مع المذاولات في قضايا كثيرة ، وتوشك بعض فقراتها أن تكون أصداء لأصواتها أو تنويات على أحانها الأساسية وهي

(1) Claude Alexandre de Bonneval.

(2) G. J. Gerhardt.

لهذا بحثاً مدخل إليها أو دراسة تمهيدية لها . مما يرجح رأى الشراع عن تأليفهما في وقت واحد أو على الأقل في فترتين زمنيتين متقاربتين .

وتكشف النظرة العابرة إلى النص عن شيء غير قليل من الفموض والافتراض في ترتيب المادة . ولكنها لو تقبلاً القسم الأصلى الذى وضعه ليبيقز بنفسه لوجدنا أن النص يتحدث ابتداءً من الفقرة الأولى حتى السادسة عن المونادات الخلوقة في ذاتها وفي علاقاتها ببعضها البعض ، بينما تتناول سائر الفقرات طبيعة الله بوصفه السبب الأول والأخير لـ الكون ، والنتائج المتوقعة على قدرته وحكمته وكماله وخيريته . ويلاحظ القارئ المغنى أن المبادىء تمر مروراً هابراً ببعض المسائل الرئيسية التي تعالجها الموناد وأوجيا أو تلمسها في خفة وسرعة . فهي على سبيل المثال لا تذكر شيئاً عن الهدأين المنطقيين اللذين تقوم عليهما المعرفة البشرية . ولا تتفق وفكرة كافية عند فكرة التبعانس المدبر أو الاتساق المقدر .

ولكن هذا كله لا يقل من شأن المبادىء ولا يوهن من صلتها المؤدية بالمونادولوجيا ، سواء في طريقة التناول أو التعبير .

وتعتمد هذه الطبعة العربية لـ كتاب ليبيقز على طبعة روبينيه النقدية التي حققتها على المخطوطات المحفوظة في مكتبة هانوفر وفيينا وباريس وقارن بينها وزودها برسائل لم يسبق نشرها . وصدرت في باريس عن المطبع الجامعية الفرنسية سنة ١٩٥٤ . وهي طبعة تمتاز على طبيعة جرها الذي لم يلزم إلا بخطوطات هانوفر دون الرجوع لنسخها المحفوظة في فيينا وباريس . وقد أخذنا إلينا لللاحظات التي دونها ليبيقز بنفسه على المخطوطة الأصلية في مكتبة هانوفر وأشار فيها إلى الموضع المقابل للنصوص في كتابه عن العدل الإلهي . كما أخذنا كذلك من الترجمة الألمانية التي قام بها

أرتود بوخيناو<sup>(١)</sup> وراجعوا وقدم لها الفيلسوف أرنست كاسيرر<sup>(٢)</sup> وظهرت سنة ١٩٠٩ في المجلد رقم ١٠٨ من سلسلة « المكتبة الفلسفية » ثم نشر الفصل الأصلي وترجمته الألمانية ونصحه وقدم له وعاق عاليه الاستاذ هربوت هيرنج وظهر في المجلد ٢٥٣ لسنة ١٩٦٩ من نفس السلسلة التي يصدرها الناشر فليكس ميير في مدينة هامبورج<sup>(٣)</sup> : واعتقدنا أخيراً في كتابة القميود لهذا الكتاب بالكتاب القيم الذي وضعه الاستاذ يواخيم فاندبوش عن حياة ليبنتز وفلسفته وأثره على الحضارة العالمية ، وأصدرته هيئة « انقرناسيو نيس » في سنة ١٩٦٦ بمناسبة الاحتفال بمرور مائتين وخمسين سنة على وفاة ليبنتز . وديني نحو هذا الكتاب أكتر من أن يفهم شكر أو عرفان .

أما كتاب « روبرت لانا » الذي أشرت إليه في بداية هذا التقديم<sup>(٤)</sup> ، فقد أسفنا منه فائدة لا تقدر ، واعتقدت على ترجمته الرائعة وتعلمهاته القيمة على المؤنادولوجيا والمبادئ . وقد استمد « لانا » أغلب هذه القوليات المسنوية من كتابات ليبنتز نفسه ، كما أشار في مواضع كثيرة إلى نصوص

---

(1) Artur Buchenau.

(2) Ernst Cassirer

(3) Cr. W. Leibniz: Principes de la Nature et de la Grace fondés en Raison. Monadologie. Hamburg, Verlag Felix Meiner 1946. Band 253 der Philosophischen Bibliothek (Französisch Deutsch) S.XIV, 73, Hrsg. von H. Herring.

(4) Joachim Vannebusch; G. W. Leibniz. Philosopher and politician in the service of a Universal Culture. Bad Godesberg, Inter — Nationes, 1966, P. 55.

(٥) أود أن أقدم شكري القلبى إلى الصديق الكريم الاستاذ أحمد الحكيم الذى أعارنى هذا الكتاب القيم ...

المعاصرين أو السابقين ، ومراسلاته مع علماء عصره . ويرجم الفضل في الموسوعة التي تجدها بين يديك وفي عديد من الأفكار والاشارات التي تضمنها المقدمة إلى الطبعة المثالية التي عنى بها هذا العالم الإنجليزي القدير ، أما مواضع الخطأ والتصور أو التصوير فأنا وحدى المسئول عنها .

هذا وأرجو من ترجمة هذين العملين والمقدمة التي كتبته لهما واللاحظات والتعليقات والإشارات المختلفة التي وردت فيها أن تبين القارئ العربي على دخول عالم هذا الفيلسوف ، وتشجعه على المزيد من الاطلاع على قرائه والاحاطة بجوانيب مذهبته وتعاطف مع شخصيته وفكرة، وقدير أثره على تطور الفكر والحضارة الإنسانية .



المبادئ العقلية للطبيعة والفضل الالهي



## المبادىء العقلية للطبيعة والفضل الالهى :

١ - الجوهر كائن قادر على الفعل، وهو بسيط أو مركب فالجوهر البسيط هو الذي لا أجزاء له، والجوهر المركب<sup>(١)</sup> هو المجموع المؤلف من جواهير بسيطة أو مونادات . وموناس كلة بونانية تدل على الوحدة أو على ما هو واحد . الأشياء المركبة أو الأجسام كثيرة<sup>(٢)</sup> . والجواهر البسيطة ، والحيوانات ، والنفوس ، والمقول (الأرواح)<sup>(٣)</sup> وحدات، ولا بد أن تكون هناك جواهر بسيطة في كل مكان ، إذ لو لا البساطة ما وجدت المركبة . يترتب على هذا أن تكون الطبيعة كلها مقلوبة بالحياة<sup>(٤)</sup>.

٢ - لما كانت المونادات بلا أجزاء . فلا يمكنها أن تتوارد أو تفسد<sup>(٥)</sup> ؛ ولا يمكنها أن تبدأ أو تنتهي على نحو طبيعى ، ولم هذا فهى

---

(١) انظر المونادولوجيا ، الفقرة . ٣ ، والتعليق عليها .

(٢) في الأصل بصيغة الجمع *multitudes*

(٣) في الأصل *Esprits* ويترجمها المترجم الانجليزى بالارواح *Spirits* لا بالعقل *minds* كما يفعل فى أغلب الحالات .

(٤) انظر المونادولوجيا ، الفقرة (١ ٠ ٢) والقول بانقسام المادة إلى ما لا نهاية كالقول بوجود الجوهر المركبة في كل مكان ، لأن الذى يقبل القسمة لا بد أن يكون مركبا . ولكن الجوهر المركبة مكونة من جواهير بسيطة .. ولهذا توجد الجوهر البسيطة أو الكائنات الحية في كل مكان .

(٥) أولاً يمكنها أن تسكون أو تفني .

تبقى ما بقى العالم الذى يقبل التغير ولكن لا يقبل الفناء<sup>(١)</sup>. وليس من المستطاع أن تكون لها أشكال ، وإنما كانت لها أجزاء<sup>(٢)</sup>. يقترب على هذا أن المونادة ، بما هي كذلك وفي لحظة بعينها ، لا يمكن تمييزها عن مونادة أخرى إلا عن طريق خصائصها<sup>(٣)</sup> وأفعالها الباطنة<sup>(٤)</sup> التي لا تخرج عن أن تكون هي أدواتها (أى عثارات المركب أو ما يوجد خارجها في البسيط<sup>(٥)</sup> ، ونحو عاتها (أى إتجاهها للانقسام من إدراك إلى آخر) التي هي مبادئ التغير . لأن بساطة الجوهر لا تحول البتة دون كثرة

---

(١) حرفيًا : الذي سيتغير ولكنه لن يدمى ، وقد تابعت المترجم الألماني في هذا التصرف .

(٢) إذ لو كان للمونادة شكل لكنه ممتد أو مكانية ، ولما كان الممتد يقبل القسمة ، فإن تكون الموناد ببساطة بل مركبة ، أي ذات أجزاء .

(٣) أو كيفياتها وصفاتها .

(٤) ومعنى هذا أننا لا نستطيع أن ندرك الموناد عن طريق الحواس . فالحواس لا تقدم لنا الجوهر نفسه ، بل مجرد ظاهرة مدبعة ، ويوضح ليشنز هذه النقطة في رسالته إلى بير لنجيوم (٧١١) بقوله : « أن الأرواح والذفون والجوهر البسيطة أو المونادات بوجه عام لا يمكن أن تعرف عن طريق الحواس والخيال ، لأنها لا تحتوى على أجزاء . »

(٥) المركب ، بما هو مركب ، يتتألف من أجزاء إلى أجزاء ، أو أجزاء فوق أجزاء ، ولكن وجوده وجود ظاهري .

الأحوال المختلفة التي يجب أن توجد مجمعة في هذا الجوهر البسيط نفسه كما يجب أن تتألف من علاقاته المتنوعة مع الأشياء الخارجية . وهذا شبيه بمركز أو نقطة يوجد بها — على الرغم من بساطتها التامة — عدد لا حصر له من الزوايا التي تكون من الخطوط التي تلقي فيها <sup>(١)</sup> .

٣ — كل ماقط الطبيعة ملاء <sup>(٢)</sup> . هناك جواهر بسيطة في كل مكان ، تختلف عن بعضها البعض اختلافا فعانيا عن طريق أفعال خاصة بها <sup>(٣)</sup> تقوم باستمرار بتغيير علاقاتها . وكل جوهر بسيط أو مواد مميزة تكون مركز جوهر مركب (كالحيوان مثلا) ومبداً تفرده <sup>(٤)</sup> محاطة بكلة مؤلفة من عدد لا نهاية له من الموئلات الأخرى . هذه الموئلات تكون الجسم الخاص بهذه الموئلة المركزية التي تمثل طبقا لانفعالات التي تحيي <sup>(٥)</sup> — وكأنما هي أشبه بالمرکز — الأشياء الموجودة خارجها . وهذا الجسم عضوي ، وإن كان يوافن نوعا من الجهاز الآلي الذاتي الحركة <sup>(٦)</sup> أو الآلة الطبيعية التي لا تغادر آلة من حيث كل فحسب ، بل كذلك في أصغر أجزائها

---

(١) انظر المونادولوجيا ، الفقرات من ٣ إلى ١٥ .

(٢) أو الطبيعة كلها ملا Plenum Pleins

(٣) أي أن كل موئلة تتميز عن سواها بما فيها من فاعلية تلقائية تؤثر بها عن كل ماعداها . وهذا هو الذي يجعلها وحدة حقيقة مستقلة .

(٤) Unicité وقد فصلتها على الوحدية حتى لا تختلط بالمناهب الفلسفية التي تطلق عليها هذه الصفة لفسيرها العالم ابتداء من فكرة أو مبدأ واحد .

(٥) لا يعني هذا بالطبع أن الموئلات التي تكون الجسم تتأثر تأثيراً فعلياً أو واقعياً بالأشياء الخارجية . إن ليبرتير يامجاً هنا إلى التعبير بلغة شعبية بسيطة .

(٦) أو الآوتومات .

التي يمكن ملاحظتها<sup>(١)</sup>. ولما كانت كل الأشياء مرتبطة بعضها البعض نتيجة لامتداد العالم، وكان كل جسم يؤثر على كل جسم آخر تأثيراً يقل أو يكثُر حسب مسافة البعد بينهما، كما يتأثر تبعاً لذلك برد فعله، فيترتب على ذلك أن تكون كل موئذنة مرآة حية قادرة على الفعل الباطن، تمثل العالم من وجهة نظرها، كما تخضع لنفس النظام الذي يخضع له<sup>(٢)</sup> والادراكات (التي تقام في داخل) الموئذنة تنشأ عن بعضها البعض طبقاً لقوانين النزوع أو العمل الغائية المقلقة بالخير والشر التي تكون من الادراكات الممحوظة منظمة كانت أو غير منتظمة — كما تنشأ التغيرات التي تلحق الأجسام والظواهر الخارجية وفقاً لقوانين العمل الفاعلة أي لقوانين الحركة<sup>(٣)</sup>. وهكذا يوجد اتساق كامل بين إدراكات الموئذنة وحركات الأجسام، وهو اتساق سبق تقاديره هند المبدع بين نظام العمل الفاعلة ونظام العمل الغائية، وفي هذا يمكن القطب والاتحاد الطبيعي بين النفس والجسم، بغير أن يقدر أحددهما على تغيير قوانين الآخر<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر الفقرة (٦٤) من المونولوجيا.

(٢) أو تشبهه في نظام تكوينها.

هل كان لييتشن ينشأ بحدسه الصائب بما ذهب إليه بعض العلماء الطبيعيين في عصرنا (نيلس بور) من أن بناء الذرة نموذج مصغر لبناء الكون، على بعد الفرق بين الذرة والموئذنة؟

(٣) ليست الحركات والرغبات سوى درجات مختلفة من النزوع *Appetition* أي الانتقال من إدراك واع أو غير واع إلى إدراك آخر. والنزوع غير الواعي حرفة أو عملة فاعلة لا تتجه لغاية، أما النزوع الوعي أو الرغبة فتضع لنفسها غاية تتعلق بالخير أو الشر، أي عملة غائية.

(٤) انظر المونولوجيا، الفقرة ٧٨ وما بعدها.

٤ — تؤلف كل موناد ذات جسم خاص بها جوهرها . ولهذا لا توجد فحسب حياة في كل مكان ، مقصلة<sup>(١)</sup> بأعضاء أو أدوات ، بل إن هناك درجات لا نهاية لها بين المونادات ، إذ أن بعضها يتحكم قليلاً أو كثيراً في بعضها الآخر . فإذا توافرت الموناد أعضاء جعلت<sup>(٢)</sup> بحث تحققى الانطباعات التي تسمى بها ، كما تتحققى فيما لذاك الأدراكات التي تمثلها (أى تمثل هذه الانطباعات) على فروق بارزة ومتقدمة (على نحو ما نجد ذلك عندما نلاحظ أن شكل السوائل في العينين يساعد أشعة الضوء على التركيز وقوة التأثير) ، فإن هذا يمكن أن يؤدي إلى الإحساس<sup>(٣)</sup> ، أى إلى إدراك مصحوب بالذكر ، يتبعى منه صدى معين افتراض طويلة ، حتى تأتى المناسبة التي تتيح له أن يسمع . مثل هذا الكائن الحي يسعى حيواناً ، كما تسمى مونادته نفسها . وعندما ترتفع هذه النفس إلى مستوى العقل ، تصبح شيئاً كثراً سمواً وتعد روحًا بين الأرواح<sup>(٤)</sup> ، كما سأبين ذلك بعد قليل .

(١) مرتبطة أو مصحوبة بأعضاء ... الخ .

(٢) أو هيئت ورتبت بحيث ... الخ .

(٣) راجع المونادولوجيا ، الفقرة (٢٥) — لم يوضح ليينتنز كيفية الانتقال من الأدراك غير الوعي إلى الأدراك الوعي ، وكل ما يحرص على تأكيده في هذه الصدد هو أن إدراكات المونادات الوعية أقل غموضاً وتشوها واحتلاطاً من إدراكات المونادات غير الوعية ، كما أن أعضاءها مختلفة في تكوينها وترتيبها عن أعضاء المونادات الأخيرة . ويجب ألا ننسى أن تأثير المونادات على بعضها البعض تأثير مثالى خالص ، وأنه ليس في العالم شيء غير المونادات .

(٤) الأرواح هنا تقابل esprits ، وهذا من المواقف القليلة التي يميز فيها ليينتنز الروح عن العقل .

بيد أن الحيوانات توجد أحیاناً في حالة الكائنات الحية البسيطة ، كما توجد نفوسها في حالة المونادات البسيطة<sup>(١)</sup>، وبهذا حين لا تبلغ إدراكاتها درجة من التمييز<sup>(٢)</sup> تكفى لتجذيرها ، كما يحدث في نوم عميق خال من الأحلام أو في حالة الأغماء . ولكن أمثل هذه الادراكات التي بلغت الغاية من الاختلاط لا بد أن تتضح مانعية في الحيوانات<sup>(٣)</sup> ، وذلك للأسباب التي سأعرضها بعد قليل (في الفقرة ١٢) . ولهذا فإن من الخير التمييز بين الادراك<sup>(٤)</sup> ، أو الحالة الداخلية المونادة التي تتمثل بها الأشياء الخارجية ، وبين الوعي ، وهو الشعور الذاتي أو المتأملة<sup>(٥)</sup> لهذه الحالة الداخلية ، وهو ما لا يقابح جميع النفوس ، ولا لنفس واحدة في كل الأوقات ، وقد كان إغفال هذه التفرقة هو الخطأ الذي وقع فيه الديكارتيون الذين تجاهلوا وجود الادراكات التي لا تكون مصحوبة بالشعور<sup>(٦)</sup> ، على نحو ما يفعل

---

(١) أي في حالة الكائنات الحية والمونادات غير الواقعية .

(٢) ne sont pas assez distinguées ويترجمها « لات » (ص ٤١٠) عندما لا تبلغ درجة كافية من الشدة أو الحدة not sufficiently sharp . ولكنني لم أجده داعية لهذه الترجمة التفسيرية .

(٣) أي أن الادراكات التي بلغت حالة من الغموض النام لا بد أن ترجع إلى حالة الوضوح والوعي . ويشبه الغموض أن يكون نوعاً من الانقباض أو الانكash أما الوضوح فهو أقرب إلى الانبساط والتمدد والانفتاح ..

(٤) يلاحظ أن الإدراك يقابل perception ، أما الوعي فيقابل consciousness Apperception ما أشبهه (راجع التمهيد العام للكتاب) .

(٥) أي المعرفة التي تتعكس على نفسها وتتأمل ذاتها .

(٦) راجع المونادولوجيا ، الفقرة (١٤) .

عامة الناس عندما يسقطون من حسابهم الأجسام التي لا يدركونها إدراً كا  
حسياً . وهذا هو الذي حمل الديكاريةين أيضاً على الاعتقاد بأن المقول  
وحدها موانات ، وأن النقوس الحيوانية ، ناهيك عن المبادىء الأخرى للحياة  
لا وجود لها على الإطلاق <sup>(١)</sup> . وكما صدموا الرأي العام صدمة شديدة  
بنفيهم الإحساس عن الحيوانات ، فقد تعاطفوا <sup>(٢)</sup> على العكس من ذلك  
من الأحكام المسبقة التي يرددوها العامة تعاطفاً شديداً عندما خلطوا بين  
الاغماء الطويل الذي يأتي من اضطراب الإدراكات واحتلاطها ، وبين  
الموت بمعناه الدقيق <sup>(٣)</sup> الذي يتوقف معه كل ادراك .

ولمْ يَأْدُوا الرأْيُ الْهَاوِيُّ<sup>(٤)</sup> الَّذِي ذَهَبَ بِهِ أَصْحَابُهُ إِلَى فَنَاءٍ<sup>(٥)</sup>  
بِعَضِ النَّفُوسِ، كَمَا دَعَمُوا الزَّعْمَ الْفَاسِدَ الَّذِي قَالَ بِهِ بَعْضُ ذُوِّ الْعُقُولِ  
مِنَ الْأَدْعِيَاءِ<sup>(٦)</sup> الَّذِينَ حَارَبُوا خَلُودَ نَفْوَسِنَا الْبَشَرِيَّةَ<sup>(٧)</sup>.

(١) أو بعبارة أخرى هو الذى حمل الديكارتىين أنفسهم على الاعتقاد بأن العقول هى المونادات الوحيدة ، وأن الحيوانات الدنيا لا نفوس لها ، ناهيك عن ممادى . الحسناه الأخرى التي اعتقادوا ألا وجود لها على الإطلاق .

(٢) أو وافقوهم عليها وأيدوهم فيها .

(٢) أو يعنـاه المطلق .

(٤) أو الرأى الذى لا يستند إلى أساس.

(٥) حرفيًا : دمار بعض النقوس .

(٧) يقصد أدعية حرية الفكر.

(٧) راجع المونادولوجيا ، الفقرات ١٣ و ١٤ و ١٩ و ٣٠ و ٦٣ و ٧٠ و ٧٧ و ٨٢ ، وقد كتب ليبنتز إلى بيرننج رسالة باللاتينية في ١٧١٧/٨/١٢ أوضح فيها درجات المونادة وترتيبها وقال فيها إن المونادة أو الجوهر البسيط تملك بوجه عام القدرة على الإدراك والنزوع ، وهي إمامونادة أولية أو لية ، =

٥ — توجد بين إدراكات الحيوانات علاقة ارتباط تشبه من بعض الوجوه الاستنتاج العقل (أو العقل)، ولكن هذه العلاقة لا تقوم إلا على تذكر الواقع أو النتائج، لا على المعرفة بال الحال (أو الأسباب). ولما ذهب السكك من العصا التي ضرب بها، لأن الذكرة تصور له الألم الذي سببته له هذه العصا. وقدر ما يقتصر الناس تصرفًا تجربتها، أى في ثلاثة أربع أفعالهم، فهم لا يقتصرن إلا كما تصرف الحيوانات<sup>(١)</sup>. ولما توقع مثلاً أن يطأم النهار في الغد، لأن الناس قد جربت ذلك دائمًا: أما الفلكي فإنه يتمنى به على أساس عقلية. غير أن هذا القنبلة نفسه سيختفي في نهاية الأمر، عندما تبطل<sup>(٢)</sup> علة النهار التي ليست خالدة على الإطلاق.

ولكن الاستنتاج العقل الصحيح يعتمد على الحقائق الضرورية أو الأبدية (الخالدة)، مثل حقائق المنطق والحساب والهندسة التي تؤلف بين الأفكار برباط لا يقتصر عليه الشك، كما تؤدي إلى نتائج لازمة لا تختلف.

والكائنات الحية التي لا تلاحظ لديها هذه النتائج تسمى حيوانات، أما الكائنات الحية التي تعرف هذه الحقائق الضرورية فهي التي تستحق أن تسمى حيوانات عاقلة، كما تسمى نفوسها عقولاً. هذه النفوس قادرة على

---

== حيث يوجد السبب الأسمى للأشياء، أو مونادة مشتقة من هذا أي مونادة مخلوقة. وهذه إما أن تكون مزودة بالعقل، بوصفها شعوراً أو وعيًا، أو مزودة بأعضاء حسية فقط بوصفها نفسها، أو لا تكون مزودة إلا بدرجة دنيا من الإدراك والنزع، بحيث تكون نوعاً من النفوس التي تقنع باسم المونادة المجردة لأننا لا نعلم شيئاً عن درجاتها أو مستوياتها المختلفة.

(١) يضيف «لانا» الحيوانات الدنيا *Bêtes* ولم أجد داعياً لهذه الإضافة.

(٢) أو توقف عن الوجود. راجع المونادولوجيا، ٣٦ — ٢٨

التأمل ، قدرتها على اعتبار <sup>(١)</sup> ما يسمى بالأنما ، والجوهر ، والنفس ، والمقل ، أي باختصار الأشياء والحقائق اللامادية . وهذا هو الذي يكمننا من تحصيل العلوم والمعرف البرهانية <sup>(٢)</sup> .

٦ — لقد علمنا ببحوث المحدثين ، ويرؤيدها العقل في ذلك أن الكائنات الحية التي نعرف أعضاءها <sup>(٣)</sup> ، أي النباتات والحيوانات ، لاتنشأ عن عملية تعفن أو عن عياء ، كما تصور ذلك القدماء ، وإنما تنشأ عن بذور سبق تشكيلها . من قبل ، ولهذا فهى لا تندو وأن تكون تحولات الكائنات حية سبقة لها في الوجود . وفي بذور الحيوانات الكبيرة حيوانات صغيرة تكتسى عن طريق التحلل ثوباً جديداً <sup>(٤)</sup> تتملكه <sup>(٥)</sup> وتتجذر منه وسيلة تمكنتها من من القذى والنمولى تنتقل إلى مسرح أوسم وتعمل على تكاثر الحيوان الكبير <sup>(٦)</sup> . والحق أن نفوس الحيوانات البذرية (المنوية) البشرية غير حائزة على العقل ، وإنما تصبج عاقلة عندما يطبع التحلل هذه الحيوانات بالطبيعة البشرية . وكما أن الحيوانات بوجه عام لاتنشأ أبداً نشأة تامة

---

(١) أو ملاحظة .

(٢) راجع المونادولوجيا ٢٦ و ٢٨ — ٣٠ .

(٣) كل المونادات ذات أجسام عضوية، وتتصل سلسلة المونادات والأجسام العضوية من أدنى المونادات التي لا تكاد تدرك أجسامها إلى مونادة المونادات أو الله المفردة عن الجسمية كل التنزيه . وبين طرقى السلسلة كائنات لانعرف عن أعضائها شيئاً .

(٤) أو شكل خارجياً جديداً .

(٥) أو تجعله شيئاً خاصاً به .

(٦) راجع المونادولوجيا ، ٧٤ و ٧٥ .

مع المثل أو الانجذاب<sup>(١)</sup> فإنها لا تفسد فساداً تماماً فيما نسميه بالموت . لأن العقل يقول لنا إن ما لا يبدأ ببداية طبيعية لا يمكن بالمثل أن ينقمى نهاية طبيعية في إطار النظام الطبيعي .

وهكذا فإنها عندما تخلي قفاصها أو غشاءها<sup>(٢)</sup> إنما ترجم إلى مسرح أصغر حيث يمكنها أن تكون قادرة على الاحساس ومنظمة تنظيمها حسناً كما كانت في المسرح الأكبر<sup>(٣)</sup> سواءً سواءً . وما قلناه منذ قليل عن الحيوانات السخيفية ، يصدق بالمثل على تولد وموت الحيوانات البذرية نفسها ، أي أنها تنشأ عن حيوانات بذرية أخرى أصغر منها تعد هي كبيرة بالقياس إليها ، لأن كل شيء في الطبيعة يقصد إلى ما لا نهاية .

هكذا وبعد أن النقوس والحيوانات كلّيّهما لا يقبل القول ولا الفساد: وإنما هي تنشر ، وتطوى ، وتتكثّف نوباً ، وتخلي التوب ، وتحول (أشكالاً) إن النقوس لاتتفصل أبداً تمام الانفصال عن أجسامها<sup>(٤)</sup>؛ ولا تنتقل من جسم إلى جسم آخر جديداً عليها كل الجدة . وإنّ فلا وجود لتناسخ الأرواح ، بل هناك تقول أو انسلاخ<sup>(٥)</sup> . إن الحيوانات لا تغير إلا بعض أجزائها ، تأخذ هذه وتبخل عن تلك<sup>(٦)</sup>؛ وما يقمن مع التغذى شيئاً

---

(١) التولد والانسال generation

(٢) يضيف المترجم الإنجليزي «لاتا» : غشاءها أو غطاءها البالى .

(٣) راجع المونادولوجيا ، ٧٣ و ٧٦ و ٧٧ .

(٤) حرفيًا / لا تتركها تماماً أو لا تتخلى عنها .

(٥) حاوّلت الحافظة على المجاّسة التي يعمد إليها ليتنّتّز بين التناسخ

Metempsycosis والانسلاخ أو التحول والاستحالة

(٦) راجع المونادولوجيا ، ٧١ و ٧٣ و ٧٧ — ويلاحظ أن أرسطو يدين تناسخ الأرواح أو تتحولها في نقوس أخرى في كتاب النفس ، ٤٠٧ و ٤٣ ب ١٣ .

وفي جزئيات صغيرة غير محسوسة ولكن بصورة دائمة يظهر نجاة وبصورة ملحوظة — وإن تكن نادرة — من العمل والموت اللذين يجعلان الحيوانات تكتسب السكير أو تفقد السكير دفعة واحدة .

٧ — لم نتكلم حتى الآن بوصفنا فيزيقيين <sup>(١)</sup>؛ وينبغي علينا الآن أن نرتفع إلى مستوى الميكانيكي ، بحيث نستمد المبدأ العام الذي قلما طبق بوجه عام ، وهو المبدأ الذي يقول إنه مامن شيء يحدث بغير سبب كاف ، أي أنه مامن شيء يقع بغير أن يكون في إمكان من يعرف الأشياء معرفة كافية أن يقدم سببه يكفي لتحديد علة وقوعه على هذا النحو لا على نحو آخر . فإذا وضع هذا المبدأ كان أول سؤال يتحقق لنا أن نطرحه هو هذا السؤال : لم كان وجود (شيء ما) ولم يكن بالآخر عدم . ذلك لأن العدم أبسط وأيسر من أي شيء . وإذا افترضنا ضرورة وجود أشياء ، فقد لزمتنا أن تكون قارباً على تقاديم سبب يبين لماذا يتتحقق أن توجد على هذه الصورة لأعلى صورة أخرى <sup>(٢)</sup> .

٨ — بيد أن هذا السبب الكافي لوجود العالم لا يمكن العثور عليه داخل سلسلة الأشياء الحادثة ، أي الأجسام وتمثيلاتها في النقوس : إذا لما كانت المادة بعاهي كذلك توقف من الحركة والسكنون ومن حركة معينة بذاتها موقف عدم المبالاة ، فلابد أن تجد فيها سبب الحركة بوجه عام ناهيك عن سبب حركة معينة . ومم أن الحركة الحاضرة الموجودة في المادة تنشأ عن الحركة السابقة عليها ، كما أن هذه تنشأ عن أخرى سابقة ، فإننا ان تقاديم خطوة واحدة منها شاء لنا القمادى في الرجوع إلى الوراء : لأن السؤال

(١) أي دارسين للطبيعة .

(٢) المونادولوجيا : ٣٢

نفسه سيظل مطردًا على الدوام . يلزم عن هذا أن السبب **السُّكَافِ** ، الذي لا يحتج إلى سبب آخر سواه ، يجب أن يقع خارج سلسلة الأشياء المحددة وأن يوجد في جوهر يكون علة هذه السلسلة كما يكون كائنا ضروريًا يحمل في ذاته سبب وجوده ، إذ لو لم يكن الأمر كذلك لما وجدنا سبباً كافياً يعكره أن نقف عند هذه وهذا السبب الأخير للأشياء يسمى الله<sup>(١)</sup> .

١. — يتبعى لهذا الجوهر الأول البسيط<sup>(٢)</sup> أن يحتوى على أقصى قدر ممكن من كل **السُّكَالات** المتضمنة في الجوهر المشقة<sup>(٣)</sup> الناتجة عنه . وأهذا فيكون كامل القوة والمعرفة والإرادة ، أي سيكون مطلق القدرة ، شامل العلم ، واسع الرحمة<sup>(٤)</sup> . ولما كانت العدالة بأعمم معانٍ لها لا تخرج عن أن تكون هي الخيرية المطابقة للحكمة ، فلا بد أيضًا من أن يوصف الله بالعدالة في أسمى صورها . والسبب الذي جعل الأشياء تstem منه<sup>(٥)</sup> وجودها ، هو كذلك الذي يجعلها تتعتمد عليه في إستمرار وجودها وسائر أفعالها وتقلقي منه على الدوام كل ما يضفي عليها نوعاً من **الكمال** ، أما ما يبقى عن أوجه النقض فيترجم إلى ما فطرت عليه المخلوقات من قصور<sup>(٦)</sup> أساسى مقاصل

(١) انظر المونادولوجيا ٣٦ - ٣٨ وكذلك رسالة ليينتز عن الأصل المطلق للأشياء . (١٦٩٧) .

(٢) أو الجوهر الأصلي **Primitive substance** .

(٣) المترعرعة أو المستمدّة منه .

(٤) أو سيعتبر على أعظم قدر من القوة والعلم والخيرية .

(٥) أي من الله .

(٦) أو محدودية .

فيها<sup>(١)</sup>

١٠ - يلزم عن السُّكَّالِ الأَقْمَى لِهِ أَنْ هُنَّ دَمَّاً أَبْدَعَ الْعَالَمَ قَدْ اخْتَارَ أَصْحَاحَ خَطَّةٍ مُّمْكِنَةٍ يَتَعَهَّدُ فِيهَا أَعْظَمَ قَدْرٍ مِّنَ الْقَنْوَعِ مِنْ أَعْظَمَ قَدْرٍ مِّنَ النَّظَامِ: حَيْثُ يَقْفَمُ<sup>(٢)</sup> بِالْأَرْضِ، وَالْمَكَانِ، وَالزَّمَانِ عَلَى خَيْرِ وِجْهٍ، وَتَحْقِيقِ أَعْظَمِ النَّفَائِجِ بِأَبْسْطِ الْوَسَائِلِ: وَحَيْثُ زُودَتِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ بِأَعْظَمِ قَدْرٍ يُمْكِنُ أَنْ يَسْمَعَ بِهِ الْعَالَمُ<sup>(٣)</sup>.

وَمَا كَانَتْ جَمِيعُ الْمَكَنَاتِ الَّتِي فِي ذَهَنِ اللَّهِ تَطَامِعُ لِلْوُجُودِ عَلَى قَدْرِ كُلِّهَا، فَيَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ النَّقْوَيْعَةُ الْمَقْوَيْبَةُ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْمَطَامِعِ هِيَ الْعَالَمُ الْوَاقِعِ بِوَصْفِهِ أَكْمَلُ الْمَوْالِمِ الْمَكَنَةِ . وَبَغْيَرِ هَذَا لَنْ يَقْسِنِي إِيمَاجِادُ شَهْبٍ يَبْرُرُ سَلَبَ الْأَمْوَرِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ دُونَ غَيْرِهِ<sup>(٤)</sup> .

١١ - لَقَدْ افْتَضَتْ حَكْمَةُ اللَّهِ السَّامِيَّةِ<sup>(٥)</sup> أَنْ يَخْتَارَ أَنْسُبَ قَوَافِلَنِ الْخَرْسَةِ.

(١) راجع المونادلوجيا ، ٤٢ — والعبارة الآتية تلخص الفكرة التي تقوم عليها د. الشيوديسية ، أو رسالة ليينتن المشهورة في الدفاع عن رحمة الله وخيريته في وجه الشر والألم الموجودين في العالم . فالله هو مصدر السُّكَّالِ الموجود في كل مونادة ، لأن اختياره لأفضل عالم ممكن هو الذي يمنع المونادة وجودها كما يتبيّن لها أن تستمر في هذا الوجود . وكل المونادات تحتوى على نقص من نوع ما ، ولكن نقص كامن فيها ، متصل في طبيعتها ولو لم تكن مشوبة بالنقص والتحديد والقصور لما أمكن تمييزها عن الله ...

(٢) حرفيًا : حيث رتبت أو نظمت على أفضل وجه ، وقد جارت المترجم الألفاظ في هذا التصرف البسيط .

(٣) راجع المونادلوجيا ٥٥ — ٥٨ .

(٤) راجع المونادلوجيا ٥٣ — ٥٤ .

(٥) حرفيًا : القصوى supreme — المونادلوجيا (٨٣).

وأكثراها ملامة الأسباب المجردة أو الأسباب الميتافيزيقية . ( وبفضل هذه القوانين) تبقى كمية القوة السكانية والمطلقة أو كمية الفعل ثابتة على الدوام ، وتبقى نفس كمية القوة المتبادلة<sup>(١)</sup> أو كمية رد الفعل ، كما تبقى أخيراً نفس كمية قوة الاتجاه ثابتة على ما هي عليه . وفضلاً عن هذا فإن الفعل يساوى دائماً رد الفعل ، كما أن النتيجة الإيجالية تعادل على الدوام سبها الحقيقة برمته . وما يدعو للمجتب أن الاقتصار على النظر في العلل الفاعلة أو المادة يجعل الإنسان عاجزاً عن إثبات قوانين الحركة هذه التي اكتشفت في أيامنا وكنت أنا نفسي من بين الذين أسموا في الكشف عن بعضها فقد وجدت من الإضروري الالتجوء إلى العلل الفاعلة ، ( كما وجدت ) أن هذه القوانين لا تعمد على مبدأ الضرورة كالحقائق المطلقة والحسانية والهندسية ، بل تعمد على مبدأ الملامة<sup>(٢)</sup> أي على الاختيار الذي تم بفضل الحكمة ( الآنية ) . وهذا من أقوى الأدلة على وجود الله وأولاها بالعنابة والتدبر من كل من يخدمون التعمق في هذه الأمور<sup>(٣)</sup> .

---

(١) أو النسبية تعييزاً لها عن القوة المطلقة الشاملة التي تتعلق بالعالم المادي أو عالم الأجسام في جموعه . وهي مطلقة لأنها لأن يوجد قوة أو قوى أخرى مطلقة بها بحيث تزيد أو تنقص منها ، ولكن هناك قوتين نسبيتين داخل هذا النظام السكري ، متعلقتين بالأجزاء التي يترکب منها : هاتان القوتان هما القوة النسبية أو قوى رد الفعل التي تقوم على الأفعال وردود الأفعال المتبادلة بين أجزاء النظام ، وقوة الاتجاه وهي القوة المتضمنة في الفعل الخارجي للنظام .

(٢) تقابل كلمة كلمة *convenance, Angemesseuheit* ( fitness ) وقد فضلتها على الموافقة أو المناسبة .

(٣) قارن المونادولوجيا ، ١٥ - والمعنى أنه لا يمكن استنباط قوانين =

١٢ - ويلزم عن كمال المبدع الأعظم أن لا يكون نظام العالم هو أ كامل نظام ممكّن فحسب . بل يلزم منه كذلك أن كل مرآة حية تصور العالم من وجهة نظرها ، أي أن كل مونادة أو كل مركز جوهرى لا بد أن تكون بإدراكاته ومتنازعه منظمة على أفضل وجه بحيث تتوافق مع سائر الأشياء في مجدها . ثم يلزم عن هذا أيضاً أن النقوس ، أي المونادات المتفوقة على كل ماعداها (من المونادات) ، بل الحيوانات نفسها . لا بد أن تصحو ثانية من حالة الغيبوبة التي يمكن أن يضمهما فيها الموت أو أي حادث آخر .

١٣ - لأن جمجم الأشياء قد سويت مرة واحدة وإلى الأبد على أكبر قدر ممكّن من النظام والتوافق<sup>(١)</sup> ، إذأن الحكمة والرحمة<sup>(٢)</sup> السامية لا يمكن أن تصرف إلا بجهة بعض التجانس<sup>(٣)</sup> الكمال : إن الحاضر يحمل

== الحركة « الفعلية » ، بطريقة « قبلية » ، بل لا بد العلم بها من الرجوع للتجربة . والتجربة تعلمنا أن كل جسم يحتوى على « قوة » (أو طاقة بالتعبير الحديث) خاصة به ، وأن جميع الأجسام في حقيقتها الأخيرة قوى مستقلة (أو مونادات) يختلف كل منها عن الآخر اختلافاً لاحد له ، ولكنها مع ذلك من الاتساق والتجانس مع بعضها البعض بحيث تكون نسقاً أو نظاماً كاملاً يمكن اكتشاف قوانينه . ومن المستحيل أن يكون هذا النظام قد وجد « بذاته » ، أو بقانون الضرورة العميماء أو أي مبدأ آخر لا يكترث بالخير والشر ، مثل مبدأ عدم التناقض . لا بد إذًا أن يكون إله كامل القوة والحكمة والرحمة هو الذي اختار هذا النظام من بين سائر النظم الممكنة :

(١) أو النطاق والتناغم .

(٢) الخيرية والطيبة .

(٣) أو الاتساق .

المستقبل في أحشائه . والمستقبل يمكن أن يقرأ من صفحات الماضي ، والبعيد يعبر عنه في القريب . وفي استطاعتنا أن نتبين جمال العالم في كل نفس ، لو أمكننا أن ننشر كل طياتها التي لا تنسق بشكل ملحوظ إلا بمرور الزمن . ولكن لما كان كل إدراك متميز للنفس يحتوى على عدلاً حسنه من الإدراكات الخفاطلة التي تحوي بالعالم كله ، فإن النفس ذاتها لا تعرف الأشياء التي تدركها إلا بقدر ما تكون هذه الإدراكات واضحة مميزة ، ويقاس كمالها (أى النفس) بحسب إدراكتها الواضحة ، إن كل نفس تعرف اللامتناهى ، تعرف كل شيء ، ولكنها بطبيعة الحال تعرفه على نحو غامض ، كما يحدث لي مثلاً عندما أسير في نزهة على شاطئ البحر وأسمع هديره الصاخب ، فإني أسمع في نفس الوقت أصواتاً مفردة من كل موجة على حدة تؤاف مع غيرها من الأصوات المدير العام للبحر ، وذلك دون أن أقدر على تعييز بعضها عن البعض الآخر . أن إدراكتها الفاضحة إنما هي نتيجة الانطباعات التي يدركها فيينا العالم بأكمله ، وكذلك الشأن مع كل موondaة<sup>(١)</sup> . والله وحده هو الذي يملك المعرفة الواضحة بكل شيء ، لأنّه هو مصدر كل شيء . وقد قيل بحق إن مركزه يقع في كل مكان ، أما محيط دائرته فليس موجوداً في أي مكان ، إذ أن كل شيء بالنسبة إليه حاضر حضوراً مباشراً ، دون أدنى بعد عن هذا المركز .

١٤ - أما عن النفس العاقلة أو العقل فإن فيه شيئاً يزيد عما في المونادات أولى النفوس البسيطة نفسها<sup>(٢)</sup> . فليس مجرد مرآة لعالم المخلوقات ،

(١) راجع المونادولوجيا ، ٦٠ و ٦١ .

(٢) المونادات في هذه العبارة هي المونادات غير الوعية ، أما النفوس البسيطة فهي النفوس الوعية التي لم تبلغ بعد مرحلة الوعي الذاتي .

بل هو كذلك صورة من الألوهية . إن العقل لا يقتصر على إدراك أفعال الله ، بل إنه قادر على ابداع شيء شبيه بها ، وإن يكن ذلك في نطاق أصغر . لأنك ، بغض النظر عن عجائب الأحلام التي تخترع فيها بلا عناء ( ولتكن بغير قصد منها أيضا ) أشياء يتحققها أن تفتقـر فيها طويلا إذا أردنا أن نجد لها بعد اليوقة ، فإن نفوتنا تجري في أفعالهم الإرادية أيضا على طريقة المهندسين <sup>(١)</sup> ، وهي حين تكشف العلوم التي سوى الله الأشياء بقـضاها ( طبقاً للوزن ، والقياس ، والمـدد ٠٠٠ مـلـم <sup>(٢)</sup> ) فإنما تـحـاكـي — في مجالها وفي عالمها الصغير الذي اتـوحـعـ لها الـقـصـرـ في حـدـودـه — ما يـقـومـ به الله في العالم الكبير من أفعال <sup>(٣)</sup> .

١٥ — لهذا فإن جميع الأرواح ، سواء كانت بـشـراً أو أرواحا خالصة <sup>(٤)</sup> ، تدخل بفضل العقل والحقائق الأبدية من الله في جمـاعةـ من نوع ما ، وتشـارـكـ كـأـعـضـاءـ في مـدـيـنـةـ الله ، أـىـ فـأـكـلـ دـوـلـةـ أـسـسـهـاـ وـيـدـبـرـ أمـورـهـاـ أـعـظـمـ الحـكـامـ وـأـصـلـحـهـمـ . وـلـيـسـ فـهـذـهـ الدـوـلـةـ جـرـيـمةـ بـغـيرـعـقـابـ ، وـلـفـعـلـ طـيـبـ بـغـيرـ ثـوابـ مـكـافـئـ لـهـ ، وـعـلـىـ الجـلـةـ أـقـصـىـ مـاـيـمـكـنـ تـصـورـهـ

---

(٣) أو تـنـحـوـ في أـفـعـالـهـ نحوـ هـنـدـسـياـ .

(٤) الكلمات الثلاث في الأصل باللاتينية *Pondere mensura, numero* وهي مستمدـةـ من التـرـجـمةـ الـلـاتـيـنـيـةـ لـلـكـتـابـ المـقـدـسـ ( الفـوـجـاتـ ) — سـفـرـ الحـكـمـةـ ، الفـصـلـ الثـانـيـ ، ١١٥ — ٢١ ) عن عـبـارـةـ كـانـتـ تـقـتـبـسـ كـثـيرـاـ فـيـ أـيـامـ ليـبـيـنـزـ : « ولـكـنـكـ نـظـمـتـ كـلـ شـيـءـ بـالـقـيـاسـ وـالـعـدـ وـالـوـزـنـ » :

(٥) راجـعـ المـوـنـادـوـ لـوـجـيـاـ ، ٨٣ .

(٦) في الأصل *Génies* وقد تصرف فيها « لـاتـاـ » فـجـعـلـهـاـ « المـلـائـكـةـ » .

من الفضيلة والسعادة، ولا يتحقق هذا باخراج الطبيعة عن نظامها الطبيعي<sup>(١)</sup>، وકأن مَا يهميئه الله للنفس يعطل<sup>(٢)</sup> قوانين الأجسام، وإنما يقىء وفقا لنظام الأشياء الطبيعية ذاتها، بفضل الاتساق المقدر منذ الأزل بين مملكتة الطبيعية ومملكتة الفضل الإلهي، بين الله بوصفه المبتدس والله بوصفه العاكم: بحيث تؤدى الطبيعة نفسها إلى الفضل الإلهي، كما يتحقق الفضل الإلهي كمال الطبيعة باستخدامه لها<sup>(٣)</sup>.

١٦ — وعلى الرغم من أن العجز عن إفادتنا بشيء عن دقائق المسقط قبل البعيد<sup>(٤)</sup>، الذي أدخل العلم به لوحى، فإننا نستطيع مع ذلك أن نتأكّد عن طريق هذا العقل نفسه من أن الأشياء قد حلقت على نحو يفوق كلّ ما نَيَّنا، ولما كان الله، وهو أكمل الجواهر وأسعدها، هو كذلك أجدرها بالحب وكان الحب النقى الصادق<sup>(٥)</sup> يقوم على الفرح بما يصيب المحبوب من أسباب

(١) أو بالتدخل في مجرى الطبيعة (لاتا).

(٢) أو يعوق.

(٣) راجع المونادلوجيا، ٨٤ - ٨٩.

(٤) حرفيًا : المستقبل السكير أو العظيم.

(٥) أى الحب الذى يقوم على الايات (راجع المونادلوجيا ، ٩٠)، تمييزاً له عن حب الذات وقد كان هذا الحب الحالص من أهم الموضوعات التي ثارت حولها مناقشات مستفيضة في القرن السابع عشر، خاصة بين الخطيب اللاهوتى الشهير بوسويه (١٦٢٧ - ١٧٠٤) والأسقف والكاتب فنيلون (١٦٥١ - ١٧١٥) - صاحب مغامرات تليماك التى ترجمها رفاعة الطهطاوى - وقد أكد فنيلون أن المحبة الخالصة لله أمر ممكّن، بغض النظر عن الثواب والعقاب. وعارضه بوسويه في هذا، وإنهى الأمر بإدانة البابا لـ نوستـ الثاني عشر لآراء فنيلون، وقد تناول ليبيان هذه المسألة بشيء من التفصيل في مقدمة رسالته «أفكار عن الحق والعدل» (١٦٩٢).

الكمال والسعادة - فإن هذا الحب عندما ينصب على الله ، خلائق لأن يقيح لنا أكبر قدر من البهجة يسعدنا القنعم به .

١٧ - ومن السهل علينا أن نحبه الحب الذي هو جدير به ، لوعزه  
على الفحو الذي ذكرته<sup>(١)</sup> . فعلى الرغم من أن الله يستحق على إدراك  
حواسنا الخارجية ، فإنه مع ذلك محبوب غاية الحب ، ويعيناً أسمى آيات  
الفرح . أذنا نلاحظ مقدار ما تدخله أسباب الـ<sup>كريم</sup><sup>(٢)</sup> من البهجة على  
قلوب الناس ، حتى ولو لم تكن لها خصائص الأشياء التي يمكن إدراها كـها  
إدراها كـها خارجياً . أن الشهداء والمقهين ( وإن كانت عاطفة هؤلاء عاطفة  
منحرفة غير سوية ) شواهد تدل على ما يمكن أن تصفه البهجة المقلية ،  
وأهم من هذا أن المياهج الحسية نفسها يرجع إلى مياهج عقلية لم تعرف  
معرفة واضحة<sup>(٣)</sup> .

أن الموسيقى تسحر أفقتنا ، وأن كان جمالها لا يقهر إلا على تناسب<sup>(٤)</sup>  
الأعداد والعد الذي لا تشعر به شعوراً واعياً ، ومن ذلك فان النفس  
تقدره على أساس الضربات والذبذبات المنبعثة من الأجسام الرنانة التي  
تقلقاً<sup>(٥)</sup> في فوائل زمانية معينة . والبهجة التي تبعدها العين في النسب هي

(١) يقول نيكولا<sup>السكوزاني</sup> ( الدعوات من المواجهة ١٠ و ١٨٨ ب ) :

« الله محبة ، يعرف بالحب ، ويحب بالمعرفة » .

(٢) أي ما يخلع عليهم من الملوك والرؤساء والأمراء من جواز وأوسمة  
وعطايا ، أو من أسباب الرفعة والشکریم .

(٣) لأن الحس نفسه إدراك غامض غير متميز .

(٤) أي على الاتساق والتوافق بين الأعداد وعد الضربات والاحتزازات  
.. الخ .

(٥) أي الضربات والذبذبات ،

من نفس هذا النوع ، كما أن مباحث الحواس الأخرى ترجع إلى أمور مشابهة ، وأن كثنا لانملك أن نفسرها تفسيراً واضحاً<sup>(١)</sup> .

١٨ - نستطيم بالمثل أن نقول أن محبة الله تؤدي لنا من الآن الاستيقاظ بذاق أولى للسعادة المقبلة<sup>(٢)</sup> ، وهم أنها<sup>(٣)</sup> مفروضة عن الغرض فانها تتحقق بذاتها أعظم خير وأكبر فنون لنا ، حتى ولو لم نسم لها ولم نضم في الاعتقاد إلا الفرح الذي تمنحنا إياه ، دون التفات الممنوعة التي تنتهي عذابها .

ذلك أنها تثبت فينا الثقة الس الكاملة في رحمة<sup>(٤)</sup> خالقنا ومولانا ، وهذه الثقة تبعث على الطمأنينة الروحية الحقيقة ، التي لا تصدر عن تصبر<sup>(٥)</sup> مفروض على النفس ، كما هو الحال عند الرواقين ، بل عن شعور مباشر بالرضا والقناعة يجعلنا على يقين من سعادة مقبلة<sup>(٦)</sup> . وبجانب هذه البهجة المباشرة التي

---

(١) لا يقصد ليحيى أن البهجة التي نشعر بها عند سماع الموسيقى أوتأمل الملوحات والرسوم ترجع برمتها للحواس ، وإنما يريد أن يؤكد أن العنصر الحسّي الذي تتطوّر عليه المتعة الفنية هو في الحقيقة أو في نهاية التحليل عنصر عقلي . وهو يوضح هذا عندما يقول أنه يعتمد على إدراك النسب والعلاقات والآيّقادات لإدراكاً لم تتوصل بعد إلى معرفة حقيقته .

(٢) أي السعادة التي ستكتسب لنا في الحياة الأخرى .

(٣) أي محبة الله .

(٤) حرفيًا : خيرية أو طيبة *bonté*

(٥) أو تحمل قسري تدررت عليه النفس بالقوة والإكراه .

(٦) يقول ليحيى في التبوديسية ، ٢٥٤ : « هناك فارق كبير بين الأخلاق الحقيقة والأخلاق التي يدعوا إليها الرواقيون واليهوديون ، شبيه بالفرق بين الفرح والصبر ، لأن طمأنينتهم كانت تقوم على الضرورة وحدها ، أما الطمأنينة الروحية عندنا في ينبغي أن تقوم على كمال الأشياء وجمالها ، على سعادتنا الخاصة . »

تنيحها فليس هناك شئ ، أنفم الم世人 قبل من محبة الله ، لأنها تحيي كذلك  
آمالنا وتقود خطانا على طريق السعادة القصوى . فقد خلق كل شئ ،  
بفضل النظام الشكال القائم في العالم ، على أحسن وجه ممكن ، سواء  
بالنظر إلى الصالح العام ، أو النظر إلى المصالحة الظمنى التي تعود على المتنزعين  
به ، الراضين عن الحكومة الالهية . هذا الاستقىاع والرضا ان يموز أولئك  
الذين يعرفون كيف يحبون منبع كل خير .

صحيح أن السعادة القصوى ( أي ) كانت الرؤية المباركه أو معرفة الله  
التي تصحبها ( لا يمكن أن تتحقق تحققها تماما ، لأن الله ، وهو غير مقتناء ، إن  
يقسني معرفته معرفة كاملة .

ومن ثم فلن تقوم سعادتنا ولا ينبع لها أن تقوم على الاستقىاع الشكال  
الذى ان يدع مجالا لاتمنى وسيصيب عقولنا بالقبلد ، بل يجب أن تقوم على  
القدم المقصى نحو أفراد جديدة وألوان جديدة من الشكال .



المونادلوجيا



١ — ألم يُسْتَأْتِي المونادَةُ ، التي سُنَّتْ مُحَدَّثَةً عَنْهَا هُنَّا ، سُوَى جَوَهْرِ بِسْيَطٍ ،  
يُدْخَلُ فِي تَكْوِينِ الْمَرْكَبِ ، وَالْبِسْيَطُ مِنْهَا « لَا أَجْزَاءَ لَهُ » . (قارن  
التَّيُودِيَّيَّةَ ١٠) (١) .

٢ — ويجب أن تكون هناك جواهر بسيطة ، ما دامت هناك جواهر  
مركبة ، إذ ليس المركب إلا كومة أو مجموعة مؤلفة من بساط (٢) .

٣ — وحيث لا تكون أجزاء (٣) ، لا يمكن أن يكون همة امداد ،  
ولا شكل ولا انتقام . وهذه المونادات هي الذرات الحقة (التي تكون  
منها الطبيعة) وهي على الجملة عناصر الأشياء .

٤ — كذلك ليس هناك ما يدعو للخوف من تحللها ، ولا سبيل على  
الأخلاق لتصوير فساد الجوهر البسيط فساداً طبيعياً .

---

(١) تتصل هذه الاشارة وغيرها من الاشارات الواردة في أواخر الفقرات  
بواضع مقابله لها في كتاب ليينتر عن العدل الاهلي (التَّيُودِيَّيَّةِ) . والجدير  
باللاحظة أن ليينتر هو الذي أضافها بنفسه إلى المخطوطة الأصلية ، ونجد فرقاً  
طفيفاً ولستنه بالغ الأهمية بين هذه الفقرة وبين الفقرة الأولى من «المبادي» ،  
إذ يتبعها ليينتر هنا عن المركب بوجه عام ، بينما يتحدث هناك عن الجوهر  
المركبة . ولا بد أنه يعني الجسم في الحالتين ، إذ يقول عنه في موضع آخر انه ليس  
جوهراً بالمعنى الدقيق للكلمة ، ومن ثم فإن تعبير « الجوهر المركب » المستخدم  
في المبادي لا بد أن يكون خاطئاً ، لأن الجوهر لا يمكن أن يكون مركباً . ولا بد  
من الانتباه إلى بهذه التفرقة حتى لا يسامي فهم مذهب ليينتر الذي لم يراع الدقة في  
استخدام المصطلح (١) أو أشياء بسيطة .

(٢) أي حيث لا تكون همة فروق مكانية .

٥ — ولمـذا السبـب نفسه لا يـمكـن أن تـتصـور نـشوـه الجـوـهر البـسيـط  
عـلـى نحو طـبـوـيـ، إـذـأـنه لا يـمكـن أن يـكـون عـن طـرـيق التـركـيب<sup>(١)</sup>.

٦ — وهـكـذا يـمكـن القـول بـأن المـوـنـادـات لا تـنـشـأـ أو تـفـسـدـ إـلا بـضـرـبةـ  
واحـدةـ أـىـ أـنـهـ لاـ تـنـشـأـ إـلاـ بـالـخـلـاقـ وـلـاـ تـفـسـدـ إـلاـ بـالـافـتـاءـ<sup>(٢)</sup>ـ،ـ أـمـاـ المـرـكـبـ  
فيـنـشـأـ مـنـ أـجـزـاءـ وـيـفـسـدـ فـيـ أـجـزـاءـ<sup>(٣)</sup>ـ.

٧ — ولا سـبـيلـ كـذـاكـ إـلـىـ تـفـسـيرـ إـمـكـانـ تـأـفـرـ المـوـنـادـةـ أوـ تـغـيـرـهـاـ منـ  
داـخـلـهـاـ عـنـ طـرـيقـ أـىـ مـخـلـوقـ آخـرـ<sup>(٤)</sup>ـ،ـ إـذـ يـسـتـحـيـلـ أـنـ يـنـقلـ إـلـيـهـاـ شـئـيـءــ أوـ  
أـنـ تـصـورـ فـيـهـاـ أـيـةـ حـرـكـةـ باـطـنـةـ يـمـكـنـ أـنـ تـنـارـ أوـ تـوـجـهـ أوـ تـزـيدـ أوـ

---

(١) أولاً يـمـكـنـ أـنـ يـتـشـكـلـ بـالـتـدـريـجـ عـنـ طـرـيقـ إـضـافـةـ جـزـءـ إـلـىـ جـزـءــ،ـ إـذـ  
أـنـ المـوـنـادـاتـ بـلـاـ أـجـزـاءــ.ـ وـمـعـ هـذـاـ فـيـمـكـنـ القـولـ بـأنـ المـوـنـادـةـ لـاـ تـولـدـ كـامـلـةـ تـامـةـ  
بـلـ تـبـطـوـيـ مـنـ دـاخـلـهـاـ تـطـوـرـآـ تـدـريـجـيـاــ.ـ فـلـمـاـذـ يـسـتـحـيـلـ عـلـيـهـاـ إـذـأـنـ تـوـجـدـ عـلـىـ نحوـ  
طـبـيـعـيـ؟ـ

(٢) يـلـاحـظـ أـنـ لـيـلـنـزـ يـسـتـخـدمـ كـلـمـيـ «ـتـبـدـأـ وـتـنـتـهـيـ»ـ،ـ وـقـدـ سـاـيـرـهـ فـيـ ذـلـكـ  
المـتـرـجـمـ الـأـنـجـلـيـزـيـ «ـلـاتـاـ»ـ،ـ أـمـاـ الـأـمـاـنـيـ فـتـرـجـمـهـ بـالـنـشـوـهـ وـالـفـسـادــ.ـ وـإـلـمـاـدـ بـهـذـهـ  
الـنـقـرـةـ هوـ تـأـكـيدـ خـلـقـ المـوـنـادـاتـ،ـ مـعـ مـلـاحـظـةـ أـنـ هـذـاـ الـخـلـاقـ لـيـسـ حـدـثـاـ يـتـمـ فـيـ  
الـزـمـانـ،ـ لـأـنـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ مـتـعـلـقـانـ بـالـظـواـهـرـ وـحـدـهـاـ،ـ أـمـاـ المـوـنـادـاتـ فـلـاـ تـوـجـدـ  
فـيـ مـكـانـ وـلـاـ زـمـانـ،ـ بـلـ هـيـ شـرـوـطـ لـوـجـودـهـاــ.

(٣) أـوـ عـلـىـ أـجـزـاءـ،ـ أـىـ أـنـهـ يـسـكـونـ وـيـفـسـدـ جـزـءـاـ جـزـءـاــ.

(٤) أـىـ أـنـ الـأـشـيـاءـ الـأـخـرـىـ لـاـ يـمـكـنـهـ أـنـ تـغـيـرـ مـنـ طـبـيـعـةـ المـوـنـادـةـ بـحـيثـ  
تـسـتـحـيـلـ شـيـئـاـ آخـرـ،ـ وـلـاـ أـنـ تـغـيـرـ حـالـتـهاـ تـغـيـراـ مـنـ ذـلـكـ النـوعـ الذـيـ يـصـيـنـهـ دونـ أـنـ  
يـسـتـلـزـمـ بـالـضـرـورةـ تـغـيـرـ طـبـيـعـتـهاــ.

تنقص ؟ وذلك على خلاف الأشياء المركبة <sup>(١)</sup> التي نجد فيها تغيرا في علاقتها الأجزاء بعضها ببعض . ليس المونادات بواحدة يمكن من خلالها أن ينفي ذلك عنها شيء أو يخرج منها . إن الأعراض لا يمكنها أن تنفصل عن الجوهر ولا أن تتحول خارجها ، كما كانت تفعل الصور الحسية <sup>(٢)</sup> عند المدرسيين . وهكذا يستحيل على الجوهر والعرض أن ينفذا إلى المونادة من الخارج .

٨ — ومع ذلك فيجب أن تشتمل المونادات على بعض الخصائص . وبغير هذا لا يقسى لها أن تصير كائنات على الاطلاق <sup>(٣)</sup> فإذا لم تتفاوت

---

(١) تتضمن هذه العبارة أن كل تغيير يلحق بال أجسام لها يرجع إلى تغير الأجزاء . كما يرجع في النهاية إلى التغير في كثافة الحركة واتجاهها .

(٢) species sensibles لاتينية ترجمتها الحرافية هي الأنواع الحسية وتقابليها في اليونانية الإيدوس Eidos وكان المدرسيون في العصور الوسطى يقصدون بها صور الأدراك الحسي (في مقابل الصور العقلية Species intelligibilis) متأثرين في هذا التعبير بنظرية الصور والانعكاسات التي ترجع إلى ديوغربيطس وتفسر الأدراك الحسي بالصور التي تبعث من الأشياء وتؤثر على أعضاء الحس . ويبدو أن ليبرتzer كان يفكر عند كتابة هذه العبارة في النظرية التي قال بها القدماء من أصحاب مذهب الذرة من أن هناك جزيئات أو جسيمات تنفصل في عملية الأدراك عن الشيء المدرك وتنتقل إلى المدرك فتشتت إلى صور أو تمثلات للكيفيات والخصائص الموجودة في ذلك الشيء . وقد سمى ديوغربيطس هذه الصور « بالإيدولات » أما نظرية المدرسيين فتشتت الشخص بوجه عام في أن الأنواع والصور الحسية والعقلية التي لدينا تشتراكاً مشتركاً كاماً مع أعراض الأشياء أو ماهيتها الموجودة فيها ، وإن كان الخلاف كبيراً حول طبيعة هذه العلاقة بين الصور والأشياء .

(٣) كتب ليبرتzer بعد هذه الجملة عبارة شطبها من الأصل ويقول فيها =

الجوادر البسيطة عن طريق خصائصها المميزة<sup>(١)</sup> ، فلن تكون هناك وسيلة للتحقق من أي تغير يلحق الأشياء ؛ لأن ما يوجد في المركب لا يمكن أن يأتي إلا من عناصره البسيطة . فلو كانت المونادات بغير خصائص ، وكانت بال杪الي غير متميزة عن بعضها البعض - إذ أنها لا تختلف أياًها عن بعضها من الناحية السكيم - لترب على هذا ، مع افتراض الملاء<sup>(٢)</sup> الا يقبل كل مكان<sup>(٣)</sup> في آنها الحركة غير محتوى واحد مكافئ للمحتوى الذي كان يشغلها من قبل ، بهذا يتعذر تذكر تماماً تمييز حالة تكون عليهمـا الأشياء عن حالة أخرى - (راجع القيد ديوبيه ، المقدمة ، ٢ ب) .

٩ - يق.htm أن تكون كل مونادة مختلفة عن الأخرى . إذ يستحيل

— ولو كانت الجوادر البسيطة لاشيء ، لزدت المركبات أيضاً إلى اللاشيء ، وهذا يؤكد أن السكان الذى لا كيـفـيـة له لا يمكن تميـزـه عن اللاـشـيء . ويبـدو أنـ ليـتـقـنـ يـقـضـ الاـشـارـةـ ضـعـمـناـ إـلـىـ أنـ المـوـنـادـةـ لـابـدـ أنـ تـكـوـنـ لـهـ أـكـثـرـ مـنـ كـيـفـيـةـ هذاـ وـنـجـدـ هـرـبـارـتـ (١٧٧٠ - ١٨٤١)ـ الـذـىـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـ فـيـ المـقـدـمـةـ ،ـ وـالـذـىـ تـأـثـرـ بـلـيـقـنـ وـأـقـامـ مـذـهـبـهـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـىـ عـلـىـ أـسـاسـ فـكـرـةـ المـوـنـادـةـ ،ـ يـصـفـ المـوـنـادـاتـ بـانـهـ كـيـفـيـاتـ أـوـلـيـةـ وـيـقـولـ إنـ الجـوـهـرـ لـاـ يـكـوـنـ بـسـيـطـاـ بـحـقـ إـلـاـ إـذـ اـحـتوـيـ عـلـىـ كـيـفـيـةـ ثـيـاـئـةـ وـاحـدـةـ .

(١) أو كـيـفـيـاتـهاـ

(٢) استخدمـتـ الـكلـمـةـ الـقـديـعـةـ الـمـأـلـوـفـةـ فـيـ كـتـابـاتـ الـفـلـاسـفـةـ الـمـسـلـمـينـ ،ـ وـهـىـ تـرـجمـةـ لـكـلـمـةـ P. غـلـمـانـ (٥)ـ الـذـىـ يـسـتـخـدـمـهـ لـيـتـقـنـ ،ـ وـالـرـادـ بـهـ الـمـكـانـ الـمـعـتـلـ ،ـ بـلـفـارـغـ .ـ وـلـاـ قـفـزـاتـ .

(٣) أيـ كـلـ جـزـءـ اـمـنـ أـجـزـاءـ الـمـكـانـ .

أن يوجد في الطبيعة كائنان متشابهان تشابهما كاملاً، بحيث يتعذر إلا  
عثر فيهما على خلاف قائم على خاصية باطنية<sup>(١)</sup>.

(١) هذا هو المبدأ المعروف « بهوية الامتيازات »، وهو متربع على طبيعة  
المونادة نفسها. فـ كل مونادة جزء أو عنصر من عناصر العالم ، يعني أنها أشبه  
بهرأة تعكسه من زاوية معينة أو منظور مختلف عن أي مونادة أخرى . ولما كانت  
الموناادات منفصلة عن بعضها تمام الانفصال، فلا بد أن تعكس كل منها العالم بطريقة  
مختلفة . ولهذا فلا يمكن أن نجد مونادتين ( وبالنالى لا يمكن أن نجد شيئاً ، إذ  
الأشياء من كيات مختلفة من موناادات ) متشابهتين تمام التشابه ، ولا يمكن أيضاً  
أن يكون الفرق بين الأشياء مجرد فرق في العدد . وتختلف الموناادات عن بعضها  
البعض من حيث الكيفية أو الخاصية وحدها ، بحيث يستحيل أن نجد مونادتين  
لا تختلفان من ناحية الكيف . ومعنى هذا كله أن الموجودات أفراد متميزة ،  
وأننا لا يمكن أن نجد من بينها فردين غير متميزين . وقد روى ليپنتز في رسالته  
الرابعة إلى كلارك Clarke قصة طريفة جرت له عندما كان يتمشى في حدائقه  
« هيرنهاوزن » مع راعيته صوفى أميرة هانوفر ومعهمها « سيد ذكي » من معارفه .  
ويبدو أن ليپنتز كان يشرح مبدأ التفرد أو التمييز الذى تتحدث عنه ، فزعم هنا  
السيد الذكي أن من السهل عليه أن يحدد ورقة شجر متشابهتين تمام التشابه — لم  
تصدقه الأميرة ، فراح يبحث عبثاً عن الدليل بين أوراق الشجر .. ويعلق ليپنتز  
على هذه القصة بقوله « أن من الممكن التمييز بين قطرى الماء أو اللبن إذا نظرنا  
إليهما من خلال الميسكرووب ( المجهر ) . ولو افترضنا وجود شيئاً لا يمكن  
التمييز بينهما لكان معنى هذا أننا نفترض نفس الشيء تحت اسمين مختلفين » —  
ولعل الفيلسوف اللاهوتى الألمانى نيكولاوس الكونزاني ( نسبة إلى بلدة كونز  
على نهر الموزل ١٤٠١ — ١٤٦٤ ) هو أول من فطن إلى هذا المبدأ وعبر عنه .  
 فهو يقول إن من المستحيل وجود عدة أشياء متشابهة تمام التشابه ، إذ لن تكون  
لدينا في هذه الحالة عدة أشياء بل نفس الشيء . ولذلك فإن جميع الأشياء تتفق مع  
بعضها وتختلف عن بعضها في آن واحد . يقول في كتابه العلم بالجهل أو العلم =  
( م ٩ — الموナدو لو جيا )

١٠ — لا نزاع عندي أيضاً<sup>(١)</sup> في أن كل كائن مخلوق عرضة للتغير، وبالتالي تكون الموناد المخلوقة كذلك، كما أن هذا التغير يتم بامتداد كل موناده.

١١ — يتبين مما سبق أن التغيرات الطبيعية<sup>(٢)</sup> في المونادات تصدر عن مبدأ داخل ، إذ يستحيل على علة خارجية أن تؤثر على داخلها. (قارن الفيرو ديسية ٣٩٦ ، ٤٠٠ ، ٤).

١٢ — بجانب مبدأ التغير يجب أيضاً أن يكون هناك طابع خاص لما يتغير<sup>(٣)</sup> ، بحيث يكون علة نوعية الجوادر البسيطة وتنوعها .

---

الماهيل ٣ و ١ : « لابد أن تختلف جميع الأشياء بالضرورة عن بعضها البعض. ولابد أن يكون هناك تنوع في درجات السكال بين أفراد عديدة من نفس النوع . وما من شيء في العالم لا يتمتع بتفرد معين لا نجد له نظيرا في أي شيء آخر » . - ولا شك أن هذه كلها أفكار يمكن أن تلهم ليينتزر بالكثير من آرائه ، ولكن ليس هناك دليل ثابت على ذلك ، ولا نجد في كتاباته الفلسفية أية إشارة إلى هذا اللاهوتي العظيم ، اللهم إلا في إحدى رسائله إلى مجلة العلماء *Acta Eruditorum* (١٩٦٧) حيث ذرناه يشير إليه بوصفه عالما في الرياضيات . وإن كان هذا لا ينفي أنه اطلع على كتابات الكوزانى ، إذ المعروف عن ليينتزر أنه لم يكن يميل إلى الاعتراف بمصادره !

(١) حرفياً : أرى كذلك أن من المسلم به أو المتفق عليه . ووهناك تغير مستمر في المونادات المخلوقة ، ولو لم يجد عليها أي تغير . وانتفاء التغير الذي يبدو لنا هو في الحقيقة درجة بسيطة جداً من التغير . وهذه الفقرة تطبيقاً لمبدأ الاستمرار أو الاتصال (أنظر الفقرة ١٣ والآمامش) .

(٢) أي التغيرات التي لا تتم بعجزة أو نتيجة خلق المونادة أو افتقاها .

(٣) في الأصل *on detail de ce qui change* ، وقد أخذنا بالترجمة الألمانية ، أما الترجمة الانجليزية (لاتا ، ص ٢٢٣ ، هامش ١١) فتقول : لابد أن تكون هناك ، بجانب مبدأ التغير ، سلسلة خاصة من التغيرات .

١٣ - هذا الطابع الخاص ينطوى بالضرورة على كثرة في الوحدة أو في البسيط . فلما كان كل تغير طبيعي يتم بالقدر العاج ، كان من الضروري أن تتفتت بعض الأشياء ويبقى بعضها دون تغيير <sup>(١)</sup> . يلزم عن هذا أن توجد في الجوهر البسيط كثرة من الخصائص والعلاقات ، على الرغم من أنه لا يتكون من أجزاء .

١٤ - والحالة المعاشرة التي تضم كثرة في الوحدة أو في الجوهر البسيط وتتمثلها ليست إلا ما يسمى بالإدراك . ويجب التفرقة بينه وبين الوعي أو الشعور <sup>(٢)</sup> ، كما سيوضح مما يرد فيما بعد . وقد أخطأ الدبكاريون في هذه

---

(١) هذه إشارة واضحة إلى قانون الاستمرار أو الاتصال . فكل شيء يتغير باستمرار ، وفي كل جزء من هذا التغير يوجد عنصر دائم وعنصر متغير . أي أن كل شيء ، في كل لحظة ، يكون ولا يكون ، وكل شيء يصبح شيئاً لا يجعله مع ذلك « شيئاً آخر » .

(٢) يقول ليپيتز في رسالته إلى دي بوس Des Bosses ( ١٧٠٦ ) : « لما لم يكن الإدراك سوى التعبير عن أشياء كثيرة في شيء واحد ، فلا بد بالضرورة أن تكون جميع الانتليخات أو المونادات موهبة بالإدراك » . كما يقول كذلك في رسالة إلى أرنو Arnould ( ١٦٨٧ ) : « إن اتصال المادة وانقسامها هو الذي يجعل لائق حركة أثرها على الأجسام المجاورة ، وبالتالي على جسم بعد الآخر إلى ما لا نهاية ، بدرجة تقل شيئاً فشيئاً ، ولهذا فلا بد أن يتأثر جسمينا بالتغييرات التي تلحق جميع الأجسام الأخرى . ولكن جميع حركات جسمينا تقابلها إدراكات لنفسنا على حظ كبير أو قليل من الاختلاط ، وتبعاً لهذا فسوف تكون لدى نفوسنا أيضاً فكرة ما عن جميع الحركات التي تم في العالم ، وفي رأيي أن كل نفس أخرى أو جوهر آخر سيكون لديه شيء من الإدراك لها أو التعبير عنها .

المسألة خطأً كبيراً ، إذ أهملوا الإدراكات التي لا يشعر بها الإنسان إما لا تماماً<sup>(١)</sup> . وهذا هو الذي أدى بهم أيضاً إلى الاعتقاد بأن العقول وحدها مونادات وأنه لا وجود لنفس الحيوانات ولا غيرها من الانقلابيات<sup>(٢)</sup> وهو الذي جعلهم يخلطون بين الأغاء الطويل وبين الموت بمعناه الدقيق ، متفقين في ذلك مع الرأى الشائع لدى العامة ، كما جعلهم كذلك يقعن

---

(١) من المعروف أن ديكارت يرى أن الحيوانات والنباتات ليست إلا آلات حية أو تكوينات ميكانيكية خالصة ، أو أجزاء من الامتداد بعيدة كل البعد عن الفكر والشعور . فارن المقال في المنهج ، الجزء الخامس ، والتأملات ٢ و ٦ ، ومبادئ الفلسفة ١ و ٤٨ .

(٢) Entelechie الكلمة يونانية مركبة من εν (في) و τελος (هدف) — غاية (و فعل الملاكية echein أي يملك غايته أو هدفه في ذاته وقد كان ارسطو أول من أرسى هذا المصطلح وأعطاه الصورة الحيوية والغائية التي لا تزال مرتبطة به . والانتليميختيا عند أرسطو هي بوجه عام الصورة أو الشكل الذي يتحقق في المادة ، وهي بوجه خاص تلك القوة أو الطاقة السكانية في الكائن العضوي الحي والتي تدفعه من الداخل إلى التحقق والكمال . ومن ثم يصف أرسطو النفس بأنها كمال أول (النتليميختيا) لجسم عضوي قادر على الحياة (كتاب النفس ، ٢ و ١ و ٤١٢) ويظهر هذا التصور الأرسطي في كل تفكير غائي ، سواء عند توماس الأكويني أو ليبنتز (المونادولوجيا — والمقالات الجديدة ٣ و ٢١) أو جوته الذي تأثر بذهب ليبنتز في الموناد وبرر به خلود الروح (راجع أحاديثه مع إكرمان في الشافي من شهر مارس سنة ١٨٧٨ واليوم الأول من شهر سبتمبر ١٨٢٩ والثالث من مارس سنة ١٨٣٠) وأخيراً تظهر نفس الفكرة وتفس المصطلح عند أحد فلاسفة الحياة وهو هائز دريش (١٨٤١ - ١٩٤١) الذي يصفها بأنها الطاقة التي تجعل من الكائن العضوي الحي كلاماً أكبر من أجزائه — انظر كتابيه الترجمة الحيوية وفاسفة الكائن العضوي .

ف الدّوّى الّى ادعّاهَا المدرسون على غير أساس من وجود نفوس مجردة كل التجبر من الأجسام . بل أنّهم بذلك قد أيدوا رأي أصحاب العقول **الضالة فيما زعموه عن قناء النفوس** <sup>(١)</sup> .

## ١٥ - وال فعل الذي يصدر عن المبدأ الباطن ويسبب التغيير أو الانتقال

(١) يرى ديكارت أن خلود النفس يعتمد اعتمادا مطلقا على إرادة الله ( راجع موجز التأملات ، والترجمة العربية لأستاذنا الدكتور عثمان أمين ، ص ٣٩ - ٤٣ ، القاهرة ، ١٩٥٦ ) ، وكذلك رد ديكارت على الاعتراضات الثانية ، ٧ ) ويلتفت ليقترب رأي ديكارت على هذا التحول . إن خلود النفس ، كما فرضه ديكارت لا فائدة منه ولا يمكنه أن يمنحك أي نوع من العزة لأننا إذا سلمنا بأن النفس جوهر وأن الجواهر لا تفنى ، فإن النفس لن تصيب عندئذ ، إذ لا يصح شيء في الطبيعة ، ولكن النفس مثلما مثل المادة ، تتغير من ناحية المظاهر ، وكما أن المادة التي جعل منها الإنسان كانت في أوقات أخرى تتشعب للنباتات والحيوانات فإن النفس قد تكون خالدة بنفس الطريقة ، إلا أنهاستمر بتغيرات لا حصر لها وإن تذكر أحوالها السابقة . ولكن هذا الخلود العاطل من التذكر لا جدوى منه على الأطلاق من الناحية الأخلاقية لأنّه لا ينسق مع التواب والعقاب . فـ الفائدة يا سيدي من أن تصبح ملكا للصين ، بشرط أن نفسك ما كنته ؟ لأن يتساوى هذا مع القول بأن الله في اللحظة التي أفتاك فيها كان على وشك أن يخلق ملكا في الصين ؟ ! » ومع ذلك فيمكن أن تنصف ديكارت ونرد على إسانه بهذه العبارات التي جاءت في موجز التأملات . مهما تغير جميع أعراضها ( أي النفس أو الذهن الإنساني لا يفرق ديكارت بينهما ) ، ومهما تسكن هنالا تتصور أشياء وقريرد وتحس أشياء أخرى ، فإنها هي نفسها لن تتغير مع هذه التغيرات ( أو ان تصير شيئا آخر ) ، في حين أن الجسم الإنساني يصير شيئا آخر متى تغير شكل أي جزء فيه . ويلزم عن ذلك أن فناء الجسم الإنساني أمر عذر ميسور ، أما ذهن الإنسان أو نفسه فباقيه بطبيعتها ( راجع أيضا الفقرة الرابعة من المبادئ ) .

من إدراك إلى آخر يمكن أن يسمى بالنزوع <sup>(١)</sup> . صحيح أن النزوع لا يمكنه على الدوام أن يبلغ الإدراك الذي يتوقف إياو غه على نحو تام ، ولكننه يحصل دائما على شيء منه ويبلغ بذلك إدراكات جديدة .

١٦ - وفحن نجرب بأنفسنا الكثرة في الجوهر البسيط عندما نجد أن أقل فكرة ذكرها تنطوى على تنوع في الموضوع (التصور) <sup>(٢)</sup> . وعلى

(١) *Appetition* وراجع المبادئ ، فقرة (٢) .

(٢) كان بيير بايل Pierre Bayle (١٦٤٧ - ١٧٠٦) الذي ظل ليشتغل براسله منذ سنة ١٦٨٧ ، وقد نقد كتاب «المذهب الجديد» نقداً شديداً ، وقسا على فكرة الاتساق المقدر بوجه خاص ، وذلك في قاموسه التاريخي النطوي *Dictionnaire historique et critique* الذي ظهر سنة ١٦٩٧ . وقد رد ليشتغل على هذا النقد في شهر يولية سنة ١٦٩٨ في مجلة تاريخ أعمال العلماء *Histoire des ouvrages* وجعل رده تحت هذا العنوان : « توضيح الصعوبات التي واجهها السيد بايل في المذهب الجديد خاصة باتحاد النفس والجسم » ، ولكن بايل لم يلبث أن كرر نقاده في الطبعة الثانية من قاموسه التي ظهرت سنة ١٧٠٢ . وعاد ليشتغل فرد عليها بمحوار على تأملات السيد بايل حول مذهب الاتساق المذكور ، وقد كتب هذا الرد سنة ١٧٠٣ ولكننه لم ينشر إلا سنة ١٧١٢ في « التاريخ النقدي الجمهورية للأدب » — ( وهي مجلة شهرية لنقد الكتب أسسها بايل سنة ١٦٨٤ ) — قارن أيضاً مقدمة التيوديسية التي توشك في معظمها أن تكون ردوداً على انتراضات بايل وأجوائه على حجاجه وشكوكه حول إمكان التوفيق بين الإيمان والعقل . ويفيدوا أن ليشتغل كان يعتقد بإيمان بايل ، كما كان يذكره على الدوام باحترام شديد . يدل على هذا قوله عنه ( التيوديسية ، ١٧٤ ) إنه إنسان لا يفضل أحد ، وتعيه له بهذه العبارات الصادقة . « ينبغي أن نؤمن بأن بايل يستحضر الآن بذلك القور الذي حرمت الأرض منه ، اذ كان دائماً رجلاً خيراً طيب السريرة » .

هذا ينبغي على كل من يهترف بأن النفس جوهر بسيط أن يسلم بوجود هذه الكثرة في المونادة ، وما كان للسيد بايل أن يجد في هذا أية صعوبة ، كما فعل في قاموسه تحت مادة « روراريوس »<sup>(١)</sup> .

١٧ — ولا بد أيضاً من الاعتراف بأن الأدراك وما يقوف عليه لا يمكن تفسيره بأسباب ( أو علل )الية ، أي عن طريق الأشكال والحركات . ولو تصورنا وجود آلة صنعت بحيث يمكنها أن تذكر ، وتحس ، وتدرك ، فإن في الامكان تصورها مكيرة بنفس النسب بحيث يكون في وسع الإنسان أن يدخل فيها كما يدخل في طاحونة<sup>(٢)</sup> . لو افترضنا هذا لما وجدنا فيها

---

(١) أحدي مواد قاموس بايل « نسبة إلى جيروم روراريوس ١٤٨٥ — ١٥٦٦ ) وهو ليطالي ، كان رسوك بايويا في بلاط فرديناند ملك هنغاريا . وقد بلغ من إيمانه بالامبراطور شارل الخامس أنه سمع أحد العلماء يقول من شأنه بالقياس إلى أول تو وفرديك بار باروسا فدفعه ذلك إلى كتابة رسالة يقول فيها أن البشر أقل عقلاً من أدني الحيونات ؟ ولم تنشر هذه الرسالة إلا بعد كتابتها بمائة سنة ، عندما احتمم النقاش حول رأي ديكارت عن نفوس الحيوانات . ويتخاذ بايل من اسم روراريوس مناسبة لمناقشة هذه المسألة ، وتوجيهه نقده الشديد إلى ليبيشنز من وجهاً نظر ديكارتية . والملاحظ بوجه عام أن بايل يوجه نقاده أساساً إلى فكرة الاتساق المقدر .

(٢) أي أن معرفتنا لن تتجاوز العلم بالأشكال والحركات ، حتى ولو كنا نملك أحجمة مكيرة ( ميكروسكوبات ) من القوة بحيث تكشف لنا بوضوح عن دقائق الخلية العصبية والأنسجة العصبية في المخ . ومعنى هذا أن الكائن الحي لو كان مجرد آلة ، أي مادة خالصة ، لا تختلف إلا من حيث المكان والشكل والحجم ، لما مسكن أن تستنتج منه أو نفسها به غير الآلة ، أي هذه الاختلافات التي ذكرناها ( راجع رسالة ليبيشنز في التعليق على نفوس الحيوانات التي كتبها

عند مشاهدتها من الداخل غير أجزاء تتصادم مع بعضها البعض ، وإن نجد فيها شيئاً يمكن أن يفسر لنا إدراكاً واحداً . وعلى هذا ينبع البحث عن هذا الإدراك في الجوهر البسيط لافي المركب ولا في الآلة<sup>(١)</sup> . كذلك إن نجد في الجوهر البسيط غير الإدراكات وما ينجم عنها من تغيرات . ومن هذه وحدها يمكن أن تكون كل الأفعال الباطنة ( الداخلية ) للجوهر البسيطة<sup>(٢)</sup> .

١٨ - يمكن تسمية جميع الجواهر البسيطة ، أو المونادات المخلوقة ، بالانتلبيخيات ، لأنها تحتوى في ذاتها على كمال معين<sup>(٣)</sup> لأنها تنطوى على نوع من الـ اكتفاء الذاتي<sup>(٤)</sup> يجعلها مصدرأفعالها الداخلية كما يجعل منها ،

---

(١) المقصود بالآلية أو الميكانيكية هو وجود أجزاء مع أجزاء . وهذا هو الذي يميز جميع المركبات ، لا الجوهر البسيطة ، ومن ثم فلا يمكننا أبداً القول بأن المادة تفكّر ، لأن المادة تفترض وجود مبدأ مفكّر أو على الأقل مبدأ مدرك .

(٢) راجع المقال في الميتافيزيقا ١٢ ، ورسالة ليبيتز إلى أرنو في ١٦٨٧/٤/٣٠ .

(٣) باليونانية في النص الأصلي ( أخوذى تواتيليس ) أي ذات هدف أو غاية أو كمال .

(٤) في الأصل باليونانية ( أو تاركيا ) - راجع الهاشم الملحق بالفقرة ١٤ من المونادولوجيا ( ويلاحظ ، للتفرقة بين مفهوم ليبيتز للانتلبيخيا ومفهوم أرسطو لها ، أنها عند الأول جوهر فردى أو طاقة أو قوة تحتوى في ذاتها على مبدأ التغيرات التي تلحق بها وهو يسمى انتلبيخيا ، لا لأنها حالة من الكمال المتحقق ، بل لأنها تنطوى - بالقوة على حد تعبير أرسطو - على بذور كلالات لأنها لها تنسج إلى تنسجها وتعهدتها بالرعاية . فهى إذا ليست بحالة نهاية للشيء ==

أن جاز هذا التعبير ، آلات غير جسمية<sup>(١)</sup> . (قارن القيد ديسينه ، ٨٧ )

١٩ — إذا أردنا أن نطلق كلمة النفس على كل ما لديه إدراكات

وزروع بالمعنى العام الذي شرحه آنفا ، فمن الممكن عندئذ تسمية جميع  
الجواهر البسيطة أو المونادات الخلوقية نفسها . ولكن لما كان الأحساس  
شيئاً يزيد على الإدراك البسيط ، فقد يكفي أن نطلق على الجواهر البسيطة  
التي لا تحتوي على شيء آخر سواه اسم « المونادات » أو « الأنة بلية ذات »  
بوجه عام ، أما تسمية « النفس » فيصبح أن تصرها على المونادات التي  
يكون الإدراك فيها أكثراً تميزاً كما يكون مصحوباً بالذكر<sup>(٢)</sup> .

٢٠ — ذلك أنها تجرب في أنفسنا حالة لانقذ كر معها أي شيء ولا يكون

المدينا في أنها لها أي إدراك متميز ، مثلما يحدث لنا في حالة الاغماء أو  
الاسفاراق في نوم عميق بلا أحلام . في هذه الحالة لا تختلف النفس اختلافاً

---

== بل تتضمن اتجاهه او ميله او استعداده ، وهو شيء وسط بين الا مكان المحيض  
وال فعل السكامل الباتام عند المدرسين .

(١) أي أنها ليست مجرد آلات ، كذلك التي يصنعها الناس ، بل آلات تتحرك  
حركة ذاتية أو تحتوى على مبدأ كل أحوالها وسبب كل ما يصيبها من تغير ، بحيث  
تسكون مستقلة بنفسها عن كل ماعداها كأنما لا يوجد في العالم كله سواها هي  
والله . بهذا المعنى تكون المونادات وحدتها آلات ذاتية الحركة Automata  
أما الآلات الجسمية فلا يمكن أن توصف بهذا الاستقلال والاكتفاء الذاتي .

(٢) أي أن الذاكرة أو التذكرة هي العلامة الدالة على الوعي أو الشعور  
تمييزاً له عن الإدراك غير الوعي أو الإدراك الغامض المختلط . ومن الطريف  
أن ليبرتير قد استبق هذه الفكرة في سن مبكرة ، إذ كتب في « نظرية الحركة  
Tneuria motus Abstracti (١٦٧١) أن الجسم ذهن لحظى (أى مقيداً باللحظة  
الراهنة) أي ذهن بلا ذاكرة .

محوسا عن الموئدة البسيطة<sup>(١)</sup>. ولكن لما كانت هذه الحالة لاتدوم ولا تثبت النفس أن تخرج منها فانها (أى النفس) شيء يزيد عن ذلك (أى عن مجرد كونها موئدة) - « راجع القيوبيسيه ، ٦٤ » .

٢١ - ولا يهرب على هذا أن الجوهر البسيط يخلو عن دلائل من كل إدراك . أن ذلك تبعاً للأسباب السابقة أمر غير ممكن ، لأنه لا يمكن أن يفسد ، ولا يمكنه أيضاً أن يبقى بغير تأثير من نوع ما ، وليس هذا التأثير سوى إدراكه . أما إذا توافر وجود عدد كبير من الإدراكات الصغيرة التي لا يميز شيئاً منها تمييزاً واضحاً ، فإن الإنسان يشعر (في هذه الحالة) بالدور ، كما يحدث له لو دار حول نفسه عدة مرات في إتجاه واحد ، فيصاب بإغماء قد يفقده الوعي ويجهله عاجزاً عن التمييز<sup>(٢)</sup> . والموت يمكن أن يضم الحيوانات في مثل هذه الحالة فترة من الزمن<sup>(٣)</sup> .

٢٢ - ولما كانت الحالة الحاضرة للجوهر البسيط هي النتيجة الطبيعية لحاته السابقة ، ب بحيث أن الحاضر يحمل المستقبل في رحمه<sup>(٤)</sup> . (قادت القيوبيسيه ، ٢٦٠ ) .

٢٣ - ولما كان الإنسان يفطن إلى<sup>(٥)</sup> إدراكه ب مجرد أن يتحقق من الأغماء

(١) أو الموئدة العارية أو الحالصة « لاتا » .

(٢) يريد ليبيتشز أننا نظر في أمثل هذه الحالات على علاقة من نوع ما بالعالم الخارجي ، وإن يكن الوعي أو الشعور قد تضامل إلى الحد الذي يتعدى إدراكه .

(٣) راجع الفقرة « ١٤ » من الموئدةولوجيا .

(٤) راجع أيضا الفقرتين « ٧٩ و ٧٨ » .

(٥) أو ينتبه إليه ويشعر به .

فلا بد أن مثل هذا الادراك قد وجد لديه قهل ذلك مباشرة ، وإن لم يكن عندئذ على وعي به . لأن الادراك لا يمكن أن ينشأ نشأة طبيعية إلا عن إدراك آخر ، شأنه في هذا شأن الحركة التي لا يمكن أن تنشأ نشأة طبيعية إلا عن حركة<sup>(١)</sup> ، (قارن التيوديسية ، ٤٠١ - ٤٠٣) .

٢٤ — نظير من هذا أننا سنكون دائماً في حالة الاغماء إذا خلت إدراكاً كائناً من التمييز<sup>(٢)</sup> والقطalam إلى مرتبة أسمى . الواقع أن هذه هي حالة الموナادات المعنوية في البساطة .

٢٥ — كذلك نرى أن الطبيعة قد أعطت الحيوانات إدراكات مميزة عندما نظير أنها قد كفلت لها أعضاء تجمع عدداً كبيراً من الأشعة أو الذبذبات الهوائية ، لكي تجعلها بهذا التوحيد أكثر فاعلية . وشعبه بهذه ما يحدث عند الشم والذوق واللمس ، وإله أنه يكون شبيهاً بما يحدث مع عدد آخر من الاحساسات التي نجهلها . وسوف أفسر بعد قليل<sup>(٣)</sup> كيف تصور الأحداث التي تجري في النفس ما يقim في الأعضاء .

٢٦ — أن الذاكرة تهدى النفوس بنوع من الاستنتاج<sup>(٤)</sup> الذي يحاكي العقل

---

(١) لا بد أن يكون لكل إدراك سبب . وهذا السبب لا يمكن إلا أن يكون إدراك آخر ، وذلك وفقاً لمبدأ السبب الكافي (انظر الفقرة ١٧) وإذا لم يأت الادراك السابق قبل الادراك اللاحق مباشرة ، فلا بد أن يكون ثمة انقطاع في وجود النفس الذي يتميز بالاتصال .

(٢) التمييز في الحالين بمعنى الامتياز والتفوق وعلو المنزلة .

(٣) انظر الفقرتين ٦١ و ٦٢ من المرادولجيا .

(٤) الكلمة الأصلية هي Consecution أي التتابع أو التعاقب ، والمراد =

وان وجہ تیورہ عنہ . فنحن نری الحیوانات إذا ادرکت شيئاً ذا أثر بالغ  
عایہا وكانت قد ادرکته قبل ذلك ادراکاً مشابهاً - فراها بفضل الذاکرة  
تقوم ما ارتبط من قبل بهذا الإدراك وتحس بمشاعر شبيهة بتلك التي  
أحس بها . فإذا لوحنا مثلاً بالعصما للكلاب تذكرت الألم الذي سببته لها  
وأخذت تنبخ ولاذت بالفرار . (قارن القیودیسیه ، المقدمة ، ٦٥) .

٢٧ - والتصور الحسی القوى الذي يشيرها ويحرکها اما ان يأنى من  
حجم الادراکات السابقة او من عددها . لأن الانطباع القوى غالباً ما  
يؤدي دفعه واحدة إلى نفس الأمر الذي تؤدي إليه عادة طويلة<sup>(١)</sup> او  
ادراکات كثيرة متكررة ومتقوسطة القوة<sup>(٢)</sup> .

٢٨ - ويسالك الناس سلوك الحیوانات حين لا تتم الاستئنافات من  
ادراکاتهم إلا عن طريق مبدأ الذاکرة ؟ وهم في هذا يشبهون الأطباء  
التجريبيين<sup>(٣)</sup> الذين يملكون القدرة على الممارسة العملية الوسيطة ويفتقرون

بها هو الاستئناف الذي يصل إليه الحیوان بناء على سلسلة سابقة من المدرکات  
والحوادث بحيث إذا عرض له واحد منها استدل منه على حادث آخر ارتبط به  
من قبل . ويظهر أن ليشتز يشير إلى ما يعرف اليوم بتداعی المعانی ، الذي عقد  
له فصلاً من كتابه « المقالات الجديدة » (الذي خصصه للرد على كتاب لوك مقال  
عن العقل الإنساني ) . ومن يدرى ؟ لعله بهذه المامحة العبرية أن يكون قد استبق  
ما يقوله بافلوف وأتباعه عن التشریط أو الفعل المنعكس الشرطي .

(١) هكذا في الأصل ، والمراد بالطبع هو العادة الراسخة التي تسكن من الإنسان  
على المدى الطويل .

(٢) أو إدراکات عادية .

(٣) كلمة الطبيب الممارس من الكلمات المألوفة اليوم في حياتنا « ولسته =

إلى النظرية . ونحن في ثلاثة أرباع تصر فاننا لا نزيد عن كوننا تجربيين . فإذا توقعنا مثلاً أن يطام النهار في صباح الغد ، كننا في مسلكنا هذا تجربيين ، لأن هذا هو الذي حدث حتى الآن . أما عالم الفلك فهو وحده الذي يحكم العقل في هذا الأمر <sup>(١)</sup> .

٢٩ - بيد أن المعرفة بالحقائق الضرورية والأبدية هي التي تميزنا عن الحيوانات الخالصة ، وبها نحصل على العقل وننزوء بالعلوم ، وذلك حين ترفعنا إلى المعرفة بأنفسنا وبالله <sup>(٢)</sup> . وهذا هو ما يسمى فيها بالنفس العاقلة

---

— يختلف اختلافاً تماماً مما يقصده ليپتنس بالأطباء التجربيين . فقد كان من المعروف حتى عهد جاليوس ( حوالي ١٥٠ بعد الميلاد ) أن هناك طبقات أو طوائف عديدة من الأطباء . وكانت إحداها هي طائفة الأطباء التجربيين الذين يعتمدون في تشخيصهم للمرض على الخبرة وملاحظة الأسباب « المرئية » والملوسة التي أدت للإصابة . ثم سارت سمعة هذه الطائفة في العصور التالية ، فأطلقت على الأطباء الذين يعتمدون على الخبرة الشخصية والتقاليد الموروثة ويختفرون الدراسة النظرية أو يجهلونها ، وهم أشبه « بحالقى الصحة » ، الذين بدأوا ينقرضون حتى من الأرياف !

(١) أو يقيم حكمه على أسباب عقلية . راجع أيضاً مقدمة المقالات الجديدة .

(٢) الحقائق الضرورية والأبدية هي المبادئ الأولى للمعرفة العقلية ، وهي مفطورة فينا ، بل تقوم عليها طبيعتنا الإنسانية ، كما تقوم عليها طبيعة العالم الذي تتمثله بحكم ما هيتنا . وهذا كانت المعرفة بهذه الحقائق مرادفة للمعرفة بأنفسنا ، وبالله الذي هو العلة الغائية الأخيرة لمجيئ السكانات . راجع المقالات الجديدة ، الفصلين الأول والرابع اللذين يشير فيهما إلى أن هذه الحقائق فطرية فينا ويستشهد

أو العقل<sup>(١)</sup>.

٣٠ - ومن طريق المعرفة بالحقائق الضرورية ومن خلال تجربتها نرتفع كذلك إلى الأفعال المنعكسة<sup>(٢)</sup> [التأملية]<sup>(٣)</sup> التي توصلنا إلى فكرة الأنما<sup>(٤)</sup> وتجعلنا نعتبر أن هذا أو ذاك موجود فيها . فنحن إذ نفكّر على هذا النحو في أنفسنا ، نوجه أفكارنا في نفس الوقت إلى الوجود والجوهر ، والبسيط والمركب ، واللامادي والله نفسه ، حيث نتصور أن ما هو محدود فيما يوجد فيه بغير حدود . هذه الأفعال المنعكسة<sup>(٥)</sup> [أو التأملية]<sup>(٦)</sup> هي الم الموضوعات الأساسية لمعرفتنا العقلية [قارن التيوديسية ، الأفتشافية ٤ ]<sup>(٧)</sup> .

---

== بحثاً عن دينو ، المعرفة لأفلاطون حيث يثبت سقراط أن المعرفة تذكر ويستخرج بأسئلته وحدها المعرفة الرياضية من نفس العبد الصغير « دينو » . راجع كذلك مبادئ الطبيعة والفضل الإلهي ، الفقرة الخامسة .

(١) الكلمة الأصلية هي *esprit* وقد ترجمها المترجم الألماني بالروح *Geist* [التي تعني جماع القوى العقلية] والإنجليزى بالعقل أو الذهن *Mind* ، ورأيت أن العقل هنا أقرب إلى السياق .

(٢) أو الأفعال التأملية التي تعكس فيها على أنفسنا وتأمل ما يجري فيها من أحوال .

(٣) حرفيًا : تجعلنا نفكّر فيما يسمى « بالأنما » .

(٤) راجع أيضًا رسالة ليهتنز التي وجهها لارنو في ١٦٨٦/١٣/٨ — واللاحظ من هذه الفقرة أن الشعور أو الوعي يصبح شعوراً أو وعيًا بالذات عندما تتحقق من طبيعة الحقائق الابدية الحالة ، أي عندما نعرف أنها هي المبادئ الفطرية التي يقوم عليها وجودنا ووجود العالم كله . ودائماً ما يكون الجوهر نوعاً من النفس أو الروح ، لأنه لا بد أن يكون مانعاً لما نجده في أنفسنا ==

٣١ - تقوم معرفتنا المقلية على مبدأين : كثيرون مبدأ عدم التناقض ، وبفضله نحكم على كل ما ينطوى على تناقض ، وبالصدق على ما يضاد الكذب أو ينافقه . (قارن القيدية ٤٤ و ١٦٩) .

٣٢ - كما تقوم على مبدأ السبب الكاف ، وبه نسلم بأنه لا يمكن الثبات من صدق واقعة أو وجودها ولا الثبات من صحة عبارة بغير أن يكون ثمة سبب كاف يجعلها على هذا النحو دون غيره <sup>(١)</sup> وإن تمذر علينا في أغلب الأحوال أن نتوصل إلى معرفة هذه الأسباب . (قارن القيدية ٤٤ و ١٩٦) .

---

يقول ليپنتر في المقالات الجديدة [ ١ و ٢١ ] « إن المعرفة بطبيعة الأشياء لا تكون في أغلب الأحوال إلا معرفة بطبيعة عقلنا وبذلك الأفكار الفطرية التي لا حاجة بنا للبحث عنها خارجها ». كما يقول أيضاً في نفس الكتاب ( ٢٣ ) « إن الأفكار العقلية أو أفكار التأمل مستمدّة من عقلنا ، وأنه ليس وقني جداً أن أعرف كيف كان يتمنى لنا أن نحصل على فكرة الوجود لو لم نكن نحن موجودات وبذلك نلمس الوجود في أنفسنا » .

(١) كان ليپنتر في كتاباته المبكرة يسمى هذا المبدأ باسم مبدأ التحديد أو التعيين ، ويقصد به المبدأ الذي يحدد وجود هذا الشيء أو ذلك من بين عدد من الاحتمالات أو الامكانيات التي تنطوى على تناقض وهو يستخدم أحياناً « مبدأ التلاؤم » أو التجانس كرادف لمبدأ السبب الكاف . ومعنى هذا أنه يشير ضمناً إلى أن « السبب الكاف لشيء ما يوجد دائماً في علاقاته بغيره من الأشياء وفي مكانه من النظام العام ». ومن الواضح أن مبدأ السبب الكاف شيئاً عنه بحسب السبب الغائي أو العملة الغائية . ولعله أن يكون قد تأثر بالرياضيات في استخدام الكلمة « الكاف » .

٣٣ - هناك نوعان من الحقائق : حقائق العقل وحقائق الواقع . حقائق العقل ضرورية ، وعكسها مسقحة ، وحقائق الواقع عرضية ، وعكسها يمكن . فإذا كانت إحدى الحقائق ضرورية ، ممكن عن طريق التحليل أن يجد سببها ، وذلك بتحليلها إلى أفكار وحقائق أبسط ، إلى أن نصل إلى الحقائق الأصلية (قارن التموديسية ١٧٤ و ١٨٩ و ٢٨٠ و ٣٦٧ و ٢٨٢ - ١٧٠) . وكذلك موجز الاعتراضات ، الاعتراض الثالث (١) .

٣٤ - بهذه الطريقة يرد الرياضيون المبادئ النظرية والقواعد العملية بواسطة التحليل إلى تعاريفات و المسلمات ومصادرات .

٣٥ - بهذا نصل آخر الأمر إلى أفكار بسيطة لا يمكن تعريفها (٢) ، كما نصل إلى مسلمات ومصادرات أو باختصار إلى مبادئ أولية لا يمكن البرهنة عليها ولا تتحقق أحدها إلى برهان . وهذه هي القضايا الذاكية التي ينطوي عكسها على تناقض صريح .

٣٦ - ولكن يجب أيضاً أن يوجد السبب الكافي في الحقائق العرضية (٣) أو حقائق الواقع ، أي في تسلسل وسياق الحالات (٤) حيث يمكن أن

(١) راجع أيضاً المقال في الميافيزيقا ، ١٣ .

(٢) تهريف الفكرة عند ليبرتزر هو بيان عناصرها التي يكشف عنها التحليل الكامل . راجع ، التأملات عن المعرفة والحقيقة والأفكار ، (١١٨٤) .

(٣) أي الحقائق الحادثة أو الحالات .

(٤) يوجد السبب الكافي للحقائق العقلية في الحقائق البدائية أو الحقائق الذاتية التي يمكن أن ترد إليها بالتحليل . أما حقائق الواقع فيوجد سببها الكافي في الله وحده .

ينصى التحليل إلى أسباب تفصيلية لاحد لها ، نظراً لتنوع المهايل في الأشياء الطبيعية وقسوة الأجسام إلى ملا نهائية . أن هناك عدداً لا نهاية له من الأشكال والحركات الحاضرة والماضية ، التي تدخل في تكوين العلة الفاعلة <sup>(١)</sup> أكثريه الآن <sup>(٢)</sup> ، كما أن هناك عدداً لا نهاية له من الدوافع والاستعدادات الصغيرة التي خبرتها نفسى في الماضي أو في الحاضرة ودخلت في تكوين علة الغائية <sup>(٣)</sup> . ، (قارن القيوديسية ٢٦ و ٣٧ و ٤٥٤ و ٤٩٦ و ٥٢١ و ١٢١ و ٣٣٧ و ٣٤٠ و ٣٤٤) .

٣٧ - ولما كانت كل هذه التفصيلات تتحوى من جانبها على أمور عرضية (حادثة) أخرى أسبق منها وأشد تفصيلاً ، كانت هذه تحتاج بدورها إلى تحليل مشابه لتقريرها ، فانما بهذه الطريقة ان نحرز تقدماً . لهذا يتحقق أن يوجد السبب السكاف أو السبب الأخير خارج سلسلة أو مجموع سلاسل الأشياء العرضية (الحادثة) كل على حدة ، مما بلغت هذه السلسلة حدلا لا نهاية له <sup>(٤)</sup> .

---

(١) أو لكتابي أو مكتوبى هذا . . .

(٢) تشير هذه الفقرة مشكلة العلاقة بين المبادئ المختلفة عند ليبرتر والصعوبات التي تكتنفها من جهات عديدة . فهى توضح كيف تتحدد العمل الفاعلة والغاية . لتوافق العلة السكافية أو السبب السكاف ، إذ لا يكفى أحدهما لتحقيق هذا الغرض . بيده أن ليبرتر يوضح أيضاً في مواضع أخرى أن العمل الفاعلة تعتمد على العمل الغائية . أضف إلى هذا أنه يوحد عادة بين العمل الفاعلة والعمل الآلية أو الميكانيكية التي تقوم على مبدأ عدم التناقض . راجع أيضاً الفقرة (٧٩) من المونادولوجيا .

(٣) تسير هذه الحججه في نفس الطريق الذي سار فيه أرسسطو لأنبات وجود <sup>==</sup>  
(م ١٠ — المونادولوجيا )

٣٨ - وهكذا ينبغي أن توجد العلة الأخيرة للأشياء في جوهر ضروري، يحتوى على تفاصيل التغيرات على نحو سام<sup>(١)</sup> أشبه بأن يكون مصدراً لها : وهذا الجوهر هو الذى ندعوه الله (قارن القيدية ٧) .

٣٩ - ولما كان هذا الجوهر هو العلة الكافية لـ كل هذه التفاصيل الخاصة ، المترابطة من ناحيتها أوثق ارتباطه ، فليس هناك غير الله واحد<sup>(٢)</sup> وهذا الإله كاف .

٤٠ - ويمكّننا أيضاً أن نحكم بأن هذا الجوهر الأسمى ، الذى هو فريد وكلّي وضروري - إذ ليس هناك شيء مما يقع خارجه لا يعتمد في

---

«محرك أول» ، إذا اعتمد على المبدأ القائل «بضرورة التوقف» في تسلسل الأسباب والشروط . راجع كتاب (السكسى) - (٦ ، و ٢٣٧ ب ٣) والثيتا (٥ و ٢٥٦ آ ١٣) من كتاب الطبيعة . وقارن كذلك تقد العقل الخالص لـ كانت ، باب الديكارتىك الترسند نتالى ، الكتاب الثانى ، الفصلين الثاني والثالث .

(١) على نحو سام أو رفيع *eminemment* فمقابل على نحو شكلى أو صورى *formelle* والاصطلاحان مدرسيان استخدمهما ديكارت .

(٢) هذه هي صيغة الدليل الكوفى أو الكونزولوجى عند ليپتنز ، فجميع الأشياء الجزئية مرتبطة ببعضها البعض داخل نظام واحد يتضمن مبدأ واحداً ، وجوهراً واحداً ضرورياً ، وإلها واحداً ولا يسير الدليل من النظام الموجود في العالم إلى العقل المدبر له ، بل يستمد قوته من أن الكل يكون نظاماً واحداً يدل على وجود سبب كاف آخر لهذا السكل . ولو لم يكن الأمر كذلك لـ كانت هناك أنظمة مختلفة تدخل في صراع مع بعضها البعض ، إذ يفترض كل منها مبدأ أو إلها خاصاً به ، وهو محال .

وجوده عليه ، كما أنه نتيجة بسيطة لإمكان وجوده <sup>(١)</sup> - يستحيل أن تكون له حدود ولا بد أن يحتوى على أقصى واقع ممكن <sup>(٢)</sup> .

٤١ - يترتب على هذا أن الله كامل كلاما مطلقا ، إذ ليس بالكم إلا عظم الواقع الإيجابي من حيث هو كذلك ، ( وهو الذي نحصل عليه ) عندما نضرب صفيحا عن حدود أو قيود الأشياء التي لديها مثل هذه الحدود والقيود . وحيث لا تكون ثمة حدود ، أعني في الله ، يكون بالكم لا مقناعها بطلاق . ( قارن التيووديسية ٢٢ ، والمقدمة ٤ ) .

٤٢ - يترتب على هذا أيضاً أن المخواقات تسقى بالها من تأثير الله ، أما وجوه النقص فيها فترجم إلى طبيعتها الخاصة التي يعجزها أن تكون بغير حدود ، لأن هذا هو أساس اخلاقها عن الله <sup>(٣)</sup> .

---

(١) حرفيًا : نتيجة بسيطة أو مجرد نتيجة للوجود الممكن - ومعظم الترجمات تقول : وهذا الجوهر سلسلة بسيطة للوجود الممكن ، ولكن السياق يقتضي الترجمة التي اخترناها حتى يستقيم الدليل الأنطولوجي .

(٢) لما كان الله هو السبب الكاف لكل شيء ، فليس هناك شيء مستقل عنه أو لا يعتمد في وجوده عليه . ولو حدثت إمكاناته على أي صورة ، فلا بد أن يأفي ذلك من إمكانية أخرى مستقلة عنه وتقع خارجه . يلزم عن هذا أن إمكاناته لا يمكن أن يحددها شيء . والإمكانية غير المحدودة تعنى الواقع والوجود غير المحدود ، إذأن ما هو ممكן لا بد أن يكون واقعيا ، إلا إذا كان هناك ممكنا آخر يحدده .

(٣) يلاحظ أن طبعة إردمان ( برلين ١٨٤٠ ) لـأعمال ليينتر تسقط عبارة تالية تصفها طبعة جرهارت ( ١٨٧٥ - ١٨٩٠ في المامش ) بينما تسقطها الطبعات الأخرى إلى بين أيدينا باستثناء طبعة « لاتا » الانجليزية وطبعة بول لمير ( سلسلة الكلاسيكيين للجميع ، العدد ١٤١ ، مكتبة آتيفه ) . ويبدو أن ليينتر =

٤٣ - من الحق أيضاً أن الله ليس هو مصدر الوجودات <sup>(١)</sup> فحسب، بل هو كذلك مصدر الماهيات، بقدر ما تكمن واقعية ، أو هو بمعنى آخر مصدر <sup>(٢)</sup> ما يحتوى عليه الامكان من واقع <sup>(٣)</sup> . ذلك أن الذهن

---

قد أضاف العبارة عند مراجعة النسخة الأولى من المونادولوجيا : « ويلاحظ هذا النص الأصل للمخاوقات في القصور الذاتي الطبيعى للجسام » .  
(التيوديسية ، ٣٠ و ٤٧ - ١٥٣ و ١٦٧ و ٣٧٧ وما بعدها) .

(١) في الأصل بصيغة الجمجمة *eistences* .

(٢) *source* ويمكن ترجمتها أيضاً بالأصل .

(٣) ليس الله هو مصدر كل وجود واقعى أو فعلى فحسب ، بل هو كذلك مصدر كل وجود ممكن ، أو كل ما ينزع للوجود . وما يحتوى عليه الامكان من واقع هو نزوعه أو ميله لأن يوجد . ويلاحظ أن « الماهيات » أو « الممكنات » مستقلة بمعنى من المعانى عن الله . إنه لا يخلقها كاهيات ، وإنما هى موضوعات ذهنه ، ولا يحدد طبيعتها إلا مبدأ عدم التناقض . ولكنها بمعنى آخر تعتمد في وجودها على الله ، إذ تعبّر بصورة أو بأخرى عن طبيعته وحرفيته . على أن حرفيته تقتصر على اختيار تلك الماهيات التي سيتحقق وجودها بالفعل ، كما أن هذا الاختيار الذي تحدده حكمته وخريته يضم طبيعة الماهيات نفسها في الاعتبار .

وهكذا يمكن القول مع النص بأنه « بغيره لن يوجد شيء » (لأن وجود الأشياء ترتب على إرادته و اختياره ) ، « وبغيره لن يمكن وجود شيء » (لأن كل ما هو يمكن إنما هو موضوع ذهنه) ولما كان الذهن الالهى كاملاً أى خالقاً من كل عيوب أو اختلاط يشوب إدراكه - فلابد أن يكون موضوعه هو الماهية الأخيرة للأشياء ، أي هو ماهية الله نفسه : ولمنا بعد ليبحثن يوحد في الفقرة التالية بين الماهيات أو الممكنات وبين الحقائق الإبدية .

الإلهى هو مقطعة الحقائق الأبدية، أو الأفكار التي يتوقف عليها وجودها<sup>(١)</sup> وبغير وجوده لن يكون في الامكانيات واقع ، وإن يكون فيها شيء موجود فبحسب ، بل إن يكون فيها كذلك شيء ممكنا . (قارن التبيوديسية ٢٠).

٤٤ - لأنه إن كان ثمة واقع في الماهيات أو الامكانيات أو حتى في الحقائق الأبدية ، فلا بد أن يقوم سبب هذا الواقع على شيء موجود وفعلي ، وبالتالي على وجود السكائن الضروري الذي تقتضي ماهيته وجوده ، والذي يكفيه أن يكون ممكنا لكي يكون واقعيا . (قارن التبيوديسية ١٨٤ و ١٨٩ و ٣٣٥).

٤٥ - وهكذا ينفرد الله (أو السكائن الضروري) بهذه الميزة ، وهي أنه يقتضي بالضرورة أن يوجد إذا كان وجوده ممكنا . ولما لم يكن هناك شيء يتحول دون إمكان (وجود) ما لا يقتضي حدودا ولا نفيانا ولا يحتوى تبعاً لذلك على أي تناقض ، فإن هذا وحده<sup>(٢)</sup> يكفى لمعرفة وجود الله معرفة قبلية . وقد أثبتناه وجوده عن طريق واقعية الحقائق الأبدية . ثم أثبتناه كذلك<sup>(٣)</sup> بطريقة بعدية من وجود السكائن الخادمة التي لا يمكن أن يقوم سببها الأخير أو سببها الكاف إلا في السكائن الضروري الذي يقتضي في ذاته سبب وجوده .

(١) يربط ليختنر هذا الجزء من مذهبيه بعالم المثل عند أفلاطون . يقول في رسالته إلى هاشيموم (٧٠٧) Epistola ad Hanschium إن من أروع ما ذهب إليه أفلاطون القول بأن في الذهن الإلهي عالماً معقولاً ، وانا أميل إلى تسميتها منظمة الأفكار .

(٢) أي إمكان وجوده .

(٣) راجع الفقرات السابقة من ٣٦ إلى ٣٩ .

٤٦ — ولكن لا يصح أن نقول لهم — كما فعل البعض — أن الحقائق الأبدية — نظراً لاعتمادها على الله — حقائق تعسفية أو موقوفة على إرادته ، كما سلم بذلك ديكارت<sup>(١)</sup> ومن بعده السيد بوارييه<sup>(٢)</sup> — إذ لا يصدق هذا إلا على الحقائق الخادعة التي تقوم على مبدأ الملاعبة أو اختراع الاصلاح ، في حين أن الحقائق الفضورية تعمد على الذهن الالهي وحده وهي موضوع الباطن . (قارن القيدوديسيه ، ١٨٤ - ١٥٠ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٨٠) .

---

(١) يقول ديكارت في رسالة له إلى الأب ميرسين Mersenne ( طبعة كورزان ، المجلد ٦ ، ص ١٠٩ ) : «أن الحقائق الميتافيزيقية التي تصفها بأنها أبدية إنما هي حقائق قررها الله وتعتمد عليه اعتماداً تاماً ، شأنها شأن جميع المخلوقات . ذلك لأنك لو قلت بأن هذه الحقائق مستقلة عن الله لكونت تتكلم عنه كما لو كان «جوبير» أو «زحل» ولا خصوصيته لاستكس ( نهر في الجحيم أو العالم السفلي في أساطير الاغريق ) أو ربات القدر ... إن الله قد وضع هذه القوانين في الطبيعة كما يضع أحد الملائكة قوانين مملكته » . كما يقول في موضع آخر من نفس الرسالة (ص ١٠٣) : «لأنه لا يستطيع أن نزعم ، بغير أن نقع في خطأ التجذيف ، أن حقيقة أي شيء تسبق علم الله به ، لأن إرادة الله وعلمه شيء واحد » — ومن المعروف أن ديكارت قد جهل صدق الحقائق الرياضية أمراً متوقفاً على إرادة الله وحرفيته ، فقد كان الله حرافياً في أن يجعل قضية كهذه : «زوايا المثلث الثلاث تساوى قائمتين » قضية كاذبة .

(٢) بيير بوارييه Pierre Poiret ( ١٦٤٦ - ١٧١٩ ) وزير وفيلسوف ومتصوف فرنسي ، ولد بمدينة هيتس ومات في رينسبورج بالقرب من مدينة ليدن . عمل في دوقة « تسفاي بروكن » في منطقة الراين ، وكانت إحدى المقاطعات الالمانية التابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة . كان في بداية حياته من أنصار ديكارت ثم ابتعد عن مذهبة المقلّفين كل البعد ومال إلى التصوف =

٤٧ — هكذا يكون الله وحده هو الوجدة المبدئية أو الجوهر الأصلي البسيط؛ وكل المونادات المخلوقة أو المشقة من إبداعه<sup>(١)</sup>، وتنشأ إن جاز هذا القول ، من لحظه الأخرى بفضل ومضات الهيبة<sup>(٢)</sup> ، محدودة بالقدرة على الفلقى (أو الاصناف) من جانب المخلوق الذى هو محدود بحسب ماهيته .  
(قارن التيووديسيد ٣٨٢ - ٣٩١ و ٣٩٨ و ٣٩٥ ) .

---

== وتعمق فيه متأنرا بالتصوف الألماني يعقوب بومه (١٥٧٥ - ١٦٢٤) ، والتصوفه المولندية أنطوانيث بورينيون الذى كتب سيرة حياتها ونشر آرائهم . وقد صدر كتابه الأساسى الذى وضعه باللاتينية سنة ١١٧٧ وعنوانه « تأملات عقلية عن الله والنفس والبشر » ( وقد هاجمه بايل هجوما شديدا .. ) .

(١) حرفيًا : هي متجهاه أو من إنتاجه Productiens وقد فضلت عليها هذا التصرف البسيط .

(٢) ومضات أو فيوضات مفاجئة ، على نحو ما يقول ليبيتر في موضع آخر ( ذكره روبرت لاتا ، ص ٢٤٣ ، هامش ٧٥ عن طبعة جرهارت ، مجلد ٤ ، ص ٥٥٣ ) « إن الله هو المركز الأصلى الذى تفيض عنه ( أو تصدر عنه ) سائر الموجودات » . الواقع أن علاقة الله بالمونادات تمثل نقطة أساسية في مذهب ليبيتر ، فهو يحاول دائمًا أن يحافظ على تفرد المونادات ووحدتها مع تأكيد إتحادها بالله . ولهذا يبدو أنه يستخدم كلمة الوضمة كمهد وسط بين الخلق والفيض ، إذ قد يعني الخلق نوعا من الانفصال الشامل بين الله وسائر الموجودات ، كما يعني الفيض نوعا من الوحدة الشاملة بينما — ولهذا فإن استخدام الكلمة الوضمة يعني أن المونادة إمكانية تنزع باستمرار إلى التتحقق ولا تستغني عن معرفة الله وإرادته و اختياره لتحريرها من تأثير الإمكانيات المضادة . ولهذا وجوب التمييز بين هذه الوضمات المستمرة وبين فسحة « الخلق المتصل » عند ديكارت التي تعنى عنده تجدد الخلق في كل لحظة .

٤٨ — وفي الله تكمن القوة التي هي مصدر كل شيء؛ وفيه كذلك المعرفة التي تتحتوى على الأفكار المقنوعة، وأخيراً فإن فيه الإرادة التي هي علة التغيرات أو الابداعات التي تم وفقاً لمبدأ الأصلح<sup>(١)</sup>. (التيوديسية ٧ و ١٤٩ و ١٥٠) . وهذا هو الذي يطابق الموضوع أو الأساس، وملائكة الإدراك وملائكة النزوع لدى المؤنادات المخلوقة<sup>(٢)</sup>. ولكن هذه الصفات تكون في الله لا مقتناهية أو كاملاً بصورة مطلقة، بينما تكون في المؤنادات المخلوقة أو الانقياديّيات (أو الكائنات الحمازنة على السُّكَالَة)<sup>(٣)</sup> كما ترجم هرمولاوس بارباروس<sup>(٤)</sup> هذه الكلمة (مجرد Perfectihabien

---

(١) يشير ليبلنتز في التيوديسية (١٥٠) إلى العلاقة بين صفات الله وبين مذهب التشليث المسيحي ، فالقوة تشير إلى الآب ، والحكم للكلمة والإرادة أو الحب للروح القدس .

(٢) يؤكد ليبلنتز هنا رأيه في أن المؤنادة في جوهرها قوة أو طاقة أو فاعلية تعبّر عن نفسها بالادراك والنزع . ولا حاجة هنا لافتراض أن الموضوع أو الأساس الذي يتحدث عنه هنا شيء مستقل بذاته عن هاتين الملكتين .

(٣) من الكلمتين اللاتينيتين Perfecte كمال و habeo فعل الملك ، وتقابل الكلمة اليونانية ، راجع هامش الفقرة ٤١ .

(٤) هرمولاوس بارباروس Hermolaus Barbarus أو على الأصح Ermolao Barbaro ١٤٥٤ — ١٤٩٣ ، عالم إيطالي وأحد عشّالى النزعة الإنسانية وحركة بعث النصوص السلاسيّة . ولد في مدينة البندقية وعمل أستاذًا للفلسفة بجامعة بادوا . عرف بترجماته لأرسطو وشرح ثامسقسطيوس عليها ، وبذل جهودًا طيبة لعرض مذهب أرسطو الأصيل قبل أن يحرقه المدرسون . ويروى عنه أنه بخا للسحر والتماويم ليحضر روح أبيليس ويسألها عن معنى كلمة « انتلنيخيا » =

تقليدات لهذه الصفات ، يختلف حظها من التوفيق باختلاف حظها من السُّكَال ، (التيوديسية ، ٧ و ١٤٩ و ١٥٠ و ٨٧) .

٤٩ - يقال عن المخلوق إنه يفعل في اتجاه الخارج <sup>(١)</sup> ، بقدر ما يكون فيه من السُّكَال ؟ ويقال عن مخلوق آخر إنه ينفعل بقدر ما يكون غير كامل . ومن ثم يناسب الفعل إلى المونادة بقدر ما تكون إدراكاتها متميزة ، والانفعال بقدر ما تكون إدراكتها مختلطة (أو غير متميزة) <sup>(٢)</sup> .

٥٠ - ويكون المخلوق أَكْمَلَ من غيره إذا وجدنا فيه بصورة قليلة علة <sup>(٣)</sup> ما يجري في مخلوق آخر ، بهذا المعنى يقال إنه يؤثر على المخلوق الآخر

---

== الذي يبدو أنها حيرته وأرقت لياليه ! .. وقد روى ليهنتز هذه القصة في كتابه عن العدل الامي (التيوديسية ، ٨٧) .

(١) ليس للمونادة بطبيعة الحال فعل في اتجاه الخارج ، وإنما هو تعبير أراد به ليهنتز أن يفسر ما نقصده عندما نتحدث عن الفعل الخارجي ، على نحو ما يفسر الفلكيون ما نقصده عندما نتكلم عن الشروق والغروب ، على الرغم من أن الشمس لا تشرق ولا تغرب !

(٢) هي الإدراكات غير الواضحة أو الغامضة المختلطة ، وقد أثبتت المعنى الأصلي وأضفت إليه المعنى الذي وضعه المترجم الألماني بين فوسين . وان شئت مزيداً من التفصيل عن الفرق بين الإدراكات المتميزة والإدراكات الغامضة أو غير المتميزة فأرجع إلى أعمال ليهنتز التالية : مقال في الميتافيزيقا ، ٢٤ ، والمقالات الجديدة ، المقدمة ، وتأملات عن المعرفة الحقيقية والأفكار .

(٣) أو سببه ومبرره ، وبهذا يكون تغيير الحدث أو عليه هو سببه الحقيقي . وهذا يرتبط برأي ليهنتز في أن وجود الشيء إنما يتأق من تحرير طاقاته أو فاعليته ، وأن المونادات تنزع للوجود بمقدار ما تخوزه من سُكَال ، أي بتعبير ليهنتز ==

٥١ — بيد أنه لا يوجد بالنسبة لاجواهر البسيطة سوى تأثير مثالى لاحدى المونادات على الأخرى ، وهو تأثير لا يصبح فاما إلا بتدخل من الله ، لأن المونادة تطلب بحق من أفكار الله أن يكون (أى الله) قد وضعها في اعتباره عند قيامه في مبدأ الأمر بتنظيم المونادات الأخرى ، لأنه لما كان من المقدر على المونادة المخلوقة أن تؤثر تأثيرا فيزيائيا على داخل المونادة الأخرى ، فلا يمكن بغير هذه الوسيلة أن تعمد أحداها على الأخرى قارن القيد بسيمة ٥٤٩ و ٦٦٥ و ٢٠١ و راجع أيضا موجز الاعتراضات ، الاعتراض الثالث <sup>(١)</sup> .

٥٢ — وهكذا يتم تبادل الفعل والانفعال بين المخلوقات . فعندما يوازن <sup>(٢)</sup> الله بين جوهرتين بسيطتين تبعد في كل منهما أسبابا با تلزم بأن يلازم <sup>(٣)</sup>

---

بمقدار تميز ادراكاتها . هذا والملة والمعلول أو السبب والسبب نسيان ، والمونادة المخلوقة تجمع بينهما في آن واحد . والله وحده هو السبب الحض أو الفعل الخالص ( artus purus ) ويذكر أن نضع هذا في المعادلة التالية : العلة (السبب) = فاعلية نسبية = تميز نسبي للإدراك .

(١) راجع كذلك المقال عن الميتافيزيقا ٢٢ و ٣٣ و رسالة ليسترن إلى أرنو في شهر يونيو سنة ١٦٨٦ — لاحظ أن هذه الفقرة تشير إلى مبدأ الاتساق المدبر الذي شعرض له في الفقرتين التاليتين ٨٠ و ٨١ وهو اتساق أو تجانس كامن في طبيعة الأشياء ، سابق على خلقها ، أى أنه ليس تجانسا مخلوقا على أي صورة من الصور ، لأن تتحققه في عالم الواقع هو سبب اختيار الله لهذا العالم دون غيره .

(٢) أو يقارن :

(٣) ليس هناك جوهران بسيطان متشابهان تماما ، وإن كانت جميع الجواهر تمثل نفس العالم أو تعكسه وتصوره . ولهذا فإن الإدراك الذي يكون متمنيا

بينه وبين الآخر ، ويتحقق هذا أن يكون الفعال من وجهاً نظر معينة ، منهلاً من وجهاً نظر أخرى : فهو فعال بقدر ما نعرف فيه معرفة مميزة ما يساعد على تعليل الحدث الذي يتم في (جوهر) آخر معرفة مميزة .

(التيوديسية ٦٦) .

٥٣ — ولما كانت أفكار الله تتحتوى على عدد لا حصر له من العوالم الممكنة التي يسعحيل ان يوجد منها إلا عالم واحد ، فيلزم أن يكون هناك سبب كاف لاختيار الله ، جعله يفضل عالماً بعيشه على غيره <sup>(١)</sup> . قارن (التيوديسية، ٨ و ١٠ و ٤٤ و ١٧٣ و ١٩٦ وما بعدها و ٢٢٥ و ٤١٤-٤١٦) ٥٤ — وهذا السبب لا يمكن أن يوجد إلا في القلائم <sup>(٢)</sup> أو في درجات الكمال التي تتحتوى عليها هذه العوالم ، طالما كان لكل ممكناً الحق في القطatum <sup>(٣)</sup>

---

نسبة في أحدهما ، لابد أن يكون غامضاً أو مختلطًا نسبياً في جوهر آخر أو جواهر أخرى ، وأى تغير يلحق بأحدنا لابد أن يقابل به تغير في سواه ، وهكذا يتلامم مع غيره .

(١) ليس الله ملزماً بفعل ضرورة ميتافيزيقية مطلقة ، ولكنه « ميال » بفعل الضرورة الأخلاقية لخلق العالم الذي هو أصلح عالم يمكن وأفضل نظام متوجه . وترجم التفرقة بين الضرورة الأخلاقية والآلوام المطان إلى أصل مدرسي .

(٢) أو التوافق والتباين Convenance وقد استبعدتهما لما توحيان به من ظلال نفسية ورياضية .

(٣) هذا القطatum يعبر عن النزوع للوجود والانتقال من الأدراكات المختلطة الغامضة إلى الأدراكات الواضحة المتميزة ، وهذا هو الذي يجعل من الأشياء الممكنة ماهيات واقعية متميزة عن القدرات والامكانات غير المحددة . فالإمكان يحتوى دائمًا على بذرة الواقع ، كما أوضحتنا في موضع سابق (أنظر هامش الفقرتين ٤٣ و ٤٤) .

إلى الوجود، على قدر السكمال الذي ينطوى عليه (الثيوديسية ، ١٦٧٤ و ١٦٧٥ و ١٣٥٠ و ٢٠١٣٥٢ و ٣٤٥٣ وما بعدها و ٣٥٤) .

٥٥ — هنا تكمن ملة وجود الأصلح<sup>(١)</sup> ، الذي يعرفه الله بفضل حكمته ، وبخماره بفضل رحمة<sup>(٢)</sup> ، وبخلقه بفضل قوته<sup>(٣)</sup> (قارن الثيوديسية ٧٨٨ و ٨٠ و ٨٤ و ١٩٩ و ٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢٠٨ ، وموجز الاعتراضات ، الاعتراض الأول والثامن) .

٥٦ — هذا الترابط أو هذا القلائم بين جميع المخلوقات وبين كل واحد منها على حدة ، ثم بين كل واحد منها والجيمع - يقرب عليه أن يتحقق كل جوهر بسيط على علاقات تعبّر عن مجموع الجواهر الأخرى ، وأن يكون تبعاً لذلك مرآة حية دائمة للعالم<sup>(٤)</sup> (قارن الثيوديسية ١٣٠ و ٣٦٠) .

---

(١) أو الأفضل والأحسن Le Mieux

(٢) أو خيريته وطبيته bonté .

(٣) تعبّر هذه الفقرة تعبيراً دقيقاً موجزاً عن المبادئ التي يقوم عليها تفاؤل ليبرتن ، وقد شرحها ودافع عنها في رسالته عن العدل الإلهي «الثيوديسية» وحججته هي أن العالم الذي يخلو من الشر خلواً تماماً سيستحيل تمييزه عن الله نفسه . وينشأ الشر الموجود في العالم من القصور والتعدد السكماليين في طبيعة المخلوقات . ولهذا فإن الله لم يخلق الشر ، وإنما خلق عالماً يوجد فيه أقل قدر من الشر يمكن أن يوجد في أي نظام للأشياء .

(٤) راجع كذلك رسائل ليبرتن إلى أرنو في سبتمبر وأكتوبر سنة ١٦٨٧ ورسالته إلى الأميرة صوفى في السادس من فبراير سنة ١٧٠٦ . ومن الغريب أن نيكولاوس الكوزانى قد عبر عن هذا المعنى في كتابه عن اللعب (أو دوران الأرض ١٤٦٤) De tudo globi . إذ نقرأ لديه قوله: إن السكل ينعكس في

٥٧ - وكما أن مدينة واحدة بعدها ، إذا تأمل المرء من جواب مخالفة ،  
تبعد في كل مرة على صورة مختلفة تمام الاختلاف ، وكأن لها منظورات  
متعددة ، كذلك توجد أيضا - تبعاً لـ *لـ كثرة اللاماتية للجوهر البسيطة* -  
عوالم عديدة مختلفة ، ليست إلا منظورات من عالم واحد وفقاً لوجهات  
النظر المختلفة - كل موناد على حدة (قارن *القيوديسية* ١٤٧) .

٥٨ - بهذه الوسيلة نحصل على أكبر قدر ممكن من التنوع ، ولكن  
من أعظم قدر ممكن من النظام ؟ أي أنها نحصل بهذه الوسيلة على أعظم  
قدر ممكن من *الكمال* <sup>(١)</sup> (قارن *القيوديسية* ١٢٤ و ١٢٥ وما بعدها  
٢٤٣ و ٢٧٥) .

٥٩ - وهذا الفرض وحده (الذى أزعم <sup>(٢)</sup> أنه قد تمت البرهنة عليه)  
يكشف عن عظمة الله ويضعها في الضوء الصحيح . ولقد عرف السيد «بail»  
هذا ، عندما أثار في قاموسه (مادة *روراريوس*) <sup>(٣)</sup> (عدة اعتراضات عليه) ،

---

جميع الأجزاء ، وكل الأشياء تحافظ على علاقتها ونسبتها للعالم ، كما يقول في  
كتابه عن العلم الجاهل *De docta ignorantia* (١٩٤٠) «أن الأشياء المائية  
صور من غير المائي ، والخلق يكُن أن يرى ويعرف عن طريق المخلوقات  
(رقية أو معرفة) مظللة كافية مرآة» .

(١) أي أن أقصى كمال ممكن يتجلّى في أتم وحدة أو نظام يشتمل على أكبر  
قدر من التنوع . فالمونادات مُوَلَّفة في أتم وحدة ممكنة ، لأن ماهية كل منها في  
تصوير نفس العالم ، كما أنها متوجّحة إلى أقصى حد ممكن ، لأن وجهات النظر التي  
تصور منها هذا العالم أو تعكسه متوجّحة تنوّعاً لاحد له .

(٢) حرفيًا : الذي أجرى أو أتجاسر على القول بأنه ..

(٣) انظر التسلق السابق في الفقرة ١٦ . وقد شبه بail نظرية ليينتز هذه

انساق فيها إلى الاعتقاد بأننى أنسب إلى الله أكثر مما ينبغي ، بل أكثر مما يمكن نسبة إليه . غير أنه قد عجز عن تقديم أي سبب يمكن أن يبرر في حالة ذلك الانسجام الكوني الشامل الذى يجعل كل جوهر يعبر تعبيراً دقيقة عن سائر الجواهر الأخرى عن طريق العلاقات التي تربطه بها .

٦٠ - هذا وتبين مما سبق الأسباب القلبية التي تجعل الامور تسير على هذا النحو دون غيره . لأن الله عندما دبر نظام الكل قد وضع في اعتباره كل جزء على حدة كما وضع في اعتباره بوجه خاص كل مونادة على حدة ، وهي بطبيعتها كائن متصور<sup>(١)</sup> ، فليس ثمة ما يقتصرها على تصوير جزء واحد من الأشياء ، وإن كان من الصحيح مع ذلك أن هذا التصور ، فيما يتصل بالأشياء الجزئية<sup>(٢)</sup> الموجودة في العالم ، تصور مشوش (مختلط) ولا يمكن أن يقْضي إلا في جزء ضئيل من الأشياء ، أعني تلك التي تكون

---

بسفيينة صنعت بحيث يمكنها أن تتخرب العباب وتحدها بغير قبطان ولا ملاحين ، وتبحر من شاطئ إلى آخر ، وتتلامم مع الرياح والعواصف التي تهب عليها ، وتتجذب المخاطر والمياه الضحلة ، وترسو أو تقلع أو تسعى إلى المياه كما تفعل أي سفيينة عاديّة . وهو يسلم بأن قدرة الله المطلقة يمكن أن تزود السفيينة بمثل هذه القوة ، ولكنه يذهب إلى أن طبيعة السفيينة نفسها تمنعها من ذلك : « ومهما تكن معرفة الله وقدرته غير محدودة ، فإنه لا يستطيع بواسطته آلة ينقصها جزء معين أن يعمل ما يتطلب معونة هذا الجزء ». وهكذا يجادل بليل في صحة مذهب الاتساق المقدى ويجرد المونادات من تلقائيتها ، ويرى أن ليشنز قد جأ إلى ما يُعرف في المسرح « بالله - الآلة » لينقض مذهبة من ورطة محققة ..

(١) أو ممثل representative .

(٢) أو تفاصيل الأشياء le détail .

أقربها أو أكابرها بالنسبة لـ كل مونادة<sup>(١)</sup> ، وإن كانت كل مونادة إلهًا . وإن ذن فالحدود (التي تقييد) المونادات لاتتمثل في الموضوع وإنما تتمثل في أسلوب المعرفة المختلف بالموضوع<sup>(٢)</sup> . أنها جمima تسعى على نحو مختلط (غامض) لاوصول إلى الامتناعي ، إلى الكل<sup>(٣)</sup> ، ولكنها تتخلل محدودة ومتغيرة عن بعضها البعض عن طريق درجات وضوح الإدراكات وتمييزها .

٦١ - وفي هذا يعبر المركب تعبيرًا رمزياً عن البسيط<sup>(٤)</sup> . فلما كان كل

---

(١) إذا كانت المونادات غير مكانية ، فكيف يمكن الحديث عن شيء أقرب أو أكابر بالنسبة لها ؟ لـ كل مونادة جسم من نوع ما ، وهذا الجسم يدرك إدراكاً غامضًا بوصفه يشغل مكاناً في ذاته وفي علاقته بالأجسام الأخرى ، وإن لم يكن هذا الجسم سوى بمجموع يتنظم عدداً من المونادات غير المكانية . ومعنى العبارة أن الأشياء قريبة أو كبيرة بالقياس إلى جسم المونادة .

(٢) أي أن الفكر بمعناه الواسع ، سواء أكان فـ كرا واعياً أو غير واع ، إنما يتحدد بنفسه . ولا يمكن أن يوجد شيء لا يقبل أن يكون موضوعاً للتفكير . قارن موقف « كانت » من هذه المسألة وفرقته الحاسمة بين عالم الظواهر أو التجربة (الذى يمكننا أن نعرفه معرفة موضوعية) وعالم الشيء في ذاته أو عالم الحقائق المتعالية الذى نفترض وجوده ونسلم به دون أن يكون في وسعنا أن نعرفه معرفة ذهنية محددة . ( لأنه يتجاوز حدود الفهم المقيد بعالم الظواهر ) .

(٣) قارن بهذا عبارة يقولاوس الكونزاني في كتابه عن التكوانين De Genesi .  
(٤) ٧٢ ب « كل الأشياء تبحث عن شيء واحد ، وهو شيء مطلق » .

(٥) يترجم « لاتا » هذه العبارة بقوله : « والمركبات من هذه الناحية متتشابهة (أو مماثلة لـ الخ) مع الجواهر البسيطة ، وقد آثرت الاحتفاظ بالفعل الأصلي —

شيء مماثلاً أو ملائمة<sup>(١)</sup> . وهذا هو الذي يجعل المادة كلها متراقبة . وكانت كل حركة تقم في الماء تؤثر على الأجسام البعيدة على حسب بعدها، بحيث أن كل جسم لا يتأثر فحسب بالأجسام الملائمة له مباشرة ويشعر على نحو من الأثناء بكل ما يحدث لها ، بل يشعر عن طريقها كذلك بتأثير تلك الأجسام التي تلامس الأجسام الأولى التي تلامسها مباشرة فيلزم عن هذا أن هذا السياق يمتد إلى أي مسافة ممكنة . ويقترب على هذا أن يشعر

«ترمز symbolisent» لاسيما أن «لاتا» نفسه يفسر العبارة بأن الرمز هنا يوجي بفكرة الحساب التي ظلت تشغله ليبنتز طوال حياته ، فكما أن الأعداد رموز للمعدودات ، ونحن لانضطر في كل عملية حسابية للإشارة في كل خطوة منها إلى الأشياء الجزئية التي ترمز لها الأعداد ، فإن الأفكار العامة التي لانقوم بتحليلها يمكن أن ترمز للعناصر البسيطة المكونة لها . بهذا المعنى تكون الأشياء أماركتبة رموزاً لعناصرها البسيطة . وما ندركه من المركبات بصورة غامضة ليس مجرد وهم وإنما هو تمثل ناقص أو رموز للخصائص الحقيقية للجوهر البسيطة . وهكذا يكون الماء plenum المكاني أو المادي ( وهو إدراك غامض من جانبنا ) رمزاً لسلسلة المونادات الامتناهية أو السكانمة التي لا تحتوى على أية تغيرات تفصل بينها ، لأن المونادات تختلف عن بعضها البعض بدرجات لامتناهية في الصغر . كذلك يمكن القول بأن الافعال وردود الافعال المادية التي تتم في العالم بحيث يؤثر أي تغير في نقطة معينة على سائر النقاط إنما هي رموز تعبر عن التجانس أو الانساق المقدر بين المونادات . وأخيراً فإن ما يذهب إليه ليبنتز من أن كل ما يحدث في العالم أو حدث أو سوف يحدث يمكن أن نقرأ على أي جسم إنما هو رمز معبر عن طبيعة المونادة التي تتمثل العالم كله وتحتويه كله في داخلها ( على الأقل من الناحية المثالية ! ) .

(١) الماء plenum وقد فضلت الكلمة العربية القديمة .

كل جسم بكل ما يجري في العالم ، بحيث يسطع ذلك الذي يرى كل شيء أن يقرأ في كل واحد منها ما يحدث في كل مكان ، بل يستطيع أن يرى ماحدث في الماضي وماسوف يحدث في المستقبل ، وذلك بأن يلاحظ في الحاضر ما هو بعيد من جهة الزمان والمكان : وهذا هو الذي سماه بقراط : « تلاؤم الكل <sup>(١)</sup> » بيد أن النفس لا يمكنها أن تقرأ في ذاتها إلا ما هو مقلل فيها تناولاً واضحاً متميزاً : أنها لا تستطيع أن تنشر كل ثنياتها المطوية دفعة واحدة ، لأن هذه تمتد إلى مالا نهاية .

٦٢ - وهم أن كل مونادة مختلفة تصوّر <sup>(٢)</sup> العالم بأكمله ، فإنها تصوّر الجسم المتعلق بها خاصة والذى تكون هي « انتيميليخياه <sup>(٣)</sup> » تصويراً أشد تيزيراً . وكما يعبر <sup>(٤)</sup> هذا الجسم عن العالم كله - نتيجة السياق المتصل بالمادة بأجسامها في الملايين - فان النفس أيضاً تصوّر الكون كله ، بتصوّرها للجسم المتعلق بها تعلقاً خاصاً . (قارن القيود بسيمه ٤٠٩) ،

٦٣ - الجسم الذي يتعلّق بعونادة هي انتيميليخياه أو نفسه يؤلف مع

(١) حرفياً : تنفس السكل معـاً ، أي توافقه وتلاؤمه وقد ذكرت الكلمتان في الأصل بحروفهما اليونانية ، ولعل ليينتنز أن يكون قد تذكر عند كتابة هذه الفقرة عبارة قرأها في أحد كتب أبقراط (عن التغذية ، ج ٤ De Alimento) يفهم منها تعاطف الفرد مع الكل .

(٢) يستعمل ليينتنز الكلمة *represente* بمعنى يمثل أو يعكس أو يصور ، وقد فضلت الكلمة الأخيرة بمعناها المألوف اليوم في اللغة العادية .

(٣) راجع هامش الفقرة (١٤) .

(٤) يستخدم ليينتنز هنا الكلمة *exprime* ثم يرجع للكلمة السابقة بعد ذلك مباشرة ! .

(م ١١ - المونادولوجيا )

الا ينطلي علينا ما يمكن تسميتها *سماً* حياً، وهم النفس ما يمكن تسميتها *حيواناً*،<sup>(١)</sup>  
وهذا الجسم المتعلق بكلائن حي أو حيوان يكون على الدوام جسماً عضوياً،  
لأنه لما كانت كل موئدة مرآة تمكس العالم على طريقتها، وكان العالم  
مدبراً وفق نظام كامل، فيلزم أيضاً أن يكون هناك نظام فيه من يقوم  
بتصوره،<sup>(٢)</sup> أي في إدراكات النفس، وبالتالي في الجسم الذي بمنتهيه  
يتصور العالم في النفس (قارن *القيوديسية*، ٤٠٣).

٦٤ - وهكذا يكون ككل جسم عضوي للسائل الحي نوعاً من الآلة  
الآدمية، أو من الآلة<sup>(٣)</sup> الطبيعية التي تفوق جميع الآلات الصناعية<sup>(٤)</sup>  
إلى حد لانهائي. لأن الآلة التي يصنفها الفن البشري<sup>(٥)</sup> ليست آلة في ككل  
جزء من أجزائها: فسن المجلة النحاسية على سبيل المثال ذات أجزاء أو قطع  
لاتعد في نظرنا شيئاً فانياً (أو صناعياً)<sup>(٦)</sup> وليس فيها كذلك شيء يجعلنا  
نلاحظ وجود الآلة التي أعدت المجلة لتشغيلها. أما آلات الطبيعة، أي

(١) راجع الفقرة (١٩) — ويستخدم ليبرتن اصطلاح *السائل الحي* للإشارة  
بنوع خاص إلى كل من كانت الموئدة الرئيسية فيه موئدة غير واعية، أما  
ـ *الحيوان*، فيميّزه عن السائل الحي أن الموئدة الرئيسية عنده ذات شعور  
ـ وهذا كلام.

(٢) حرفيًا: في المتصور أو المتمثل.

(٣) الآلة ترجمة للآوتومات *L'Automate*، أي الجهاز الآلي المتحرك  
ـ بذاته تميّزا عن الآلة *Machine*.

(٤) الصناعية أو المصطنعة *artificiel* تميّزا لها عن الطبيعية.

(٥) البراعة والمهارة البشرية.

(٦) الكلمة الأصلية هي الفن الإلهي *art divin*، ولكن المقصود بها هو  
فن الصنعة، وقد تبعـت المترجم الألماني في هذا التصرف.

الأجسام الحية ، فهـى تظل آلات في أدق أجزائـها وإلى مـالـا نـهاـيـة . وـفـى هـذـا يـسـكـنـ الفـرقـ بـيـنـ الطـبـيـعـةـ وـالـفـنـ ،ـ أـىـ بـيـنـ الصـنـعـةـ الـإـلـهـيـةـ وـصـنـعـقـنـاـ الـبـشـرـيـةـ<sup>(١)</sup> (قارن التيو ديسـيهـ ، ١٣٤ ، ١٤٦ و ١٩٤ و ٤٨٣) .

٦٥ - وقد تمـسكنـ مـهـدـعـ الطـبـيـعـةـ مـنـ خـلـقـ<sup>(٢)</sup> هـذـاـ العـمـلـ الـفـنـ الـإـلـهـىـ الـذـىـ بـلـغـ الـفـايـةـ مـنـ الـاعـجـازـ لـأـنـ كـلـ قـطـعـةـ مـنـ الـمـادـةـ لـيـسـتـ فـيـحـسـبـ قـابـلـةـ لـالـقـبـرـةـ إـلـىـ مـالـاـ نـهـاـيـةـ ،ـ كـمـاـ عـرـفـ ذـالـكـ الـقـدـمـاءـ ،ـ بـلـ إـنـهـاـ كـذـالـكـ مـجـزـأـةـ فـيـ الـوـاقـعـ<sup>(٣)</sup> إـلـىـ مـالـاـ نـهـاـيـةـ ،ـ وـكـلـ جـزـءـ يـنـقـسـمـ بـدـورـهـ إـلـىـ أـجـزـاءـ لـكـلـ

(١) قارن عبارة *Nicolaus Scopulae in libro de natura et origine rerum materialium* Idiotae lipri quatuor (١٦٩٣) : « إن الفنون البشرية صور من الفنون الإلهية » .

(٢) حـ :ـ مـنـ إـسـتـخـدـمـةـ وـمـارـسـتـهـ .

(٣) أوـ مجـزـأـةـ بـالـفـعـلـ ،ـ وـقـدـ سـبـقـ لـلـيـنـتـنـ أـنـ عـبـرـ عـنـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ فـيـ جـوـاـبـهـ عـلـىـ رـسـالـةـ فـوـشـيـهـ (١٦٩٣) حـيـثـ يـقـولـ :ـ « لـيـسـ هـنـاكـ جـزـءـ مـنـ الـمـادـةـ إـلـاـ وـهـوـ مجـزـأـ بـالـفـعـلـ ،ـ وـلـأـقـولـ يـقـبـلـ الـقـسـمـةـ ،ـ وـيـتـرـبـ عـلـىـ هـذـاـ أـنـ أـصـغـرـ جـزـءـ مـنـ الـمـادـةـ يـجـبـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ باـعـتـدـارـ عـالـمـاـ مـلـيـعـاـ بـالـاـنـهـاـيـةـ لـهـ مـنـ الـكـاتـنـاتـ الـمـخـتـلـفـةـ ،ـ وـمـنـ الـواـضـعـ أـنـ الـقـسـمـةـ الـلـامـتـنـاهـيـةـ لـلـمـادـةـ تـيـرـ صـحـوـبـاتـ عـدـيدـةـ ،ـ لـاسـيـماـ وـأـنـ لـيـنـتـنـ يـتوـكـدـ دـائـمـاـ أـنـ الـمـادـةـ تـتـأـلـفـ مـنـ عـنـاصـرـ غـيرـ مـكـانـيـةـ أـوـ غـيرـ كـيـمـيـةـ ،ـ وـيـعـتـبـرـهـ مـجـرـدـ بـحـمـوـعـ مـؤـتـلـفـ *aggregat* أـىـ لـيـسـتـ بـذـاقـهاـ جـوـهـراـ وـاقـعـيـاـ .ـ فـهـلـ يـكـنـ أـنـ يـتـكـونـ هـذـاـ الـمـجـمـوعـ مـنـ عـدـدـ لـاـنـهـاـيـةـ لـهـ مـنـ الـأـجـزـاءـ الـوـاقـعـيـةـ ؟ـ أـلـاـ يـعـنـيـ الـانـقـسـامـ إـلـىـ مـالـاـنـهـاـيـةـ اـسـتـحـالـةـ حـصـرـ الـأـجـزـاءـ ؟ـ أـلـيـسـتـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ السـكـلـ وـالـأـجـزـاءـ عـلـاقـةـ غـيرـ مـحـدـدةـ بـحـيـثـ لـاـ يـمـكـنـنـاـ أـنـ نـعـرـفـ بـالـضـبـطـ مـاـهـوـ الـمـصـودـ بـالـجـزـءـ ؟ـ وـهـلـ يـمـكـنـ أـنـ تـكـلـمـ عـنـ الـأـشـيـاءـ عـلـىـ اـعـتـبـارـ أـنـهـاـ تـنـقـسـمـ بـالـفـعـلـ إـلـىـ مـالـاـنـهـاـيـةـ بـغـيرـ أـنـ نـقـعـ فـيـ التـنـاقـضـ ؟ـ قـدـ يـرـدـ لـيـنـتـنـ عـلـىـ هـذـاـ بـأـنـ الـمـادـةـ الـتـىـ تـنـقـسـمـ لـىـ = =

منها حركة خاصة به : ولو كان الأمر على خلاف هذا لما مسكن أن تعبّر كل قطعة من المادة عن العالم كله . (قارن التيوديسية ، المبحث القمميدى ، ١٩٥٧) .

٦٦ - من هذا نتبين أن أقل جزء من المادة يحتوى على عالم من المخلوقات ، والكائنات ، والحيوانات ، والانتمييات ، والنفوس .

٦٧ - يمكن تصور كل قطعة من المادة كما لو كانت حديقة حافلة بالنباتات أو بركة غنية بالأسمالك . ولكن كل غصن من أغصان النبات ، وكل عضو من أعضاء الحيوان ، وكل قطرة من قطرات عصاراته هي كذلك مثل هذه الحديقة أو هذه البركة .

٦٨ - وهم أن الأرض والهواء السارى بين نبات الحديقة وأماء الجارى بين أسماك البركة ليست هى نفسها نباتا ولا سمكا ، فإنها مع ذلك تحتوى على أممها ،<sup>(١)</sup> وإن تسكن في أغلب الأحوال من نوع دقيق يقمعنا علينا إدراكه<sup>(٢)</sup>

---

== ملائمة ليست إلا ظاهرة تجتىء عن لائحة المونادات الواقعية ولكن مشكلة الانقسام الامتناهى تظل قائمة . وقد أثارها كانت فى المقىضتين الأوليين من كتابه نقد العقل الخالص ، كما انتقدتها العالم الرياضى أويلر Euler الذى يرى أن وجود وحدات على هيئة المونادات يتضمن انقسام المادة بصورة تهايبة .

. (١) أي على أممها هذه النباتات والأسمالك .

(٢) تابع ليختنر البحاث الميكروسكوبية التى كانت تجرى في حياته باهتمام وشغف جديرين برجل موسوعى مثله . وقد أشار في كتاباته عدة مرات إلى أسماء بعض العلماء مثل العالم الطبيعي الهولندي فان لويفنوك (١٦٣٢—١٧٢٣) مكتشف الحيوانات المنوية أو الاسبر ما توزوا ، وعالم الحشرات الهولندي سوامردام (١٦٣٧—١٦٨٠) وعالم التشريح الإيطالى مالبييجى (١٦٢٨—١٦٩٤) الذى كان أول من استعمل الميكروскоп فى دراسة الانسجة ==

٦٩ - ولهذا فليس في العالم يباب ولا عقم ولا موت ، ليس فيه فوضى ولا اضطراب<sup>(١)</sup> إلا في الظاهر ؛ وهذا أشبه بمنظر بركة نتأملها من بعيد فلا نكاد نرى فيها إن جاز هذا التعبير إلا حرارة مفطرة وحشداً مختلطًا من الأسماك ، دون أن نميز الأسماك نفسها بوضوح (قارن القيد ويسمه المقدمة) .

٧٠ - نرى من هذا أن لكل جسم حتى أنقله خيراً تتحكم في نفسى لدى الحيوان ، ولكن أعضاء هذا الجسم حتى نفسها زاخرة بكل أنواع حياة أخرى ، من نباتات وحيوانات وكل منها كذلك أنقله خيراً أو نفسه المتحكم في<sup>(٢)</sup> .

== وفي لوجيا الحيوان والنبات . وقد شجع ليينتنز هذه الدراسات التي رأى أنها ستكشف عن معجزات عالم جديد وتزيد معرفتنا أضعافاً مضاعفة ، كما تحس على أن هناك عشرة فقط يعيشون في عصره على أمثال هذه الابحاث التي تستحق أن يرعاها الملوك والأمراء . ( وذلك في «تأمل عن الفكرة الشائعة عن العدالة » ولعل النص السابق أن يكون قد تنبأ بالدراسات الحديثة عن الخلية ، وإن كانت لا تقبل القسمة إلى مالا نهاية كما تصور ليينتنز !

(١) وهو العماء أو الاختلاط والاضطراب الذي لاحد له . ويكرر ليينتنز نفس الفكرة عن خلو العالم من العقم والموت في رسالته إلى برنوليوم (١٦٩٩) . Epistola ad Bernoullium

(٢) تثیر هذه الفقرة مشكلة عويصة . لا يمكن وفقاً لما جاء فيها أن تتصور العالم كله جسماً واحداً يكُون الله - أو مونادة المؤنادات - هونفس المتحكم فيه على نحو ما عبر الشاعر الانجليزي بوب في مقالة عن الإنسان ، الرسالة الأولى ،

: ٢٦٧

« ما الأشياء جميعاً إلا أجزاء من كل هائل عجيب

الطبيعة جسمه والله هو الروح »

==

٧١ — ولكن لا يجوز أن يقوهم أحد — كافل البعض نتيجة  
إساءة فهم مذهبي <sup>(١)</sup> — ان كل نفس لها كفلة أو قطعة معينة من المادة،  
مخصصة لها إلى الأبد <sup>(٢)</sup> ، وأنها تبعاً لذلك تملك كائنات حية أخرى  
أدنى درجة ، مجمولة خدمتها على الدوام . لأن الأجسام كلها في سيرورة  
 دائمة ، كالأنهار <sup>(٣)</sup> ، وتدخل فيها وتخرج منها أجزاء باستمرار .

---

سيجيئ ليقتصر على الفور بأن الله لا جسم له (المونادولوجيا ٧٢) . ولكن  
المشكلة تظل قائمة . وقد رفض ليختنر فكرة «النفس الكلية» التي يفهم منها  
ضياع استقلال النفوس الفردية . تدل على هذا رسالته إلى أرتوا (٢٦٨٧) التي  
يقول فيها : «مع أن النفس يمكن أن تكون ذات جسم مكون من أجزاء ،  
لكل جزء منها نفسه الخاصة به ، فإن نفس الكل أو شكله ليست مقلدة من  
نفوس الأجزاء أو أشكالها .

(١) حرفيًا : نفسكيري . ويحتمل أن يكون سوء الفهم الذي يقصده ليختنر قد  
نشأ عن الخلط بين «المادة الأولى» ، وهي العنصر السببي أو المفعول في الموناد  
المخلوقة الذي لا ينفصل عن العنصر الاب Hegelian الفعال وهو النفس ، وبين «المادة  
الثانية» وهي الجسم المتغير للجوهر المركب ، الذي يتصرف بأنه ظاهري وغير واقعي ،  
 وإن كان يقوم على أساس من الواقع .

(٢) أي عينت لها بحيث تنتهي لها وتكون من نصيتها إلى الأبد .

(٣) أي في تغير وتحول وصيروحة دائمة . والعبارة قديمة قدم هيراكليطس  
وشندراته المشهورة في هذا المعنى ونذكر منها : من المستحيل النزول في نفس النهر  
مرتين ، كل شيء يسهل على الدوام ، الكل يسهل (أو يتتدفق) كما يسهل النهر .  
(راجع طبعة ديلز وكرانس لشندرات الفلسفية قبل سقراط ، الطبعة المختصرة  
التي نشرها فالتر كرانس ، برلين ١٩٥٩ ، مكتبة فايدمان ، ص ٨٣) وراجع  
 كذلك محاورة كراتيلوس لأفلاطون (٤٠٢) حيث تجد هذه العبارة الشهيرة =

٧٢ — وهكذا فإن النفس لا تغير جسمها إلا ببطء وبالتدريج ، بحيث لا تجرد أبداً من جسم أعضائها دفعة واحدة ، وكثيراً ما يتم التحول بين الحيوانات ، ولكن تهم الأرواح أو تنسخها لا مكان له على الإطلاق : كذلك لا توجد نفوس قائلة بنفسها أو مستقلة تمام الاستقلال (عن الأجسام) ولا أرواح <sup>(١)</sup> بغير أجسام . إن الله وحده مذره عن الجسمية كل القنزيه <sup>(٢)</sup> (قارن التموديسية ٩٠ و ١٢٤) <sup>(٣)</sup> .

---

الى يقول فيها أفالاطون إن هيراقليطس قد شبه الأشياء بمحرريان النمر ، وقارن كذلك الميتافيزيا لارسطو ، كتاب الأنماط ، ٦ و ٩٨٦ أو ٢٣ ، وطبعة بيرنت « الفلسفة اليونانية المبكرة » التي اعتمد عليها أستاذنا المرحوم الدكتور أحمد فؤاد الأهوافي في كتابه فجر الفلسفة اليونانية ) .

(١) يعني Génies أو Spirits .

(٢) حرفياً : برىء أو خالص منها . detaché .

. (٣) أنظر كذلك المقال في الميتافيزيا ٣٤ — وتفسير هذا أن النفس التي تكون بغير جسد ستكون مقطوعة الصلة بالمونادات الأخرى ، لأن الجوهر المركب إنما يكون كذلك لأنه مركب من نفس وجسم ، أي من مونادة مركزية أو أساسية على علاقة بمونادات فرعية . وقد كتب لميترن في « نظراته في مبادئ الحياة » (١٧٠٥) يقول إن المخلوقات الحرة أو المحررة من المادة ستكون في نفس الوقت منفصلة من السياق السكري للأشياء ، وخارجية عن النظام العام . ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن النفس التي بلا جسم ستكون مونادة لا تنفع ولا تدرك الأدراك الذي يتفاوت بين الواضح والغموض لدى جميع المونادات المخلوقة ، ومعنى هذا أن تلك النفس لابد أن تكون « فعلا خالصاً » أي لابد أن تكون لها ..

٧٣ — ولهذا السبب لا يوجد أبداً تولد كامل ولا موت كامل بالمعنى الدقيق ، بمعنى انفصال النفس عن الجسد . وما نسميه بالتوالد وإنما هو نوع من القطور والنمو ، أما ما نسميه بالموت فهو انكماش وتدافق <sup>(١)</sup> .

٧٤ - ظل الفلسفة دائمة في حيرة من أمرهم حول أصل الأشكال والانقسامات أو النقوس . أما اليوم ، بعد أن عرفنا من الأبحاث الدقيقة التي أجريت على النباتات والحيشات والحيوانات الأخرى أن الأجسام العضوية في الطبيعة لا تنشأ أبداً من العماء <sup>(٢)</sup> أو التعفن ، وإنما تنشأ دائمة من بذور كانت تحملها بغير شك على نوع من التشكل السابق <sup>(٣)</sup> ، فقد

---

(١) راجع رسالة ليينتن إلى أرنو في ٤/٣٠ ١٦٨٧ .

(٢) ترجمة لـ الكلمة *Chaos* ، وقد ترجمناها من قبل حسب السياق بمعنى الفوضى والاختلاط الشامل .

(٣) قارن كذلك المقال في الميافيزيقا ٤ ورسالة ليينتن إلى أرنو في الثلاثين من أبريل سنة ١٦٨٧ . ويشير ليينتن في هذه الفقرة إلى نظرية التشكل السابق التي قال بها فان لويفنهوك ( ١٦٣٢ - ١٧٣٣ ) - أنظر كذلك التيوديسية ٩١ ورسالة ليينتن إلى أرنو في سبتمبر / أكتوبر ١٦٨٧ ورسالته إلى صوفي شارلوت ملكة بروسيا التي يقول فيها إن البذرة الحية والعضوية قد عمدت قدم العالم . وقد كان الرأى قبل عصر ليينتن مباشرةً أن الحياة في النبات والحيوان والأنسان تنشأ إنما عن طريق « الانتقال » *Traduction* أو « الاستنباط » *eduction* فأصحاب النظرية الأولى يقولون بأن « شكل المولود يأتى من شكل الآبوبين على نحو ما يأتي جسده من جسديهما . أما أصحاب النظرية الثانية فيذهبون إلى أن الحياة تنشأ عن المادة غير العضوية أو من « العماء والتعفن » على حد تعبير ليينتن . ولكن نظرية « التشكل السابق » تذهب إلى أن « البذرة أو « النطفة » تحتوى على صورة مصغرة من النبات أو الحيوان ككل ، أي أن « شكل » النبات أو الحيوان يوجد في =

استدعي العلامة من ذلك أن الجسم المضوى لم يكن هو وحده موجوداً فيها قبل الحمل ، بل كانت هناك أيضاً نفس في هذا الجسم ، وباختصار كان الحيوان نفسه موجوداً فيها . وعن طريق الحمل توصل هذا الحيوان إلى القدرة على القشرة الكبيرة فحسب ، لكي يصير حيواناً من نوع آخر . وللاحظ شيئاً شبيهاً بهذا خارج نطاق القول ، عندما تحول الديدان مثلاً إلى ذباب أو البرقاوات إلى فراشات (قارن التشوديسية ٨٦ و ٨٩ ، المقدمة ٥ ب وما بعدها من صفحات ، ٩٠ و ١٨٧ و ١٨٨ و ٣٩٧ )

٧٥ - يمكن تسمية الحيوانات التي يرفع بعضها عن طريق الحمل إلى مستوى الحيوانات الكبيرة باسم الحيوانات البذرية ، أما ما يبقى منها داخل نوعه ، أي معظمها ، فإنه ينشأ<sup>(١)</sup> ، ويتكاثر ، وفيه كالحيوانات الكبيرة ، والذئبة الفليلة منها هي التي تنتقل إلى مسرح أكبر .

٧٦ - غير أن هذا لم يكن ليهمبر إلا عن نصف الحقيقة<sup>(٢)</sup> : لذلك انتهيت

---

البذرة أو الحيوان المنوى من بدء الزمان والخلية في حالة كون أو انكماش . وقد قامت هذه النظرية التي تبناها ليينتنز على أساس الابحاث الميكروسكوبية التي قام بها مالبيجي ولويفنوك (أنظر هامش الفقرة ٦٨) وغيرها علم الوراثة الحديث تغييرآ تماماً . وقد رفض ليينتنز النظرية الأولى وإن كان قد وصف نظريته بأنها نوع من الانتقال ولكن في صورة معدلة أدعى للقبول من الصورة الشائعة (التشوديسية ٣٩٧) .

(١) أو يولد .

(٢) أي أن العلامة لم يقرروا في رأيه إلا نصف الحقيقة ، ولن يعترضوا على تصنفيها الثاني الذي يقول به ليينتنز من أنه من الطبيعي أن يعتقد الإنسان بأن ما لا يبدأ لا ينتهي . (من رسالته إلى أرنو ١٦٨٧) .

إلى الحكم بأنه إذا كان الحيوان لا ينشأ أبداً نشأة طبيعية ، فإنه لا يفسد كذلك بطريقة طبيعية ، وأن الأمر لا يقتصر فحسب على إستحالة التولد ، بل يقتدبه إلى إستحالة الفناء السكامل وإستحالة الموت بمعنىه الدقيق . وهذه القابلات التي تمت بطريقة بعدية واستخلاص من التجربة تتفق تماماً الاتفاق مع المبادئ التي استقرت في ما سبق بطريقة قبلية<sup>(١)</sup> ( قارن *القيود البيولوجية* ٩٠ ) .

٧٧ - يمكن القول إذن بأن النفس ( وهي مرآة عالم لا ينضُور )<sup>(٢)</sup> ليست هي وحدها التي لا يجوز عليها الفناء ، بل كذلك الحيوان نفسه<sup>(٣)</sup> ، على الرغم من أن آلة تفسد في كثير من الأحوال فساداً جزئياً وتندفع أو ترتدى أغشية عضوية<sup>(٤)</sup> . ( قارن *القيود البيولوجية* ، المقدمة ٦ و ٣٤٠ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٨ ) .

٧٨ - وقد أثارت لي هذه المبادئ وسيلة تفسير إمداد النفس مع الجسم العضوي أو بالأحرى اتساقها معاً تفسيراً طبيعياً ، فإن النفس تتبع قوانينها

(١) راجع الفقرات ٣ و ٤ و ٥ من *الموනادولوجيا* . والتفريق بين القبلي والبعدى أمر ملحوظ في تفكير ليبنتز ، يعبر عن إيمانه بالتجانس والاتساق بين الطبيعة وما بعد الطبيعة ، وبين الأسباب الميكانيكية والأسباب الديناميكية أو العائمة .

(٢) حرفاً : لا يتحطم .

(٣) لأن النفس لا بد أن يكون لها جسم من نوع ما ، وهذا الجسم مركب من موئلات لاتفسد ولا تفنى ولتكن الحيوانات ليست خالدة ، لأن الخلود مقصور على النفوس العاقلة أو الموئلات الوعائية .

(٤) على نحو ما تسلخ الحية من جلدها القديم ( عن رسالة لـ ليبنتز إلى الأميرة

صوف ، ١٦٩٦ ) .

الخاصة كـما يخص الجسم لـقوانينه الخاصة ؛ وهي يـلاقـيـان<sup>(١)</sup> بـفضل الـاتـسـاق  
المـقـدر بــين جـمـيع الجـواـهر ، لأنـها جـمـيعـا<sup>(٢)</sup> تـقـلـات عـالـم وـاحـد بـعـيـونـه<sup>(٣)</sup> .

(١) أو يـتفـقـان وـيـتـوـامـان *se rencontrent* .

(٢) أـى الجـواـهر .

(٣) وـمعـى هـذـا أـن مشـكـلة الـارـتـبـاط بــين النـفـس وـالجـسـم جـزـء مـن مشـكـلة أـكـبر  
تـقـصـل بــالـعـلـاقـة بــين المـوـنـادـة أـو الجـوـهـر البـسيـط وـبــين سـائـر الجـواـهر .

ويـلاحظ أـن ليـبـنـيـز يـعـبـر فــي هـذـه الفـقـرـة عـن اـعـتـراـضـه عـلـى إـصـحـاب مـذـهـب  
ـالـمـنـاسـبـةـ » *occasionalism* « الـذـين حـاـولـوا أـن يـحلـوا مشـكـلة العـلـاقـة بــين النـفـس  
وـالجـسـم الـتـى تـرـكـها دـيـكارـت بـغـير حلـ مـقـنـع . وـيتـلـخـص هـذـا المـذـهـب فــي أـن الـأـشـيـاء  
لـا تـؤـثـر عـلـى بـعـضـهـا بـعـضـهـا فــي الـأـحـدـاث الـتـى تـرـتـبـطـ فــيهـا العـلـةـ بـالـمـعـلـوـلـ ، وـإـنـما الـأـشـيـاء  
أـدـوـاتـ أـو « مـنـاسـبـاتـ » لـلـفـعـلـ الـوـحـيدـ وـهـوـ الـفـعـلـ الإـلـهـيـ . وـتـفـسـيرـ ذـلـكـ فــيـمـا يـتـصلـ  
بــالـعـلـاقـةـ بــينـ النـفـسـ وـالـجـسـمـ (ـالـذـينـ نـفـيـ دـيـكارـتـ إـمـكـانـ التـأـثـيرـ المـتـبـادـلـ بــيـنـهـماـ  
لـاـخـتـلـافـ طـبـيـعـتـهـماـ اـخـتـلـافـ الـفـكـرـ عـنـ الـامـتـدـادـ وـالـوعـىـ عـنـ الـمـادـةـ) أـنـ اللهـ يـخـلـقـ  
الـإـحـسـاسـاتـ النـفـسـيـةـ « بـهـنـاسـبـةـ » الـحـرـكـاتـ الـبـدـنـيـةـ ، كـماـ يـخـلـقـ الـحـرـكـاتـ الـعـضـلـيـةـ  
ـبـهـنـاسـبـةـ ، الـأـقـعـالـ الإـرـادـيـةـ . وـقـدـ بدـأـتـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ عـنـدـ الغـزـالـيـ (ـ التـهـافتـ ،  
ـالـمـسـأـلـةـ السـابـعـةـ عـشـرـ) ، وـلـكـنـهـاـ اـرـتـبـطـتـ باـسـمـ مـالـبـرـاـنـشـ (ـ ١٦٣٨ـ - ١٧١٥ـ)  
ـوـأـرنـولدـ جـوـيلـنـكـسـ (ـ ١٦٤٤ـ - ١٦٦٩ـ) - وـقـدـ كانـ منـ رـأـيـ ليـبـنـيـزـ أـنـ مـثـلـ  
ـهـذـاـ مـذـهـبـ مـنـافـ لـلـطـبـيـعـةـ ، وـأـنـهـ يـنـظـوـيـ عـلـىـ سـلـسلـةـ لـآـخـرـ لـهـ مـعـجزـاتـ .

وـقـدـ بـعـثـ ليـبـنـيـزـ فــيـ شـمـرـ فـبـرـاـيـرـ سـنـةـ ١٦٩٦ـ رـسـالـةـ إـلـىـ نـاـشـرـ تـارـيخـ أـعـمـالـ الـعـلـمـاءـ  
ـHistoire des ouvrages des savantsـ جـلـأـ فـيـهـاـ لـأـوـلـ مـرـةـ إـلـىـ تـشـيـيـهـ السـاعـةـ  
ـالـمـعـرـوفـ ، وـكـانـ دـيـكارـتـ قدـ أـشـارـ إـلـيـهـ عـنـدـمـاـ شـبـهـ السـكـانـنـاتـ أـوـ الـآـلـاتـ الـحـيـةـ  
ـبـالـسـاعـاتـ ثـمـ اـسـتـخـدـمـهـ جـوـيلـنـكـسـ وـاستـهـانـ بـهـ ليـبـنـيـزـ فــيـ تـفـسـيرـ مـذـهـبـهـ عـنـ الـاتـسـاقـ  
ـالـمـقـدرـ أـوـ الـأـسـجـامـ وـالـتـجـانـسـ الـذـيـ دـبـرـهـ اللـهـ عـنـدـمـاـ خـاـقـ السـكـانـنـاتـ وـنـظـمـهـ =

٧٩ — تفعل النفوس وفقا لقوانين العمل الغائية ، عن طريق النزوع ، والغايات والوسائل . وتفعل الأجسام وفقا لقوانين العمل الفعالة أو قوانين الحركات . وهاتان الملة-كتقان ، مملكة العمل الفعالة ومملكة العمل الغائية ، متجانسان <sup>(١)</sup> .

٨٠ — عرف ديكارت أن النفوس لا يمكنها أن تمد الأجسام بالقوة ، لأن كمية القوة التي في المادة ثابقة على الدوام . ودم ذلك فقد تصور أن النفس يمكنها أن تغير اتجاه الأجسام ، ولكنها وقع في هذا الظن لأن القانون الطبيعي الذي يقول ببقاء نفس الاتجاه العام في المادة لم يكن قد عرف في عهده <sup>(٢)</sup> . ولو أقه به إليه لقوصل إلى مذهب في الاتساق المقدر .

(قارن التيوديسية ، المقدمة ٢٢ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٣ و ٦٦ و ٣٤٥ و ٣٤٦ وما يمدها ، ٣٥٤ و ٣٥٥) .

---

== بحيث يضى كل منها إلى غايته مستقلة عن غيره وفي اتساق معه ، شبه الصانع المبدع الذي نظم الساعات بحيث تسير كل منها مستقلة عن غيرها ومتصلة معه في نفس الوقت . وقد وصف الفاسر هذه الرسالة بأنها التفسير الثاني للمذهب الجديد .

(١) راجع الفقرة (١١) من المبادئ العقلية للطبيعة والمعناية .

(٢) سبق للبيشتن أن هاجم ديكارت وأتباعه حول هذه المسألة ، وذلك سنة ١٦٨٦ في مشورات العلماء » Acta erudit. Lipsiens <sup>التي كانت تصدر في مدينة ليزيج ، في بحث له عن الأخطاء « الملاحظة » التي وقع فيها ديكارت وغيره من العلماء حول القانون الطبيعي . كما تعرض لنفس الموضوع في « المقال في الميتافيزيقا » ١٧ ، وفي المقال الذي هاجم فيه ديكارت ونشر في يونيو سنة ١٧٠٢ ، وفي رسالته إلى أنتو في الثلاثاء من أبريل سنة ١٦٨٧ .</sup>

٨١ — ويقتضي هذا المذهب <sup>(١)</sup> أن تفعل الأجسام كما لو كانت النفوس غير موجودة ( وهو أمر مستحيل ) ، وأن تفعل النفوس وكأن الأجسام غير موجودة ، وأن يفعل الاثنان وكأن أحدهما يؤثر على الآخر.

٨٢ — أما العقول أو النفوس العاقلة فإني وإن كنتم أجد أن ما ذكرته الآن يصدق على جميع الكائنات الحية والحيوانات ( أي أن الحيوان والنفس لا ينشأن إلا من نشوء العالم ولا يفسدان إلا بفساده ) ، فإن الحيوانات العاقلة تتميز بذلك بأن حيواناتها البذرية الصغيرة ، مما بقيت كذلك ولم تتعد <sup>(٢)</sup> ، لا تملك إلا نفوسا عادية أو نفوسا حساسة ، ولكن ب مجرد أن تصل تلك التي يمكن أن تصفها بأنها نخبة مختارة إلى الطبيعة الإنسانية عن طريق الحال الفعلى ، فإن نفوسها الحساسة ترتفع إلى مستوى العقل وترقى إلى المزية ( التي تتحقق ) بها العقول . ( قادر القيود بيسية ، ٩١ و ٣٩٧ ) .

٨٣ — يضاف إلى الفروق الأخرى بين النفوس العادية والمعقول ، وهي الفروق التي قدمت جزءاً منها فيما سبق <sup>(٣)</sup> ، أن النفوس على وجه الإجمال مرأياً حية أو صور من عالم المخلوقات ، أما العقول فهي بالإضافة إلى ذلك

(١) ي يريد أن ديكارت كان سليطين أن النفس والجسم ليس لاحدهما أى تأثير على الآخر ، وأنه يلزم عن ذلك أن ينظر إلىهما بوصفهما بعملان في تجاهن مع بعضهما البعض . وقد كان من رأى ليپنتر ( كما شرحه في جوابه على أفكار بايل ، ١٧٠٢ ) أنه استطاع بهذا أن يوفق بين أفضل ما في مذاهب الماديين والمثاليين .

(٢) أي طالما بقيت حيوانات بذرية ( أو منوية ) صغيرة ولم تتعد ذلك .

(٣) راجع الفقرات السابقة من ١٩ إلى ٣٠ .

صور من الألوهية أو من مبدع الطبيعة ذاته ، إنها تملك القدرة على معرفة نظام العالم <sup>(١)</sup> ومحاكاة شيء منه في عينات (أو نماذج) معيارية خاصة <sup>(٢)</sup> ، إذ أن كل عقل في مجاله أشبه بألوهية صغيرة . (قارن القيودية ١٤٧) .

٨٤ - وهذا هو الذي يجعل العقول (أو الأرواح) <sup>(٣)</sup> قادرة على الدخول مع الله في نوع من الحياة الجماعية <sup>(٤)</sup> ، بحيث لا يكون الله بالنسبة إليها كالمخلوق بالنسبة لآلة فحسب (كما هو الحال بالقياس إلى علاقة الله بسائر الخلائق ) ، وإنما يكون كذلك كالأمير بالنسبة لرعاياه ، بل كالأب بالنسبة لأبنائه .

٨٥ - من هذا نستنتج بسهولة أن مجموع العقول (أو الأرواح) يؤلف بالضرورة مدينة الله <sup>(٥)</sup> ، أي أكمل مدينة ممكنة في ظل أكمل الحكماء

---

(١) يقول ليبرترن في أحد بحوثه التي تركها بغير عنوان (١٩٨٦) إن الفرق بين الجواهر العاقلة وغير العاقلة يشبه في مختامته الفرق بين المرأة ومن ينظر فيها

(٢) أي ليس الإنسان مجرد آلة صغيرة تعبر عن الآلة السكونية ، ولا هو كون صغير » يعكس « الكون الكبير » كما كان القدماه يقولون ، وإنما هو قادر على خلق آلات صغيرة وإبداع تكوينات ونماذج تقوم على نفس المبادئ التي تعتمد عليها الآلة الكبرى ؛ ومعنى هذا أنه « مبدع صغير » أو « صورة » من المبدع الأعظم .

(٣) ابتداءً من هذه الفقرة تصبح ترجمة الكلمة esprits بالأرواح أقرب إلى السياق .

(٤) أو حياة مشتركة ، كما يترجمها « لاتا » (fellowship )

(٥) إشارة إلى « مدينة الله » Civitas Dei للقديس أوغسطين ، مع الفارق الكبير في المعنى . فمدينة الله عند أوغسطين هي الدولة الإلهية أو الكنيسة =

(قارن القيد بـ ١٤٦ و بمجمل الاعتراضات ، الاعتراض الثاني) .

٨٦ - إن مدينة الله هذه ، هذه المملكة الكلية الشاملة بحق ، هي عالم أخلاقي داخل العالم الطبيعي ، وهي أسمى أمال الله وأكثرها ألوهية . إنها القمير الصادق عن مجد الله ، إذ ان يكون لديه شيء منه ان لم تعرف العقول (الأرواح) عظمته وخيريته<sup>(١)</sup> وتحس نحوها بالإعجاب ، وهو كذلك يملك الخيرية (الطيبة) خاصة بالقياس إلى هذه المدينة الإلهية<sup>(٢)</sup> ، في حين أن حكمته وقدرتها تتجليان في كل شيء وفي كل مكان<sup>(٣)</sup> .

٨٧ - وكما يبينا فيما تقدم أن هناك تبعانساً كاملاً بين مملكتين طبيعيتين ، هما مملكة العمل الفاعلة ومملكة العمل الفائقة ، فينبغي علينا أن نشير هنا أيضاً إلى تبعانس<sup>(٤)</sup> آخر يقوم بين مملكتة الطبيعة الفزائية وبين مملكتة الفضل الإلهي الأخلاقية<sup>(٥)</sup> ، أي بين الله بوصفه مهندس الآلة الكونية ،

---

المسيحية في مقابل الدولة الأرضية أو الوضعية Civitas terrena . أضف إلى هذا أن مدينة الله عند ليبرنتر لا تقابل أي نظام أو سلطة أرضية ، وإنما هي النظام الأخلاقي الذي يقوم عليه العالم ويتعين عن نظامه الطبيعي . وأخيراً فإن مدينة الله في رأي ليبرنتر لا تقتصر على المسيحيين وإنما تضم البشر جميعاً ، ولا شك أنه كان في هذا متأثراً بروح التسامح الديني التي غلبت على عصر التوبيخ .

(١) أو طيبته ورحمته bonté .

(٢) تتجلّى خيرية الله في هذه المدينة لأن الصفات والمزايا الأخلاقية تتسمى للنظام الأخلاقي قبل غيره ، أي للمجتمع الذي تشارك فيه النفوس العاقلة .

(٣) راجع المقال في الميافيزيقا ٣٥ .

(٤) أو انساق وانسجام .

(٥) أنظر الفقرتين التاليتين ، الفقرة (١٥) من المبادى العقلية للطبيعة =

وَبَيْنَ اللَّهِ بِوْصَفَهِ مَلِكًا عَلَى الْمَدِينَةِ الْأَلْيَةِ الْأَرْوَاحِ . ( قَارِنُ الْقِيَوْدِيْسِيَّهُ ٦٣ وَ ٧٤ وَ ١١٨ وَ ٢٤٨ وَ ١١٢ وَ ١٣٠ وَ ٢٤٧ ) .

٨٨ — هَذَا التَّجَانِسُ يَجْعَلُ الْأَشْيَاءَ تَؤْدِي إِلَى الْفَضْلِ الْأَلْيَى بِالْطَّرِيقِ (١) الطَّبِيعِيَّهُ نَفْسَهَا ، كَمَا يَقْرَضُ عَلَى هَذِهِ الْكُرْتَهُ الْأَرْضِيَّهُ مِثْلًا أَنْ تَدْمُرَ وَيَعْدَ بِنَاؤُهَا بِالْطَّرِيقِ الطَّبِيعِيَّهُ فِي وَقْتِ مَعْلُومٍ ، عَنْدَمَا تَطَلُّبُ ذَلِكَ حَكْمَهُ الْأَرْوَاحِ : عَقَابًا لِلْبَعْضِ وَثُوابًا لِلْبَعْضِ الْآخَرِ .

( قَارِنُ الْقِيَوْدِيْسِيَّهُ ١٨ وَ مَا بَعْدَهَا ، ١١٠ وَ ٢٤٤ وَ ٢٤٥ وَ ٣٤٠ ) .

٨٩ — يَكُنْ كَذَلِكَ الْفَوْلُ بِأَنَّ اللَّهَ بِوْصَفَهِ الْبَنَاءَ الْأَعْظَمَ (٢) يَرْضَى اللَّهُ بِوْصَفَهِ الْمَشْرُوعِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَهُ ، وَأَنَّ الْخَطَايَا يَنْبَغِي تَبْعَدُمَا إِذَا كَانَ تَحْمِلُ مَعَهَا الْعَقَابُ الَّذِي تَسْقُوْجِبُهُ بِعَقْتَضَيِّ النَّظَامِ الطَّبِيعِيِّ بِلَ بِعَقْتَضَيِّ الْبَنَاهِ (٣) الْأَلْيَةِ الْأَشْيَاءِ ذَاتَهَا ، كَمَا تَحْصُلُ الْأَفْعَالُ الطَّبِيعِيَّهُ ، بِالْقِوَاسِ إِلَى الْأَجْسَامِ ، عَلَى جَزَاهَا (٤) بِالْطَّرِيقِ الْأَلْيَةِ ، وَأَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ وَلَمْ يَأْمُرْ بِالْجَائزِ أَنْ يَقْمِمْ هَذَا دَائِمًا عَلَى الْفَورِ (٥) .

---

— الْفَضْلُ الْأَلْيَى — وَكَلْمَهُ Grac مِنَ الْكَلِمَاتِ الْعَسِيرَهُ التَّى يَحْسَمُهَا الْقَلْبُ وَيَعْجِزُ اللَّسَانُ عَنْ وَصْفِهِ فِي لُغَتِهِ أَوْ فِي أَيَّهُ لُغَهُ أُخْرَى .. وَاللَّطْفُ وَالنِّعْمَهُ وَالْفَضْلُ الْأَلْيَى كُلُّهُ مِنْ ارْدَافَاتِ لَفْظِيَّهُ عَاجِزَهُ لِهَذِهِ الْكَلِمهِ الْبَاهِرَهُ .

(١) أَوِ الْوَسَائِلُ وَالْأَسَالِيبُ الطَّبِيعِيَّهُ ( Voices, means, wege )

(٢) أَوِ الْمِهْنَدِسُ ، أَيْ أَنَّ الْعَالَمَ قَدْ بَنَى بِعَقْتَضَيِّ خَطَهُ تَسْقُوْجِبَهُ اَسَافَا كَامِلاً مَعَ الْحَكْمَهُ الْأَخْلَقيَّهُ لِسَكَانِهِ .

(٣) أَوِ الْبَنَاءُ وَالْكَوْنِيْنُ Structure .

(٤) أَوِ مَكَافَأَهَا .

(٥) يَرِى لِيَنْتَزُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَقْعُدُ فِي الْخَطَيَّهُ وَالذَّنْبِ عَنْدَمَا يَسْعِي إِلَى خَيْرِهِ =

٩٠ - وصفة القول أنه لن يبقى في ظل هذه الحكومة السكاملة فعل خير بغير ثواب ، ولا فعل سيء بغير عقاب ، وأن كل شيء ينبع أن يسخر خلير الطيبين ، أى لغير الساقطين في هذه الدولة المظيمة ، أو لئل الذين يشقون بالعذابة الامامية بعد أداء واجبهم ، ويحتما كون مصدر كل خير ويحبونه الحب الذي يليق به ويهمجون بالنظر في كمالاته ، كما تقتضي بذلك طبيعة الحب الصادق الحسن ، الذي يجعلنا نسعد بسعادة من نحب . وهذا هو الذي يجعل الحكماء<sup>(٢)</sup> والفضلاء من الناس يشاركون بجهدهم في كل ما يبذدو مقسماً مع إرادة الله التي وعد بها أو سبقت في علمه ، ويقتعون مع هذا بما تقتضي به مشيئته الخافية للحكمة الفاصلة . إنهم ليقررون بأننا لو استطعنا أن نفهم نظام الكون فهـما كافـيا لا كـشفـنا أنه يفـوقـ كلـ ماـيـقـنـاهـ أحـكمـ الحكمـاءـ ، وـأـنـ مـنـ الـخـالـلـ أـنـ يـكـوـنـ أـفـضـلـ مـاـهـوـ عـلـيـهـ ، لـاـ بـالـقـيـاسـ إـلـيـنـاـ نـعـنـ بـنـوـعـ الـوـجـودـ الـكـلـيـ بـوـجـهـ عـامـ فـحـسـبـ ، بلـ كـذـالـكـ بـالـقـيـاسـ إـلـيـنـاـ نـعـنـ بـنـوـعـ خـاصـ ، إـذـاـ سـلـمـنـاـ الـقـسـلـيمـ الـوـاجـبـ بـمـشـيـئـةـ خـالـقـ كـلـ شـيـءـ : لـاـ بـوـصـفـهـ الـبـنـاءـ

---

الخاص بطريقـةـ خـاطـئـةـ غـيرـ مـسـتـنـيرـةـ ، دونـ اعتـبارـ النـظـامـ وـالـقـانـونـ الـاخـلـاقـيـ الـذـيـ يـضـمـنـ الـخـيرـ الـأـقـصـىـ لـلـجـمـيعـ . وـلـهـنـاـ فـانـ الـخـاطـئـةـ تـجـرـ وـرـاءـهاـ الـعـقـابـ الـذـيـ تـسـتـحـقـهـ لـخـروـجـهاـ عـلـىـ النـظـامـ الـاخـلـاقـيـ ، كـاـ يـجـرـ الـاـهـمـالـ وـالـانـحـرـافـ عـنـ الـقـوـانـينـ الـطـبـيـعـيـةـ الـأـلـمـ وـالـمـرـضـ . وـنـظـرـاـ لـلـاـسـاقـ الـسـكـاـمـلـ بـيـنـ الـقـفـسـ وـالـجـسـمـ ، وـبـيـنـ عـلـمـكـةـ الـأـخـلـاقـ وـمـلـمـكـةـ الـطـبـيـعـةـ ، فـانـ جـزـاءـ الـخـاطـئـةـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـ جـزـاءـ رـوـحـيـاـ خـالـصـاـ ، بلـ لـابـدـ أـنـ يـشـارـكـ فـيـهـ الـجـسـمـ وـالـطـبـيـعـةـ . كـذـالـكـ تـحـصـلـ الـفـضـيـلـةـ عـلـىـ ثـوـابـهاـ الـرـوـحـيـ وـالـطـبـيـعـيـ ، لـأـنـهاـ فـعـلـ طـيـبـ مـسـتـنـيرـ يـتـسـقـ معـ الـقـانـونـ الـأـسـمـيـ لـلـكـونـ ، وـهـوـ مـبـداـ الـخـيرـ الـأـقـصـىـ .

(٢) أو العقلاء sages .

الأعظم<sup>(١)</sup> والعلة الفعالة لوجودنا ، بل باعتباره سيدنا وموانا ، والعلة  
القائلة التي ينبغي أن تكون الهدف السكلي لرادتنا ، وتسقط طبعاً وحدتها  
أن تتحقق سعادتنا .

(قارن التبوديسية § ١٣٤ الخاتمة ، والمقدمة § ٤ أ ب ؛  
§ ٢٧٨ وراجع كذلك المقال في الميقاتيزية  
§ ٣٦ و ٣٧ ) .

تم بحمد الله

---

(١) حرفيًا : المهندس المعماري I, Arhitecte

## فهرست

الصفحة	الموضوع
٠	— إهداء
٧	— تقديم سلسلة النصوص الفلسفية
١٣	— تمهيد
١٥	أولاً — حياة ليبينز
٢٦	ثانياً — فلسفة ليبينز
٧٣	ثالثاً — ليبينز في مرآة الأجيال
٨٩	— تقديم الترجمة
٩٩	— المبادىء المقلالية للطبيعة والفضل الالهي
١٢٣	— المؤنادولوجيا



## أعمال أخرى

الدكتور عبد الففار مكاوى

### أولاً - في الفلسفة :

- مدرسة الحكمة دار الكاتب العربي بالقاهرة
- أبیر کامی - محاولة لدراسة فکره الفلسفی - دار المعارف بالقاهرة
- تأسیس مهیقا فیزیقا الأخلاق - المفیلسوف کانط - المکتبة العربية .
- فلسفه العلو (الترانسندانس) الأستاذ شتروفه (تحت الطبع)
- الطريق والفضيلة - لاوتسى - مؤسسة سجل العرب - القاهرة .

### ثانياً - في الأدب :

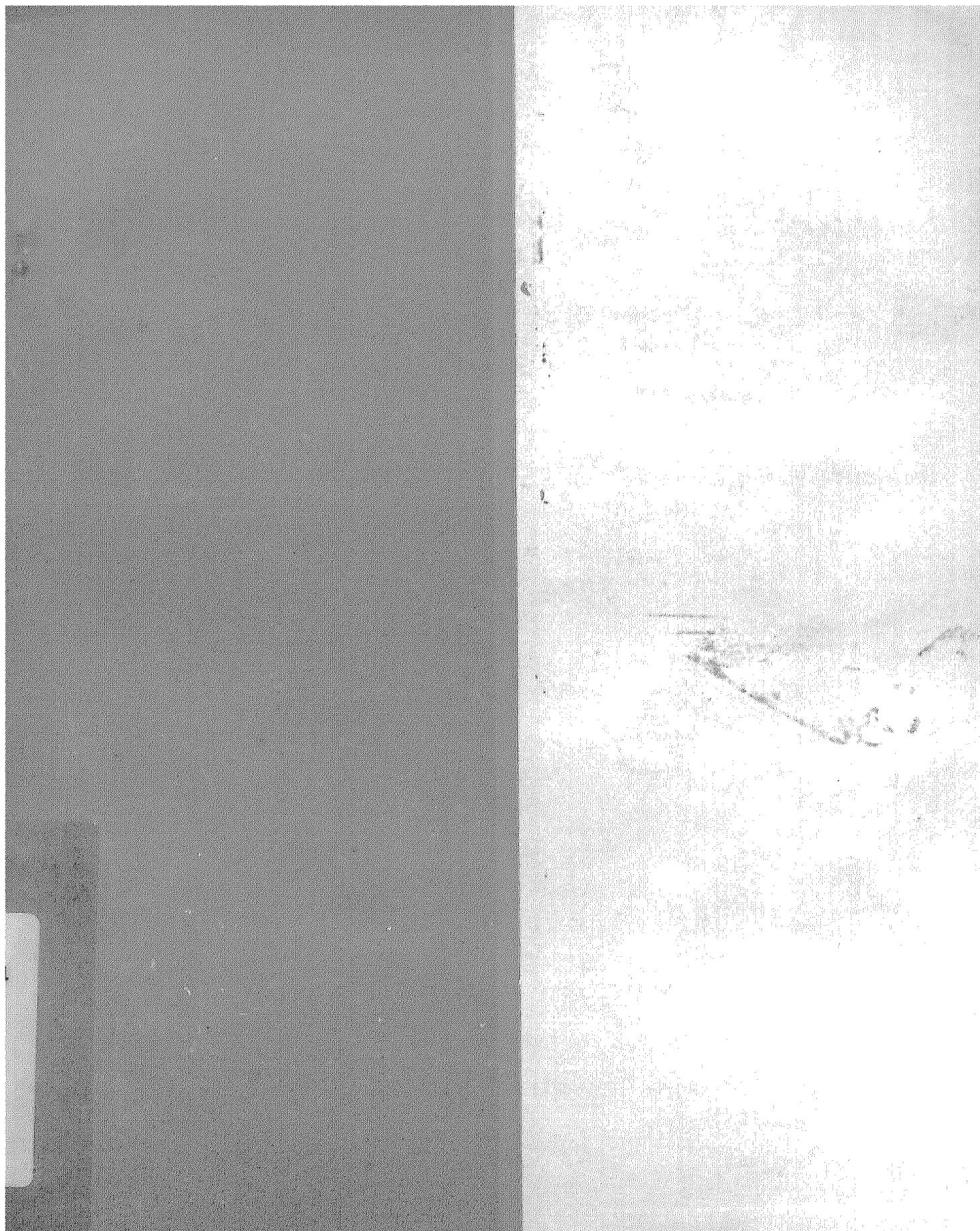
- ابن السلطان (قصص) سلسلة اقرأ - دار المعارف بالقاهرة .
- الست الطاهرة (قصص) دار الكاتب العربي بالقاهرة .
- البلد البعید (دراسات) دار الكاتب العربي بالقاهرة .
- شافو : شاعرة الحب والجمال عند اليونان - دار المعارف القاهرة .
- القمیرية — سلسلة المکتبة الثقافية — الهيئة العامة للتأليف والنشر بالقاهرة .
- هولدرلن (سلسلة نوابع الفكر الغربي) دار المعارف - القاهرة .
- ثورة الشعر الحديث (جزآن) الهيئة العامة للتأليف والنشر .
- الأقصوصة والحكایة بجوته - سلسلة اقرأ - دار المعارف بالقاهرة .

- كاسو بلوته - سلسلة مسرحيات عالمية .
- السيد برنيلا وتابعه ماتي بيرخت - سلسلة مسرحيات عالمية .
- الاستثناء والقاعدة ومحاكمة لو كولوس - سلسلة مسرحيات عالمية .
- قصائد من بيرخت - دار السكافتب العربي - القاهرة .
- الأعمال المسرحية الكاملة لبورج بشير .

رقم الايداع بدار الكتب  
١٨٩٣ / ١٩٧٧ م

مطبعة دار التضامن الثقافية  
العنوان: كفر مصطفى - الميادين  
٩٣٦٠٢٦





**To: www.al-mostafa.com**